عند الطبع ...

برقية الى الرئيس السادات

كانت « الآداب » على وشك الطبع حين اعلن الرئيس انور السادات قراره باعادة المفصولين من الصحفيين والكتاب المصريين .

وقد ارسل اتحاد الكتاب اللبنانيين البرقية التالية :

« سيادة الرئيس انور السادات ـ القاهرة

اتحاد الكتاب اللبنانيين يحيي بادرتكم بقرار اعادة المفصولين من الكتاب والصحفيين المصريين ، معتزا باتفاق هذا القرار مع مناشدته سيادتكم منذ اشهر الغاء تلك التدابير حرصا على استمرار مشاركة المثقفين المصريين بكامل حريتهم المسؤولة في معركة المصير التي تواجهها الامة العربية .

الامين العام
سهيل ادريس



مسيرة من اجل نيرودا

بدعوة من اتحاد الكتاب اللبنانيين ، قامت صباح الجمعة ٢٨ ايلول الماضي ، مسيرة صامتة شارك فيها زهاء خمسين كاتبا وصحافيا من المثقفين اللبنانيين والعرب المقيمين في لبنان تحية لروح الشاعر بابلو نيرودا واحتجاجا على سياسة الارهاب التي تمارسها السلطة التشيلية . وقد بدأت المسيرة من مركز صباغ بشارع الحمرا في بيروت وانتهت عند السفارة التشيلية . وقرأ الدكتور سهيل ادريس في نهاية المسيرة بيانا اصدره المثقفون هذا نصه :

« يستنكر المثقفون اللبنانيون والعرب المقيمون في لبنان ما قامت به السلطة في التشيلي ازاء الشاعر بابلو نيرودا الذي شارك بشعره في اضاءة الكفاح من اجل الحرية والتقدم، وفي صنع مجد الانسان المعاصر .

ان الهجوم على بيته بعد موته ، ونهب مخلفاته ،والعبث بجثمانه ، انما هو امتهان لوجدان الشعب التشيلي ولكرامته ، وامتهان للانسان في ابهى ما يمثله وما يطمح الى تحقيقه .

وهم يستنكرون المجزرة القمعية التي تمارسها السلطة على العمال والمثقفين والفنانين والشعراء والكتاب ، صوت الشعب التشيلي وطليعته ، ويتضامنون معهم ، ايمانا منهم بان قضية الاحرار في العالم واحدة وبان كفاحهم كفاح واحد » .

التواقيع

سهيل ادريس ـ ادونيس ـ محمد دكروب ـ احمد ابو سعد ـ ميشال سليمان ـ كلوفيس مقصود ـ معين بسيسو ـ رفيق خوري ـ رفيق شرف ـ حسين حيدر ـ حسن حمية ـ غالي شكري ـ طلال رحمة ـ جلال خوري ـ ليث نوفل ـ محمد امهز ـ زهير ماجد ـ كمال حمدان ـ الياس شاكر ـ شربل داغر ـ عصام محفوظ ـ اسامة العارف ـ اسكندر الديك ـ وليد شميط ـ ياسين رفاعية ـ فوزي شلق ـ عايدة ادريس ـ رفيق ابي يونس ـ هدى زكا ـ وليد غلمية ـ سامية توتنجي ـ رفيف فتوح ـ منى السعودي ـ سمير الصايغ ـ سفيان الرمحي ـ انطوان بولاد ـ كميل داغر ـ كمال كريم ـ حبيب حداد ـ ميشال قصير ـ امل جراح ـ اتيل عدنان ـ سيمون فتال ـ جان لوي منغي ـ حسن زبيب ـ عيسى الشعيبي .

معركة حرية الفكر العربي

لا يزال اتحاد الكتاب اللبنانيين يقود حملته الشريفة دفاعا عن حرية الفكر العربي واحتجاجا على سياسة القمع التي تتسع في بعض البلدان العربية وتثقل وطأتها هنا وهناك .

وقد حاول وفد الاتحاد الى المؤتمر الخامس للكتاب الافريقيين الاسيويين الذي انعقد هذا الشهر في الاتحاد السوفياتي ان يثير هذا الموضوع الخطير ، كما كان قد وعد في بياناته السابقة ، ولكن الاستاذ يوسف السباعي الامين العام لاتحاد الكتاب الافريقيين الاسيويين حال جزئيا دون ذلك ، مما يكشف مجددا عن دوره التعسفي في معركة حرية الفكر العربي .

بيان اتحاد الكتاب اللبنانيين

وقد أصدر اتحاد الكتاب اللبنانيين البيان التالي تعليقا على انعقاد المؤتمر الخامس للكتاب الافريقيين الاسيويين :

بدعوة من الامانة العامة لاتحاد الكتاب الافريقيين الاسيويين واللجنة السوفياتية لكتاب آسيا وافريقيا ، حضر وفد من اتحاد الكتاب اللبنانيين المؤتمر الخامس للكتاب الافريقيين الاسيويين الذي انعقد في الما آتا عاصمة جمهورية كازاخستان السوفياتية من ٤ الى ٩ أيلول الجاري .

وقد شعر الوفد لدى وصوله الى العاصمة السوفياتية ان الامانة العامة التي يمثلها الاستاذ يوسف السباعي تحاول فرض جو من الارهاب ضد الوفد اللبناني لمنعه من متابعة حملته التي يقوم بها منذ مطلع هذا العام من أجل حرية الكتاب والمثقفين العرب .

وبالفعل ، فقد منعت الامانة العامة ادراج بحث الى المؤتمر تقدم به عضو الوفد اللبناني الاستاذ احمد ابو سعد ضمن الابحاث المطلوب معالجتها ، لتنويهه بنشاط اتحاد الكتاب اللبنانيين ، ونضاله في سبيل حرية التعبير المضطهدة في عدد من البلدان العربية ، ولا سيما في جمهورية مصر العربية .

وهنا واجه الوفد اللبناني ضغطا يرمي الى تعديل البحث المقدم وكلمة رئيسه ، خشية ان تتخذ الامانة العامة موقفنا ذريعة لتعطيل المؤتمر او شقه ، وربما لتصديع اتحاد الكتاب الافريقيين الاسيويين .

ولكن وفدنا أصر على عدم تعديل كلمته وبحثه انسجاما منه مع مواقفه السابقة كلها في شجب القمع والارهاب . غير انه لحرصه على نجاح المؤتمر وتدعيم المنظمة التي كان للكتاب اللبنانيين دور هام في ترسيخها ، قرر الامتناع عن القاء كلمته وعن المشاركة العملية في المؤتمر وندوة الشعر في بريفان وفي لجان المؤتمر ، باستثناء اللجنة التنظيمية التي قدم فيها اقتراحات وتوصيات بتعديل وضع الامانة العامة بحيث تصبح اكثر ديموقراطية وأعمق تجسيدا لما تمثله هذه المنظمة وتطمح اليه شعوبها .

وقد كان لموقفنا هذا اثر فعال ، من حيث انه كان بداية حقيقية لروح النقد البناء والنقاش الديموقراطي . فللمرة الاولى في نطاق اتحاد الكتاب الافريقيين الاسيويين يطرح على بساط البحث وضع الامين العام الذي انقضى على تسلمه هذا المنصب خمسة عشر عاما . . وقد اقترحنا في اللجنة التنظيمية انتخاب ثلاثة أمناء عامين ، عربي وافريقي واسيوي ، بدلا من امين عام واحد ، كما اقترحنا تحديد ولاية الامانة العامة لمدة اربع سنوات غير قابلة للتجديد . وطالبنا كذلك بتوزيع مهمات الامانة العامة بين بلدان المكتب الدائم حسب امكانيات هذه البلدان وكفاءاتها ، وعدم حصرها في بلد واحد . وتقدم وفدنا

باقتراحات أخرى تتعلق بتكوين المكتب الدائم ومجلة اللوتس ومنشورات اللوتس . وقد وافق اعضاء اللجنة التنظيمية على ان تقدم جميع هذه المقترحات الى المكتب الدائم في أول اجتماع يعقده في مطلع العام القادم .

وبالرغم من ان المؤتمر قد جدد بالاكثرية ولاية الامين العام مرة أخرى ... فقد وافق على تعيين نائبين له أحدهما افريقي والآخر اسيوي ، مما يدل على احساس الوفود بضرورة الحد من سلطة الامين العام ، وهي خطوة ايجابية اولى ...

ويهمنا ان نوضح هنا اننا لم نكن نقصد من اقتراحاتنا حرمان جمهورية مصر العربية من هذا المنصب الهام ، فقد كنا دائما نؤيد ترشيحها له . غير ان تصرفات الاستاذ السباعي وعدم تحركه للدفاع عن حرية الكتاب المصريين يضعه موضع الاتهام بالتقصير في مهمته كأمين عام للكتاب الافريقيين الاسيويين . وليس يعقل ان نقر وجود « كاتب » على رأس هذه المنظمة يصمت عن اضطهاد كتاب بلده ، ناهيك كتاب البلدان الاخرى ! وقد كنا نتمنى ألا يكون الممثل السوفياتي في اللجنة التنظيمية هو المبادر الى اقتراح التجديد للامين العام ، وان كان هو صاحب اقتراح انتخاب نائبين له .. اننا قد نفهم الروح التي أملت هذه « التسوية » ولكن ليس في وسعنا ان نبررها !

ومهما يكن من أمر ، فقد استطاع وفدنا الى المؤتمر ، رغم امتناعه عن القاء كلمته وعدم اشتراكه الا في اللجنة التنظيمية ، ان يسجل نتيجة ايجابية هامة بطرح قضية الامانة العامة التي كانت ، حتى الآن ، « حرما مقدسا » لا يدلف اليه أحد ... وهو لم يطرح هذه المسألة الا في نطاق دفاعه المستمر عن حرية الفكر وكرامة الادباء .

وقد أطلعت معظم الوفود العربية على البحث المحجوز ، كما أيدت موقفنا في شجب الارهاب والقمع أينما وقع . وسوف نتعاون معها في المستقبل ، بالرغم من القيود المرتبطة بصفتها الرسمية في التمثيل ، في السعي الدائب على صعيد المؤتمرات والاتصالات الخاصة لتوفير جميع الاسباب التي تمكن الكاتب العربي من التعبير عن آرائه بكل حرية ومسؤولية .

اتحاد الكتاب اللبنانيين

* * *

الكلمة التي لم تلق ...

وفيما يلي الكلمة التي كان الدكتور سهيل ادريس الامين العام لاتحاد الكتاب اللبنانيين قد أعدّها لتلقى في المؤتمر الخامس باسم الوفد اللبناني :

أيها الزملاء والاصدقاء .

بهذا المؤتمر الخامس للكتاب الافريقيين الاسيويين تسجل حركتنا خطوة ايجابية جديدة في ميدان الادب والفكر ، وترسخ اليقين بأهمية دور الكلمة الملتزمة والمبدعة في حياة شعوبنا وفي نضالها من أجل التقدم والحرية والسلام .

وليس اختيار موضوعات المؤتمر في الما آتا والندوة الشعرية في يريفان الا مصداقا للتعبير عن أهمية دور الكتاب وما يعلقه الانسان الافريقي الاسيوي على اسهامهم ومشاركتهم في تخطيط الدروب الى مستقبل مشرق متحرر من كل القيود والعوائق التي تنتقص من انسانية هذا الانسان .

ولا شك في ان ما بذلته المنظمات الادبية واتحادات الكتاب المشاركة في اتحاد الكتاب الافريقيين الاسيويين من جهود كبيرة وما قدمته من معونات مادية ومعنوية هو الذي وفر لحركتنا ما أصابته من نجاح طوال الاعوام الخمسة عشر التي مضت على تأسيسها ، ونخص بالذكر الاتحاد السوفياتي وجمهورية مصر العربية والهند وسواها .

واسمحوا لي هنا ، أيها الاصدقاء ، أن أنوه باسهام الكتاب اللبنانيين في نشاطات منظمتنا على اختلاف وجوهها . ولئن تعذر على اتحادنا ان يشارك ماديا في صندوق المنظمة لعدم ارتباطه بالدولة عندنا ، فانه يحاول ان يعوّض عن ذلك بحضوره الدائم في اللجنة التنفيذية والمكتب الدائم ومجلة اللوتس ولجنة تحكيم جائزة اللوتس. ويسرني ان أعلمكم اننا أصدرنا في بيروت في الاسبوع الماضي الطبعة العربية من مختارات الشعر الافريقي الاسيوي التي تجدون نماذج منها في مهرجان الكتاب هنا ، وهو اسهام متواضع في اصدار سلسلة الادب الافريقي الاسيوي .

ولعلكم تذكرون ، أيها الزملاء الكرام ، ما قام به

سهو أم اغفال ؟

طرح في اللجنة التنظيمية للمؤتمر الخامس لاتحاد الكتاب الافريقيين الاسيويين اقتراح تمت الموافقة عليه باقامة ندوات متخصصة تعقد سنويا في أحد البلدان الاسيوية الافريقية .

وحين اقترحت اقامة ندوة في موضوع « المجلات الادبية في آسيا وافريقيا » تقدم وفد لبنان بدعوة لعقد هذه الندوة في بيروت في العام القادم . وقد وافقت اللجنة التنظيمية للمؤتمر على قبول الدعوة ، وكان هذا قرارا من قراراتها .

ولكن قرارات المؤتمر (التي يجد القارىء نصها في غير هذا المكان) أهملت اثبات هذا القرار ...

نأمل ان يكون ذلك مجرد سهو من الامانة العامة وليس اغفالا متعمدا !

الكتاب اللبنانيون لانجاح المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسيويين في بيروت عام ١٩٦٧ . ففي أعقاب هذا المؤتمر إنطلقت حركة منظمتنا انطلاقا قويا في ميدان الانتاج وتركيز الدعائم ، وهي ماضية بنجاح في هذه الانطلاقة المنتجة .

ولكننا اذا أردنا آحركتنا هذه ان تستمر في الصعود، فمن واجبنا ان نعالج بعض النقائص والمآخذ التي تسجل عليها ، والتي نخشى ، اذا تغاضينا عنها دائما ، ان تقضي على المكاسب التي احرزتها خلال مسيرتها . ولعل معظم هذه المآخذ مرده الى روح الروتين والبيروقراطية التي تسود الجهاز الاداري للاتحاد ، وهي مآخذ كثيرا ما أشار اليها ممثلنا في اجتماعات المكتب الدائم ، ولكن معظم ملاحظاته كانت تنسى فور انتهاء هذه الاجتماعات . وليس هذا مجال تعداد هذه المآخذ ، فان اتحادنا سيتقدم بقائمة بها في أول جلسة للمكتب الدائم تلي مؤتمرنا هذا .

ولما كان يفرض في كلمتنا اليوم ان تقتصر بالتعليق على موضوعات المؤتمر ، فيهمنا ان نعلمكم ان وفدنا قد قدم الى مؤتمركم الكريم أربعة ابحاث في اربعة موضوعات مختلفة (١) . غير اننا نود ان نلفت انظاركم الى ان الموضوع الذي كتبه عضو الوفد الاستاذ احمد ابو سعد مرتبط بالموضوع الثاني من موضوعات المؤتمر ، وهو حول نشاط اتحاد كتابنا وغيره من المنظمات الادبية في لبنان . ونود ان نوجه انظار الزملاء الى ان الكتاب اللبنانيين يخوضون في هذه الفترة معارك قاسية دفاعا عن حرية الكلمة التي هي اغلى رأسمال يملكه الاديب . فهم يتصدون لاي تدبير قمعي او ارهابي تتخذه السلطة ضد الادباء والمفكرين والصحفيين ، لبنانيين كانوا أم فلسطينيين مقيمين في لبنان . وقد شاركوا خلال العامين الماضيين في مسيرات احتجاج وارسلوا برقيات تنديد باعتقال سبعة او ثمانية من الادباء والصحفيين على دفعات . وكانت السلطات اللبنانية تضطر غالب الاحيان لالغاء تدابيرها تحت ضغط احتجاج الكتاب اللبنانيين الذين تدعمهم في مواقفهم جميع القوى الوطنية التقدمية وعلى رأسها الاستاذ كمال جنبلاط الذي ترأس المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسيويين في بيروت عام ١٩٦٧ ، وهو الآن عضو اتحاد الكتاب اللبنانيين .

ونضال الكتاب اللبنانيين مرتبط ارتباطا جذريا بنضال الشعب اللبناني والشعوب العربية كلها ، قدر ارتباطه بنضال شعوب آسيا وافريقيا في محاربة الاستعمار والصهيونية والتخلف . ويبلغ هذا النضال اليوم ذروته دفاعا عن قضيتنا الكبرى ، قضية العرب في فلسطين ، في العمل على تحرير الارض العربية من الاستعمار الصهيوني المدعوم بالامبريالية الاميركية ، ولكن شراسة هذا الاستعمار تبلغ بدورها ذروتها بتجاوز التصفيات المعنوية الى التصفيات الجسدية التي تستهدف بالدرجة الاولى قادة المثقفين الفلسطينيين ومن يدعمهم من سائر المثقفين العرب . ومن المؤسف ان تتخاذل بعض السلطات عندنا ، ومنها السلطة اللبنانية ، في الدفاع عن حياة هؤلاء المثقفين وحرياتهم تخاذلا فاضحا يؤدي الى قيام مجازر فظيعة يذهب ضحيتها بعض خيرة قادة الفكر الفلسطيني امثال غسان كنفاني وكمال ناصر ويتعرض آخرون لمحاولات الاغتيال والتشويه .

من أجل هذا لا مناص للمثقفين العرب من أن يخوضوا معارك مزدوجة ، في اكثر من ميدان ، دفاعا عن حياتهم وحرياتهم . ولا بد لنا في نضالنا هذا من تجميع كل قوانا لمواجهة عدونا الاساسي المشترك : الاستعمار بمختلف أشكاله . وان هذه المواجهة لتقتضينا ان نوفر للكتاب والادباء الحرية الكاملة في التعبير لتأتي مشاركتهم مثمرة وفعالة . وليس ثمة معركة حقيقية يخوضها شعب ويغيب فيها القلم المتحرر من القيود ، الملتزم بالدفاع عن هموم هذا الشعب وحقوقه .

ولسنا في نضالنا هذا الا مستجيبين استجابة كلية لميثاق اتحاد الكتاب الافريقيين الاسيويين الذي ينص على الدفاع عن حرية الفكر . وقد سبق للمؤتمر في دورته الثالثة في بيروت ان اتخذ قرارا صريحا ينص على ما يلي : « المؤتمر الثالث للكتاب الافريقيين الاسيويين يؤكد تأييده لحرية الفكر والتعبير والتزام الكاتب لضميره وانسانيته ويشجب كل أعمال الارهاب الفكري والقيد على حرية الكاتب ويحيي كل المناضلين الاحرار من الكتاب في نضالهم من أجل حرية شعوبهم » .

ولكن يتضح يوما بعد يوم ان ظاهرة القمع الفكري موجودة في كثير من البلدان الافريقية الاسيوية . ولئن كنا غير مطلعين الاطلاع الكافي على اوضاع الكتاب في عدد من هذه البلدان ، فاننا نعيش عن كثب اوضاع البلدان العربية التي تمارس فيها الوان مختلفة من القمع والاضطهاد. ولما كانت معركة الحرية لا تتجزأ ، فاننا نحن الكتاب اللبنانيين نخوض مع كثير من الكتاب العرب الآخرين نضالا قاسيا ضد تدابير قمعية تتخذها السلطات في عدد من البلدان العربية كجمهورية مصر العربية والبحرين والمغرب والسعودية واليمن الشمالي والسودان بمصادرة حرية الادباء والكتاب وحرمانهم من النشر في صحف بلادهم ومنعهم من مغادرة اراضي اوطانهم . وقد يبلغ الامر احيانا التضييق على البعض في رزقه ومعاشه وانهاء خدماته في الدولة .

ولسنا نعتقد أن أحدا منكم ايها الاخوة الادباء يشك في ان تؤدي مثل هذه التدابير الاضطهادية الى القضاء على رسالة الكتاب المدعوين الى « الاشتراك في عملية

---

(١) يجد القارىء هذه الابحاث منشورة في هذا العدد من الآداب مع بعض الابحاث الاخرى المقدمة الى المؤتمر (الآداب)

الاصلاحات الاجتماعية وبناء مجتمع جديد وواجبات الكتاب وحقوقهم » وهو ما يدخل في الموضوع الثالث من جدول اعمال مؤتمرنا هذا .

والحق اننا كنا نتوقع ان يبادر السيد المحترم الامين العام لاتحاد الكتاب الافريقيين الاسيويين الى العمل على رفع هذه التدابير القمعية عن كاهل الكتاب المصريين بعد ان اصبح في مركز المسؤولية بتسلم وزارة الثقافة في بلده ، ولكن خمسة أشهر انقضت دون ان يحدث شيء في الامر !

ايها السادة ، اعضاء المؤتمر الخامس للكتاب الافريقيين والاسيويين .

ان من حقنا ، بل من واجبنا ، ان نتداعى للدفاع عن حريتنا الفكرية ، وان نبحث هنا بالذات ، في نطاق الموضوع الثاني لمؤتمرنا ، قضية حرية التعبير التي تمتهن في بعض بلداننا .

اننا نطالب بهذا احتراما منا لاتحاد الكتاب الافريقيين الاسيويين والتزاما بمسؤوليتنا تجاهه ، وايمانا منا بأن منظمتنا هي صوت الحرية ، وخشية من ان يصيبها التصدع الذي أصاب اتحاد الكتاب العرب في مؤتمر تونس حين تخلى عن مسؤوليته في الدفاع عن حرية الادباء ، فتخلى عن سبب وجوده وعنوان كرامته .

تحية لكم ايها الاصدقاء ، من ادباء لبنان ، وتوفيقا لمؤتمرنا في اعماله دفاعا عن حرية الكلمة وكرامة الادباء !

سهيل ادريس

* * *

مذكرة وفد الاردن

بعد اجتماع اللجنة التنظيمية الذي أثار فيه الوفد اللبناني قضية الامانة العامة ، قدم وفد الاردن المذكرة التالية الى رئيس الوفد اللبناني الذي قدمها بدوره الى الامين العام :

الما آتا في ٨ ـ ٩ ـ ١٩٧٣

الموضوع :

اقتراحات الوفد الاردني لمؤتمر الكتاب الخامس المنعقد في الما آتا ابتداء من ٤ ـ ٩ ـ ١٩٧٣

سيادة الاخ الكريم الدكتور سهيل ادريس حفظه الله .

كم كنا نود ألا ترغمنا الاحوال القاهرة ، على مغادرة هذه العاصمة ، قبل انتهاء جلسات المؤتمر ، لكن امورا لا يد لنا بها قضت علينا ان نسافر كما قلنا ، لذا رأينا ان نضع في يدكم الكريمة بعض الاقتراحات التي رأينا فيها خيرا للاتحاد ، وللكتاب أنفسهم . ورأينا هذا مبني على ان غاية الادب في هذا العصر المتفجر ان يصون كرامة الانسان ويحميه من الرق الاجتماعي والارهاب الفكري ، وتدمير الضمير ، ويكافح في سبيل تامين المستوى اللائق بكرامة الانسان في افريقيا وآسيا ، لا بل في كل دنيا من دنى الناس .

لهذا رأينا ان نضع بين يديكم ـ وبالسرعة الممكنة ـ رأينا ، وكلنا أمل في أن يتبنى المؤتمر ، والاتحاد فيما بعد ، هذا الراي ، فنقول :

اولا ـ أن استمرار الامين العام في منصبه لمدى الحياة مخالف لسنن الطبيعة ، فمن اجل تجديد حيوية الاتحاد وتوسيع القاعدة التي يقوم عليها ، وبالتالي من أجل اغناء شخصيته الفكرية ، نرى ان يتغير الامين العام كل سنتين مرة ـ حتما ـ ولا يجوز تجديد انتخابه الا بعد مرور ثماني سنوات ، والمساعدون ايضا .

ثانيا ـ نرى ان يحاول الاتحاد اعادة النظر في دور الفكر في سياسات آسيا وافريقيا ، ونرى انه من واجب الامين العام ان يدعو لدورة استثنائية ، كلما حدث حادث خطير ، يوجب على الكتاب معالجته وابداء الراي فيه ، اذ لا يجوز في حال ان تمر حوادث يهتز لها العالم ، ورجال الفكر غائبون عنها كأن الامر لا يعنيهم ! فلا يقتصر دور الاتحاد على عقد المؤتمرات الدورية .

ثالثا ـ ونرى انه يجب على الاتحاد ان يكون اكثر جرأة وفاعلية في التصدي لمحاولات الارهاب الفكري والتجويع الذي يصب سوطه على بعض رجال الفكر ، بحيث يعلن الاتحاد حمايته لرجال الفكر الذين تصادر حرياتهم ، ويحاربون في مصادر رزقهم ، انتقاما من مواقفهم الفكرية التي يمليها عليهم شرف الكلمة ، ودفاعهم عن العدالة الاجتماعية .

رابعا ـ ومن رأينا انه يجب أن يكون الاتحاد هو المنارة التي يهتدى بها ، والصوت المدوي الذي يتجمع حوله كتاب آسيا وافريقيا ، حتى ولو لم تكن بلدانهم اعضاء في الاتحاد ، وذلك بقبول عضوية فردية للكتاب بعيدة عن الاعتبارات الحكومية .

خامسا ـ ونعتقد ان وجود هيئة مشرفة على الاتحاد او لجنة تراقب الكتاب وتحاسبهم على مواقفهم الفكرية الزائفة عن النهج السوي للاتحاد واجب ، سواء أكان الموقف المتخاذل خاصا بما يصيب شعوبهم او ما يصيب أمة أخرى تناضل في سبيل كرامة الوطن .

سادسا ـ ونرى انه لا بد من تقسيم مراكز القيادة ، في الامانة العامة ، وفي المكتب الدائم ، تقسيما يجعلها في منأى عن عوامل اللغة ، والعوامل الجغرافية ، لان خضوع القيادة والمكتب الدائم لتلك العوامل ، يؤثر في الديموقراطية داخل الاتحاد . لذا يجب ان تراعى الاعتبارات السكانية ، وعدد الكتاب المنتمين الى الاتحاد من كل بلد .

اما المجلة (اللوتس) فوضعها الحاضر ، يدل على انها ـ من الناحية العملية ـ تحتضر ، فيجب ان يؤسس الاتحاد دار نشر نشيطة ، او ان يتفق مع احدى دور النشر الناجحة المحترمة لطباعة منشوراته وتوزيعها على اوسع نطاق ، ويجب ان تصل اعداد المجلة بانتظام ليد كل عضو ، على أقل تقدير ، ليعلم كل عضو بما يدور في أجواء الفكر الخاصة بالاتحاد .

ومن هنا يجب ان يكون للاتحاد دور فعال في تعريف انتاج كتاب افريقيا وآسيا الى شعوب القارتين ـ بالدرجة الاولى ـ اولا والى غير القارتين من اقطار العالم ثانيا .

وينشأ عن هذا ـ حتما ـ انه لا بد ان يكون للاتحاد اكثر من مقر واحد ، حسب ما تقتضيه المواقع الجغرافية في اول الامر ، وبحسب ما تتسع له المخصصات والموارد المالية ، على ان يصبح للاتحاد مقر في كل عاصمة تسمح أنظمتها وقوانينها بوجود مثل هذا المقر .

هذه نقاط دفعتنا الى تسجيلها غيرتنا على الاتحاد وعلى شرف الكرامة وكرامة الكتاب ، والف تحية .

باخلاص

وفد الاردن :

روكس العزيزي	**عبدالرحيم عمر**
(توقيع)	**(توقيع)**

كلمة وفد المغرب

ايها الاصدقاء ،

لو اخرتم عقارب ساعاتكم ست ساعات فقط ، ستعرفون كم تكون الساعة في المغرب الان . وفي اطار هذا التوقيت المغربي ، يقف الان امام المحكمة بمدينة الدار البيضاء ، عشرات الكتاب والمثقفين الذين ينتمي اكثرهم الى اتحاد كتاب المغرب ، ويمثلون طليعته النضالية لمواجهة الاستعمار الجديد والامبريالية والرجعية .

طيلة عام كامل ، ظل هؤلاء الكتاب رهن الاعتقال ، والتعذيب ، وكانت التهمة الموجهة ضدهم انهم يفكرون في اطار الايديولوجية الثورية المعادية للاستعمار الجديد والرجعية ، والملتصقة بقضايا ومشاكل وواقع الشعب المسحوق . وقد عرضت امام المحكمة ، بعض الكتب التي تتحدث عن الثورة والاشتراكية ، كوثائق ادانة ضد هؤلاء الكتاب .

وبسبب هذه الظروف الصعبة ، لم يتمكن اتحاد كتاب المغرب من الاسهام في هذا المؤتمر العظيم بالشكل الواجب ، وكلفني ان احمل اليكم اسفه ، وفي نفس الوقت تمنياته للمؤتمر بالنجاح .

لقد تحدث بعض الاصدقاء الذين سبقوني عن الالتزام . وعن الحرية ، وعن العدالة ، وعن الكرامة .

لن اعود الى اثارة نفس الموضوع ، ولكنني اقول لكم باختصار ان الكاتب في المغرب ، وفي ظروف القمع التي تواجه الشعب ، وتواجه المثقفين كواجهة نضالية طليعية ، قد اكد شكلا آخر من اشكال الالتزام ، اسمه البراءة . وهذه البراءة لا تتوافر الا داخل السجن ، كل من هو خارج السجن مدان ، وكل من هو خارج السجن يفتقر الى الحس الحقيقي لمعنى ومفهوم الالتزام في ظروف القمع والاضطهاد التي تواجه الشعب المغربي ، ومثقفيه المناضلين .

والان ، دعوني اجيب عن هذا التساؤل المطروح :

لماذا اثير هنا قضية الكتاب المعتقلين في المغرب ؟ ولماذا اثير هنا ظروف القمع التي تواجه اتحاد كتاب المغرب ؟

انني اثير هذا الموضوع ، لاننا بصراحة نفتقر الى تضامنكم ، مع اعتبار ان حالة الكتاب في المغرب ، ليست حالة فريدة ، او ليست موجودة بشكل او بآخر في هذا البلد او ذاك من بلدان افريقيا وآسيا .

ان الاعتقالات قد تمت منذ عام كامل ، ولا شك ان من حق المعتقلين الذين ينتمون الى هذه المنظمة ، الا يحسوا بكثير من الخيبة ، وهم يواجهون سلطة قمعية شرسة ، من غير اي اعلان للتضامن ، لا من المنظمة ولا من احد اتحادات الكتاب في افريقيا وآسيا ..

ايها الاصدقاء ،

ان الالتزام ليس سهلا سهولة الكلمة ، لان الكلمة ليست تجريدا ، بقدر ما هي ممارسة . وانا لا اخاف هنا ان اثير الحساسيات ، فهذا المنبر الذي كلفني اتحاد كتاب المغرب ان اتحدث اليكم بواسطته ، ليس منبرا للمجاملات ، وتفادي الحساسيات المتوقعة او المتوهمة .. ولذلك، وبواسطته ، فانني ادعوكم ان تتحمل مسؤولياتنا كاملة لفضح كل اشكال الرجعية والاستعمار ، المتخفية او المعلنة ، وان نتحمل مسؤولياتنا كاملة في الدفاع عن حرية الكتاب الثوريين في كل افريقيا وآسيا .

عبد الجبار السحيمي

مذكرة ادباء البحرين

تلقينا من أسرة الادباء والكتاب في البحرين نسخة من الرسالة التي وجهتها الاسرة الى رئيس مؤتمر الكتاب الافريقيين الاسيويين ، وننشرها فيما يلي :

البحرين في ١٩ - ٨ - ١٩٧٣

حضرة رئيس مؤتمر الكتاب الافريقيين الاسيويين - الما آتا - الاتحاد السوفياتي .

تحية وبعد :

لقد فوجئت أسرة الادباء والكتاب في البحرين ، وهي الكيان الوحيد لادباء البحرين ، بعدم توجيه دعوة لها لحضور مؤتمر الكتاب الافريقيين الاسيويين في الما آتا ، كما هو الحال بالطبع في توجيه الدعوة لكل الكيانات الادبية لسائر بلدان آسيا وافريقيا .

ونحن بذلك نرفع هذه الرسالة مستفسرين عن سبب ذلك الاجراء الاستثنائي ، خاصة وان اسرتنا تمثل الاتجاه الادبي التقدمي في البلاد. والجدير بالذكر ان اسرتنا (أسرة الادباء والكتاب) قد حضرت منذ تأسيسها جميع المؤتمرات الادبية التي عقدت في بلاد عربية مختلفة الى جانب المؤتمر الافريقي الاسيوي السابق في دلهي .

اننا نرجو الا تقود مثل هذه الخطوة الى خنق صوتنا ، مما يؤدي الى عزلة أدبائنا الشباب الذين يحرصون دائما على توصيل صوتهم التقدمي ليكون مسموعا .

في الختام نامل الا يكون هذا الموقف المستغرب نتيجة لكوننا الوفد الوحيد الذي ساند اتحاد الكتاب اللبنانيين الاحرار في موقفه ضد اضطهاد الكتاب والمفكرين الاحرار في العالم العربي .

مع تمنياتنا لكم بالنجاح في مؤتمركم .

الهيئة الادارية

لاسرة الادباء والكتاب في البحرين

التوقيع : علي عبد الله خليفة

* * *

الارهاب في السودان

وجه عدد من الادباء والمثقفين العرب البرقية التالية :

الرئيس جعفر النميري الخرطوم

الكتاب الموقعون يستنكرون الحملة الضارية التي تشنها السلطة في السودان اليوم على الطلاب والمثقفين الثوريين واعتقالهم ، كما يستنكرون اغلاق الجامعات والمدارس ، ويعتبرون ان القوانين المقيدة للحريات والاحكام العرفية وانتهاج سياسة البطش والارهاب في وجه الحركة الوطنية والاشتراكية عمل يتنافى مع ابسط مبادىء الحرية ويتناقض مع مطامح الشعب السوداني والشعوب العربية في التقدم والتحرر . نطالب بوقف الحملة الظالمة فورا وبالافراج عن المعتقلين الوطنيين والديموقراطيين والقوميين التقدميين .

التواقيع :

سهيل ادريس ، ادونيس ، ميشال سليمان ، حسين مروة ، محمد دكروب (لبنان) جيلي عبد الرحمن (السودان) عبد الله فاضل فارع ، سعيد الشيباني ، محمد سعيد جراده ، عبد الله السلاحي ، كور سعيد عوض (اليمن) عبد الامير معلة ، خليل عبد العزيز ، حسب الشيخ جعفر ، جلال الدباغ ، عبداللطيف بندر اوغلو (العراق) محمود درويش ، معين بسيسو ، ناجي علوش (فلسطين) كاتب ياسين (الجزائر) سعيد حورانيه (سوريا) عبد الرحمن الشرقاوي (مصر) عبد الرحيم عمر (الاردن) عبد الجبار السحيمي (المغرب) .

احتجاج

وجه اتحاد الكتاب اللبنانيين البرقية التالية الى الاستاذ تقي الدين الصلح رئيس الحكومة اللبنانية :

باسم اتحاد الكتاب اللبنانيين نحتج على اعتقال الاستاذ شريف الربيعي سكرتير تحرير مجلة « الى الامام » ونطالبكم بالافراج عنه صونا لحرية التعبير في لبنان .

الامين العام

وقد تلقى الامين العام للاتحاد الرسالة التالية من هيئة تحرير « الى الامام » :

الاستاذ سهيل ادريس المحترم
تحية نضالية ،

قرأنا في بعض الصحف برقية اتحاد الكتاب اللبنانيين الموجهة الى رئيس الحكومة ، التي تستنكر اعتقال الزميل الربيعي ،

ان هذا الموقف الذي وقفه اتحادكم ، ناجم عن التمسك الاصيل بحرية المثقف والدفاع عنه ، وهو تجسيد لموقفكم في مؤتمر تونس ، والمواقف الاخرى التي دافعتم فيها عن حرية الرأي ، ولكن الزميل الربيعي ما زال موقوفا ومحالا للمحكمة العسكرية ، فيما لم يتحرك احد من السلطة احتراما لموقف الاتحاد ولكلمة المثقفين والعلماء والادباء الذين ينطق الاتحاد باسمهم .

ان اعتقال الزميل الربيعي ليس فقط بادرة خطرة على حرية الكلمة وحقوق المثقفين ، بل هو ايضا يهدد الربيعي بالتهمة المزورة والملفقة ضده بالسجن . ولسنا هنا بصدد التفنيد القانوني للتهمة ، ولكن تعقيبنا هو انه يجب البحث عن الحيثيات التي جاءت بها التهمة بعد القاء القبض عليه في ١٨ آب رغم المراجعات العديدة للامن العام قبل ذلك بشهر ، من غير ان يكون مطلوبا بمذكرة القاء قبض غيابية ، علما انه كان معلوم الاقامة والعمل .

ان احالة الزميل الربيعي الى المحكمة العسكرية هي نقطة اخرى منافية للوضع الديمقراطي ، وهي تثير مخاوفنا من ترتيب الامور ضده واصدار الحكم بحقه . ان مساعي اتحاد الكتاب اللبنانيين ينبغي ان تكون متفهمة للخطورة . وبذلك فان تدخلكم شخصيا ودفاعكم بالشكل الذي ترونه فعالا لاطلاق سراح الزميل الربيعي ضرورة ماسة .

ان اساليب القمع السلطوي يجب ان تزول ، وينبغي النضال ضد الارهاب الفكري وحرية الرأي والعقيدة . مطلوب منا الدفاع عن شرف المفكر ونقائه وصيانته من العسف والارهاب الذي يمسخ معظم مفكرينا وكتابنا وادبائنا بيد الانظمة العسكرية وادوات قمع البرجوازية والرجعية .

تحية لاتحادكم العتيد .

ولنتضامن معا للدفاع عن حرية الفكر وحرية المفكرين والادباء في الوطن .

هيئة تحرير الى الامام

* * *

من اتحاد الكتاب الفلسطينيين

أصدر اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين بيانا حول اعتقال شريف الربيعي ، وفيما يلي نص البيان :

صرح الامين العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين بما يلي: قامت سلطات الامن قبل ايام باعتقال الصحفي الكاتب شريف الربيعي سكرتير تحرير مجلة الى الامام ، عضو الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين . وتشير الاخبار الى انه أحيل الى المحكمة العسكرية .

وكانت سلطات الامن قد قامت خلال هذا الاسبوع بمداهمة بيت الاستاذ هاني هندي عضو الاتحاد ايضا والتحقيق معه ، بعد تفتيش بيته . ان الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين يرى في هذين الاجراءين استفزازا متعمدا ضد الكتاب والصحفيين ، وجزءا من الحملات القمعية التي تقوم بها السلطة ضد حرية الفكر والصحافة وضد القوى الوطنية المعادية للصهيونية والامبريالية عموما .

وما الاحكام التي تصدرها السلطات وتنشرها الصحف في مجال معاقبة من تسميهم المشاركين في حوادث ايار الا دليل على ان في السلطة من يريد انتهاك كل الاتفاقيات والسير على طريق الاستفزاز والتوتر واغراق البلاد في الدماء .

اننا نرى في هذا كله بوادر خطيرة تنذر بردود فعل مماثلة ، ونحن نحمل السلطة مسؤولية كل ما يمكن ان يحدث نتيجة هذه الاستفزازات المتعمدة ، ونحن نطالب الكتاب والصحفيين في لبنان والبلاد العربية بشجب هذه الاجراءات وادانتها وتعرية الذين يقومون بها خدمة للمخطط الصهيوني الرجعي .

كما اننا نطالب القوى الوطنية العربية في لبنان وكل البلاد العربية باستنكار هذه السياسة الخرقاء وادانة المخططين لها ومنفذيها .

ونطالب القوى الشريفة المشاركة بحكومة الاستاذ تقي الدين الصلح بتحديد موقف ، من هذا الوضع ، كما نطالب دولة رئيس الوزراء الاستاذ تقي الدين الصلح باتخاذ الاجراءات اللازمة للحيلولة دون تجدد مثل هذه الاجراءات . وان أحسن دليل على العودة عن الاستفزاز والالتزام بالاتفاقيات .. يكون باطلاق سراح شريف الربيعي والمعتقلين عموما والكف عن ملاحقة المتهمين بالمشاركة في أحداث أيار .

وما لم يحصل هذا كله فانه سيكون واضحا ان السلطة مصممة على اثارة الاحقاد وتأجيج نار التوتر والاعداد لجولة دموية جديدة .

* * *

من نقابة الصحافة بالعراق

تلقى نقيب الصحافة الاستاذ رياض طه البرقية التالية من نقابة الصحفيين في العراق :

« تلقت نقابة الصحفيين العراقيين ببالغ القلق نبأ اعتقال الزميل شريف الربيعي بتهمة غامضة اثناء مراجعته السلطات المختصة لتمديد اقامته في القطر اللبناني الشقيق . ان نقابتنا في الوقت الذي تستغرب فيه ملاحقة الصحفيين العرب الذين كرسوا أقلامهم لخدمة القضية الفلسطينية وحركة المقاومة الباسلة ، ترجو تدخلكم الشخصي والسريع لاطلاق سراح الزميل التزاما بحرية الكلمة العربية وحماية للعاملين تحت لوائها » .

* * *

الى وزير الثقافة المغربي

وجه اتحاد الكتاب اللبنانيين البرقية التالية الى وزير الثقافة في المغرب :

نحتج مجددا على اعتقال الاساتذة عبد اللطيف اللعبي وانيس بلفريج ومحمد شبعا وعبد اللطيف الدرقاوي أعضاء اتحاد الكتاب في المغرب وعلى محاكمتهم في محكمة الدار البيضاء بتهمة حيازة كتب ومجلات ! انها لاعجب تهمة توجه الى كاتب ! نطالبكم بالتدخل لوقف هذه التدابير التعسفية .

الامين العام

الى وزير الثقافة التونسي

وجه اتحاد الكتاب اللبنانيين البرقية التالية الى وزير الثقافة في تونس :

بلغنا ان الشاعرة التونسية فضيلة الشابي تعرضت لاجراء تعسفي من السلطات التونسية بحجز حريتها في الالتحاق بزوجها في الخارج وسحب جواز سفرها . نطالبكم بالتدخل لالغاء هذا التدبير الذي يتناقض مع الدستور التونسي ومع كل ما أقرته الهيئات الدولية المختصة بحماية حقوق الانسان .

الامين العام

* * *

من شاعر مصري

عزيزي الدكتور سهيل .
تحية عربية وبعد
فقد تأخرت هذه الرسالة كثيرا عن موعدها ، ومع هذا فلاستدرك ما فاتني وأشكرك انت والزملاء الاعزاء من المثقفين العرب الذين وقفوا بجانبنا وخاصة المثقفين اللبنانيين الذين أثبتوا انهم من أخلص مثقفينا لقضية النضال وحرية الفكر .

التوقيع

* * *

من كاتب سوري

سيدي العزيز الدكتور سهيل ادريس
تحية طيبة وتقديرا لجهودكم ونضالكم في سبيل حرية الادب والادباء .
وبعد :

ان لم نكن قادرين ـ نحن قراء « الآداب » هنا ـ على ان نجد « الآداب » ونقرأها منذ أشهر بسبب منعها ـ مع ما عرفناه دائما من اتجاهها الوطني والقومي ـ فاننا لنسجل احتجاجنا وعميق أسفنا على ذلك . واننا لنشد على أيديكم تضامنا معكم .

دريكيش (سورية) **احمد يوسف داود**

* * *

من كاتب سوري آخر

عزيزي الدكتور سهيل ادريس .
اطيب التحيات ..

ما زالت عواطف كتاب سورية مع « الآداب » وما زال طائر الحرية يفرد في صدورهم . ونحن لن نتخلى عن « آدابنا » في أزمتها، حتى ولو لم تصل أعدادها الينا .

دمشق **رياض عصمت**

* * *

من شاعر اردني

عزيزي الدكتور سهيل ادريس ...
رئيس تحرير ـ الآداب ـ المحترم
تحية وبعد :
حين يستفحل الصمت ، ويعم الظلام ، تستنهض الكلمة فارسها ، وتستصرخ الظلمة بدرها .

وستبقى آدابكم ، المتنفس الطبيعي ، لارهاصات التجاوز ، المكاني والزماني ، للابداع الفكري العربي ، الطامح الى اعادة تشكيل واقعه العام على نحو اكثر تقدما ، ومن منظور كلي انساني ، بالكلمة الشجاعة ، والنقد البناء ، والفكر الحر .

أؤيد موقفكم الجريء في مؤتمر الادباء بتونس .
مزيدا من الخطوات الجريئة والرائدة .
مع خالص حبي وتقديري .

اربد (الاردن) **احمد المصلح**

* * *

من شاعر ليبي

دكتور سهيل ادريس المحترم
كل التقدير والاحترام .
كان التناقض في مؤتمر الادباء العرب التاسع في تونس ، حتميا !

موقفكم هو الصورة التاريخية الوحيدة ، له . بطولته الوحيدة . مزقني الالم ، يا أستاذنا العزيز ، ان يلقوا أصابعهم الثقيلة على أنفاس كلمتك . هكذا يندمج الحبر بالدم ، نعرف وجوههم ووجوهنا ، ونقول للرياح الاربع ان تعصف .

تحية لاتحاد الكتاب اللبنانيين ، تعبر عن عذابنا المستمر مع كل ما هو رسمي وما هو قمعي ، تحمل شاراتنا وأسمالنا الممزقة ، وتعبر فوق رؤوسهم ، تكشف عوراتهم حتى يسقطوا !

طرابلس الغرب **علي الخليلي**

* * *

من كاتب كويتي

سيدي رئيس التحرير الاكرم
ألف تحية وبعد ،

ان ولاءنا للكلمة الحرة ، الكلمة التي تناضل من اجل استرداد شرفها .

ولاءنا للاداب برغم المنع ، برغم المصادرة . وتحيتنا لاتحاد الكتاب اللبنانيين .

الكويت **ابراهيم زعرور**

* * *

من شاعر تونسي

حضرة الدكتور سهيل ادريس

تحية وسلاما وبعد : أعرب لكم عن تأييدي لمواقفكم الشريفة في الدفاع عن الادباء العرب وما جاء في بيان اتحاد الكتاب اللبنانيين المنشور في عدد افريل من مجلة « الآداب » .
اليكم تحياتي ومزيدا من الصمود ...

تونس **عبد السلام لصيلع**

كائنات مملكة الليل

أنا اله الجنس والخوف ، وآخر الذكور
اظنها التقوى وليس الخوف ،
أو اني اردّ الخوف بالذكرى ،
فأستحضر في الظلمة آبائي ،
وأستعرض في المرآة اعضائي ،
والقي رأسي المخمورة في شقشقة الماء الطهور

تركت مخبأي لألقي نظرة على بلادي ،
ليس هذا عطشا للجنس ،
انني أؤدي واجبا مقدسا .
وانت لست غير رمز فاتبعيني ،
لم يعد من مجد هذه البلاد غير حانة ،
ولم يبق من الدولة الا رجل الشرطة ،
يستعرض في الضوء الاخير ،
ظله الطويل تارة ، وظله القصير !

((اغنية العنكبوت))

أنسج ظلي حفرة
أنسج ظلي شبكه
أقبع في بؤرتها المحلولكه

بعد قليل ينطفىء الضوء
وتمتد خيوط الشبكه
تمسك رجل الملكه !

* * *

في الليل كان الصيف نائما .
لماذا لم نعد نشهد في حديقة الارملة الشابة زوّارا ،
لماذا لم تعد تهبّ في أجسادنا رائحة الفلّ ،
ويمشي عطرها الفاتر في مسامنا ؟!
في الليل ، كان الصيف في حديقة ما نائما عريان ،
كان رائعا بمعزل عنا ،
بعيداً كصبيّ صار في غيبتنا شابا جميلا ،
يعبر الآن بنا ولا يرانا ،
آه !
كان الصيف يملأ الشهور

من غير ان يلمسنا

تلك عناقيد الندى
ترشح في أرنبة الأنف ،
وفي تويجة النهد الصغير
والجسد الورديّ يستلقي على عشب السرير ،
والفراشات على الاغصان زهر عالق ،
وعتمة البستان لون نائم ،
فأمكنيني منك يا مليكتي
ان اكفّ شجر الصبار برعمتي ،
وكاد الليل ينتهي .. وما زلنا نطير !

((أغنية اليعسوب))

أنسج ظلي برعما
وكائنات شبقه
أبحث عن مليكتي
في غيمة ، أو صاعقه
أطبع قبلتي
على خدودها المحترقه
منتظرا نهايتي
منتظرا قيامتي
فراشة ، أو يرقه !

* * *

آه من الفلّ الذي يعبق في واجهة الدار ،
من الضوء الذي يشعّ كالماسات في مفارق النخل ،
من الظل الذي يلعق في الماء تجاويف الصخور !
من اليمامات التي تهدل في الذكرى ،
وتستوحي جمالنا المحجب الاسير !
من قطرة الماء التي ترشح في آنية الماء ،
كوجه من نقاء خالص ،
يطلع في الصمت وفي الظل القرير
يعشق في المرآة ذاته سويعات الهجير !
آه من الموت الذي يظهر في رائعة النهار لصا فاتنا
فتخرج النساء ينظرن اليه والهات ،

ويعرّين له في وهــج الشمس الصــدور
والنحور !

✶ ✶ ✶

الليل أنثى في انتظاري ،
هذه مدينة عطشى الى الحبّ ،
أشمّ عطرها كأنه مواء قطة ،
أرى رقدتها في اللؤلؤ المنثور ،
في حدائق الديجور .
آه !
كيف صار كل هذا الحسن مهجورا ،
وملقى في الطريق العام ،
يستبيحه الشرطيّ والزاني ،
كأني صرت عنينا فــلم أجب نداءها الحميم
المستجير
تلك هي الريح العقور
أحسها تقوم سدا بين كل ذكر وكل أنثى ،
انها السمّ الذي يسقط بين الارض والغيم ،
وبين الدم والوردة ،
بين الشعر والسيف ،
وبين الله والامة ،
بين شهوة الموت وشهوة الحضور !

« أغنية البومة »

انسج ظلي مدنا مهجورة
ومدنا معاديه
أبيض في الاحلام والارحام ،
دنيا ثانيه
ليدخلوها ان أتى الليل فرادى ،
ينظرون في مراياها النفوس الخاويه
والاوجه الاخرى التي صارت لهم
بعد اتصال الامهات بالجيوش الغازيه !
الخوف صار وطنا
وصار عملة ، وصار لغة قومية
صار نشيدا وهوية ،
وصار مجلسا منتخبا ،
والخوف صار حاميه !

✶ ✶ ✶

آه من الرغبة حين فاجأتني آخر الليل ،
كأنما هي الوحي السماويّ ،
او انها النذير
حين ترجلت ، واطلقت حصاني ، وركضت هائما
تدلني حاسة شمي في الظلام ،
ها هي الذكرى تضيع الآن مني ،
أفقد الصواب تحت أنجم تقطف باليدين ،

لم أعد أنا الفارس ،
اصبحت الحصان الجامح الصاهل
في ايقاع ركضه الجنونيّ المثير !
النجم لا يقطف باليدين ،
لا تلين لي حجارة الاهرام ،
لا تزهر لي شجيرة الذكرى
ولم أزل ادور وادور وادور
ادور في ايقاع ركضي الجنونيّ المثير !

« أغنية المرايا »

تقول لي في صفحة الكأس طفولتي الغريقه
تظل عطشان الى نهاية الخليقه
تقول شهرزاد كلما اشتهيت طفلة
مولاي !
ان العنب الاخضر لا يشعل ما لا تشعل الخمر
العتيقه
يقول لي سور الحديقة
دع عنك ما تقول في الفلّ
وأشعلها حريقه !

✶ ✶ ✶

كانت اشارات المرور
صريحة .
قتلتني أيتها البلاد ،
في عش غرامك المليء بالكلاب والنمور
والكوابيس ، المحاط بالتوابيت ،
المغطى بهياكل السلالة التي انحدرت منها ،
فاتركيني أغتسل في الدم ،
اترك نطفتي في الريح ،
ها أنا أشمّ الآن يا مليكتي عطرك في الخوف ،
أحسّ لاقترابك الحميم لوعة ،
فساعديني ان تكون لحظة العناق لحظة العبور !

✶ ✶ ✶

في الليل كان العنكبوت
يأكل جدران البيوت
وكنت عاجزا ، فهرولت الى الافق ،
واسندت اليه قامتي كأنني مئذنة ،
ثم حززت عنقي بمدية ،
فانسربت حولي نهيرات دماء
وتصايحت على رأسي الصقور !
أنا
اله الجنس والخوف ،
وآخر الذكور !

القاهرة — **أحمد عبد المعطي حجازي**



الحياة الأدبية في مصر

اثار التقرير الذي نشرته « الآداب » في عددها الماضي حول « الحياة الادبية في مصر » بقلم « ع » اصداء واسعة في الاوساط الادبية العربية تتراوح بين التقدير والتشكيك. وكانت « الآداب » قد قدمت لهذا التقرير بكلمة دعت فيها الكتاب والادباء ، في جمهورية مصر العربية خاصة ، الى ابداء آرائهم فيه حرصا منا على بلوغ الحقيقة التي يبدو ان التقرير قد انحرف عنها في بعض المواضع ، وخاصة بالنسبة لكتاب وادباء مصريين نحترم اسهامهم الفعال في الحياة الفكرية في مصر الشقيقة . وقد تلقينا ثلاثة ردود على التقرير حتى الان ننشرها حرفيا في ما يلي ، ونود ان نؤكد للقراء الكرام وللاستاذ رجاء النقاش الذي نقدره اعمق التقدير ، ان الاستاذ غالي شكري ، كان اول من بادر الى التعليق على التقرير . نقول هذا اثباتا للواقع لا دفاعا عن غالي شكره او سواه .

« الآداب »

دفاعا عن الثقافة قبل المثقفين ..

بقلم غالي شكري

« تقرير عن الحياة الادبية في مصر » عنوان طموح لان يكون وثيقة قابلة للابداع في سجل الثقافة المصرية .. ولكنه طموح خانته القدرة والذاكرة معا ، فلم يترك في خاتمة المطاف سوى مجموعة من الانفعالات الذاتية الحادة .

من ناحية الشكل ، يبتعد هذا المقال الذي نشرته « الآداب » في عددها الماضي ، عن كافة الاصول المتعارف عليها والمبتكرة على السواء فيكتابة هذا النوع من الوثائق التسجيلية . انه ليس اكثر منانطباعات مبعثرة يمينا ويسارا لا يجمعها ضابط سوى « الانفعال » الذي ادى الى ابتسار الحقائق ورؤيتها على نحو ضبابي غائم . والنية الطيبة وحدها لا تغفر لكاتب التقرير مغامرته . واود أن أركز على هذا المعنى ، فلست اشك مطلقا في الدافع النبيل للاستاذ « ع » حين شرع يفكر في هذا الموضوع . لقد أحس انه يعيش في القاهرة وسط ظلمة طاغية وفوضى مخيفة وبلبلة مروعة . ولكن هذا الاحساس لم يقده الى محاولة التأني في رصد المقدمات والنتائج واستقصاء العوامل الخفية والظاهرة وتلمس الابعاد الحقيقية للازمة . ويخيل الي انه أحد الادباء الشبان ممن يمارسون « الفن » لا كتابة البحوث ، كما يخيل الي انه صغير السن . ذلك أن تقريره يفتقد الاوليات اللازمة لكتابة مثل هذا المقال ، كما انه يفتقد الخبرة والتجربة الناضجة (ولعله الآن يضحك ملء شدقيه ساخرا من هذا الرجل العجوز الذي يفكر بهذه الطريقة) .

ولكن الانفعال لم يكن في يوم من الايام ، بمفرده ، دليلا على الشباب والتفكير الحي . انه على العكس ، يسيء الى القضية المطروحة ، لانه اختار لها منذ البداية قالبا تعبيريا نفترض فيه القدرة على الاقناع . وهذا لن يتأتى ما لم يتسلح بادوات المنطق وما لم يملك عناصر السياق مكتملة وما لم يكن متفهما لمعنى النسبة والتناسب في اختيار التفاصيل وطريقة فرزها وتصنيفها وتبويبها .

وحين يتصدى كاتب للحياة الادبية في مصر ، عليه ان يحدد منذ البدء : الاطار التاريخي للبحث (الحيز الزمني) ونوعيةالقضية التي ينشد معالجتها في حدود هذا الاطار او الحيز . وأرجو أن يوافقني الاستاذ « ع » انه لم يفكر في هذه البديهيات مطلقا ، بل هو ترك قلمه على السجية (أو انه ترك لقلمه العنان كما يقال) ليسجل ذكريات وخواطر جزئية غير مترابطة لا تخاطب عقل القارىء وانما تودع في وجدانه احساسا عاما بالقرف والبلبلة . تأمل معي قول الكاتب مثلا : « واذا سألت عن السبب ، لم تجد الا رجع الصدى ، وبتأكد لك عبث أسئلة كثيرة في هذه الحياة الفانية » . وهي جملة أتصور مكانها في قصة قصيرة ، ولكن مخيلتي لا تستطيع استيعابها في سياق الحديث عن اعتقال بعض المثقفين من جانب السلطة ، فلا شك ان هناك أسبابا اوقف كل من المثقف والنظام ، ولا شك أيضا انه ليس من العبث في شيء ان نطرح هذا الموقف للسؤال والجواب ، ولا شك أخيرا ان « الحياة الفانية » لا تستحق أصلا أن يتجشم الانسان من أجلها عناء الكتابة .

واذا صح ظني ان كاتب التقرير « فنان شاب » وليس ناقدا او باحثا ، وقد عاش أحداث الفترة الاخيرة من حياة مصر الادبية ، فقد كان من الافضل له ولنا أن يسجل ذكرياته « الشخصية » الحميمة ، أي المنطلقة مباشرة من ذاته المفردة والمرتبطة بما رآه فعلا وعايشه من أحداث ، دون أي تحليل . حينذاك كان المقال جديرا بأن يكون « شهادة » واقعية ، يعاملها التاريخ الادبي في هذه الحدود . ولكن الكاتب لم يؤثر الطريق الموضوعي للبحث ولا هذا المعنى للطريق الذاتي ، فجاء مقاله مزقا متناثرة في الهواء .

مثلا ، ولا زلنا في اطار الشكل ، انه لم يحدد حيزا زمنيا « للحياة الادبية » التي يناقشها .. فهو يبدو أحيانا كما لو كان مهتما بالمرحلة التالية للهزيمة ، وأحيانا أخرى كما لو كان مهتما بالسنوات الاولى من الستينات حين ظهرت مجلات وزارة الثقافة . وهو كذلك لم يحدد « القضية » التي يتناولها بالتحليل ، فهي أحيانا صراع الاجيال ، وهي أحيانا أخرى صراع السلطة والثقافة . وقد نتج عن هذا الخلط مباشرة ان المقال فقد من البداية الى النهاية خصائص اللوحة الثقافية لاحدى المراحل ، وأصبح نهبا لانفعال الوجدان ـ حينا العام وحينا الشخصي ـ الذي وجه الذاكرة الى التقاط تفاصيل تضخمت لدى الكاتب حتى أمست وكأنها الخطوط الرئيسية ، والى اغفال حقائق كبيرة تضاءلت عنده حتى أمست

وكأن لا أهمية لها . وفي التفاصيل والخطوط العامة على السواء لم تكن « الفكرة » هي العمود الفقري الذي يجمع حوله هذه وتلك ، وانما « الانطباع الباحث » هو السيد الذي أبرز من التفاصيل وتجاهل من الخطوط العامة ، ما وقع بالكاتب في فخ الرضا بالنفس والالوهية أحيانا .

وعندما نحاول هنا ان نجمع الشتات الطائر في كل صوب ، نكون قد وصلنا الى حافة « المضمون » . وسوف أراجع أولا ما جاء في المقال من تصور للاحداث والوقائع ، وسوف أحتفظ لنفسي ثانيا بحق ابداء الرأي في تحليل الكاتب لهذه الاحداث والوقائع ، ثم سأحاول ، أخيرا ، ان أطرح تصورا بديلا .

١ ـ الفقرة الاولى من التقرير تطمح الى شخيص الوضع الراهن للثقافة المصرية ، فتقول انه « يلوح في الافق بوادر فترة من انتكاسة ثقافية حقيقية ، نتيجة لما يحدث الآن في الساحة الثقافية في مصر من محاولات السلطة الادبية الرسمية ، لعزل الكتابة واغلاق مجالات النشر ، وسيادة اتجاه ، كان المفروض انه يعيش دوما على هامش الحياة الثقافية في مصر » . والمطلوب في رأي الكاتب لمواجهة هذا الطوفان هو « عدم الفرجة والجلوس على المقاهي واصدار التأوهات والزفرات » بل « نبقى المسؤولية على كاهل المثقفين ـ في مصر والوطن العربي والعالم أجمع ـ لكشف هذه الجريمة وتعريتها وادانتها والتنديد بها حتى تسقط » .

والحق ان كلا من التشخيص والعلاج معا ، يبلغان من التبسيط والارتباك مبلغا لا يلامس في الكثير او القليل جوهر الازمة الراهنة في مصر . ورغم الانفعال الحاد في طريقة التعبير ، فانه يبقى على السطح انطباعا باهتا وليس معالجة جذرية للامور .. فما يدعوه صاحب التقرير بالسلطة الادبية الرسمية ، ليس شيئا طارئا على مناخ الثقافة المصرية طيلة العشرين عاما الماضية . ان نادي القصة فجمعية الادباء فالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، لم تكن جميعها في يوم من الايام بعيدة عن هيمنة « السلطة الادبية الرسمية » التي يعنيها الكاتب . ولعل الرمز الحيوي لاستمرارية هذه السلطة ومركزيتها الرهيبة هو بقاء يوسف السباعي طيلة هذه المرحلة سكرتيرا عاما لكل هذه المؤسسات ، وما يفرض وجوده الشخصي من حاشية تلازمه في كل موقع . ومن ثم فليس هناك جديد في هذا الصدد ، ولا يمكن ان يكون هذا التصور للسلطة الادبية صالحا لتفسير ما حدث وما يحدث . السلطة الادبية الرسمية ـ أكرر ـ لم تتغير ، وتعيين يوسف السباعي وزيرا للثقافة لا يجسد تحولا خطيرا ، فقد كان من قبل وصوله الى السلطة التنفيذية مهيمنا على مختلف فروع الثقافة ، وهو ليس اكثر سوءا من سليمان حزين او بدرالدين ابو غازي او عبدالقادر حاتم او ثروت عكاشة (حتى في عهد هذا الاخير تم اقصاء ممثلي اليسار عن المسؤوليات الادارية التي كانوا يتولونها في وزارته) .

السلطة الادبية لم تتغير جوهريا اذن ، ومع هذا فقد حدث تغير ما ـ وهو تغير خطير بحق (١) ـ لم يشر اليه الكاتب رغم انه بدونه لا يمكن استقراء الحوادث بعمق ولا يمكن الوصول ـ من ثم ـ الى استنتاجات صحيحة .

وما يطالب به الكاتب المثقفين في مصر والوطن العربي والعالم كله ، لا يخرج عن حدود الشعار ، وحتى في هذه الحدود ، فهو شعار مبتور الصلة بالسياق .. لاننا لم نفهم تماما كنه « الجريمة » التي يقصدها حتى نفهم ماذا يعني بكشفها فضلا عن وسائل اسقاطها. اذا كانت الجريمة هي وجود يوسف السباعي وبطانته في قمة السلطة

(١) انقلاب ١٤ مايو ١٩٧١ .

الادبية ، فهي جريمة قديمة ، واذا كانت الجريمة هي عزل الكتاب وابعادهم عن مواقعهم ، فهي الاخرى جريمة قديمة (الفصل بالجملة من نقابة الصحفيين عام ١٩٥٤ والفصل بالجملة من الصحف عام ١٩٦٥) .. ولا يعني ذلك ان الجريمة سقطت بالتقادم ، ولكن يعني ان تشخيصها ومعالجتها يتطلبان تصورا أعمق وأكثر جذرية للمسائل المطروحة الآن .

٢ ـ الفقرة الثانية تقول بالحرف « ليس ثمة امكانية لحدوثه (أي التواصل) في مناخ ملوث ، يساهم فيه الكتاب بصمتهم أو مساوماتهم ، بمثل ما يحدث للاسف الشديد ، ممن كنا نتصور انهم روادنا الذين يجب علينا ـ نحن الاجيال الطالعة ـ محاكمتهم بعنف » .

الصمت والمساومة ؟ لو كان هذا حال المثقفين المصريين ، لما اتخذت منهم السلطة مواقفها العنيفة . ان لهجة الاطلاق والتعميم هي مصدر الخطر الذي ينزلق بالكاتب الى مهاوي النرجسية ـ باسم الجيل الطالع ـ والى النظرة الاحادية الجانب التي لا ترى الظاهرة في حركتها وبالتالي لا تتعرف عليها ولا نملك اهلية تقييمها . لقد صمت بعض الكتاب . نعم . وساوم البعض الآخر . نعم . ولكن الذين لم يصمتوا ولم يساوموا من الفعالية والتأثير بحيث أصبح كلامهم وصلابتهم مصدرا لقلق حقيقي لدى القائمين على السلطة .

هذا التقييم غير المنصف كان الثمرة الطبيعية لطريقة الكاتب في التعبير ، اذ آثر الحديث عن الشكل الخارجي للاحداث ، ولم يمسس قط تخوم الانتاج الفعلي للمثقفين ومواقفهم . لقد كان يهمني كقارىء ان يطلعني صاحب التقرير على آرائه في كتابات الادباء والنقاد المصريين ، ومدى انسجامها مع مواقعهم من الاحداث المتفجرة. لقد ذكر أسماء العشرات دون اشارة واحدة الى مؤلفاتهم وماذا تقول، وسلوكهم وكيف يتحرك . ربما لو انه فعل لما تورط في أحكامه الهلامية غير المبررة موضوعيا من « واقع » الثقافة ومحتواها الفكري ، لا من هيكل « الاحداث » الثقافية العامة . كان بودي لو انه أضاء بصيرتي بقراءة جديدة لاعمال نجيب محفوظ ولويس عوض ويوسف ادريس وصلاح عبد الصبور ورجاء النقاش وغيرهم ، ابان المرحلة التي يطمح لان يؤرخ لها ، وأن يضاهي بين هذه الاعمال الفكرية والفنية والمواقف السياسية .. وحينذاك كان عليه ان يطلع على البيانات التي كتبت (لا أن ينسبها في كلمة واحدة الى توفيق الحكيم) والمحاضرات التي ألقيت في الجامعة والصراع الضاري في نقابة الصحفيين . كان عليه ان يفعل ذلك كله قبل ان يلتقط « نهايات » المسائل للحكم باعدام هذا أو ذاك من المثقفين .

هذا بالاضافة الى ان الفكرة النرجسية « عقد المحاكمات » موغلة في تضليل الذات عن رؤية حجمها وحجم الآخرين . ان « الجيل الطالع » نفسه ليس قطاعا متجانسا ، تتعدد انتماءاته تعددا مذهلا ، والممتازون منه يحتاجون الى التفاعل مع بقية الاجيال التي أعطت ولا زال بعضها يعطي ، بينما « الجيل الطالع » لم يرتفع عطاؤه بعد الى مستوى « العدالة الالهية » التي تحكم على « البشر » بعيون مغمضة . في صفوف الجيل الطالع اعداد هائلة قبلت الرشاوي الصغيرة التافهة ، وأعداد أخرى تعاني من انفصام الشخصية ، مزدوجة الفكر والسلوك .. والاعداد القليلة النادرة ، الموهوبة والواعدة بالعطاء ، تتواصل مع الرموز المضيئة في بقية الاجيال دون تعال أو غرور ، بل بكل رغبة أصيلة في التعلم .

٣ ـ وعلى ذلك فقد جاءت معظم الاحكام التي اطلقها صاحب التقرير على الاشخاص والاحداث والمواقف ، أبعد ما تكون عن الصواب والموضوعية وحسن التقدير .

وبالنسبة للاشخاص سوف أتناول أربعة أمثلة فقط ، من بين

عشرات الاسماء التي ذكرها الكاتب . ان الاستاذ « ع » الذي بدأ تقريره بهذه الكلمات : « وهناك من القهر والحصار ما يفوق الطاقة » يسمى هذا المعنى تماما وهو يمسك بسكينه يذبح من يشاء . ومن الواضح ان موقفه بالنسبه لبعض الاشخاص لم يكن مصدره فحسب « الغيرة السياسية على الوطن » بقدر ما كانت لديه نظرة مسبقة وعوامل شخصية لا أدري كنهها ولكني أشعر بها محلقة بين السطور . خذ رأيه في رجاء النقاش مثلا . لقد خصه وحده ، بتلك الواقعة التي أوردها مبتورة وخارج سياقها ، فرجاء النقاش لم يكتب بيانا « يؤيد قرارات العزل » والا كان يدين نفسه بنفسه ، ان البيان الوحيد الذي تبنى هذه القرارات بصورة ضمنية هو بيان يوسف السباعي وفكري أباظة وصالح جودت ويوسف الشاروني وادوار الخراط (!!!) ورجاء لم يوقع على بيان السباعي ولا على بيان توفيق الحكيم ... ولعل عزله رغم عدم توقيعه على شيء معناه الوحيد ان « تاريخ » رجاء عند أصحاب الامر والنهي هو « التهمة » المسلطة على عنقه دائما منذ ١٥ مايو ١٩٧١ (من الغريب حقا ان يغفل الكاتب عما حدث لبعض الصحفيين في هذا اليوم : احمد بهاء الدين وكامل زهيري وسامي داود ومحمد عودة ورجاء النقاش ومحمود العالم) . ان تاريخ رجاء الذي يعاقب عليه الآن ، كغيره ، هو الذي دفع « ع » لان يقول في مواضع أخرى « فقدت مجلة الهلال دورها العظيم السابق » .. ألم يكن يقصد عهد رجاء النقاش ؟ ولكن « العامل الشخصي » يبرز حتى في طريقة التعبير لدى كاتب التقرير ،

انه وهو يمتدح الفترة التي أمضاها رجاء مشرفا على روايات الهلال وكتاب الهلال ومجلة الهلال لا ينسى ان يغمز قائلا ان هذه « الاعمال التي لا نشك في قيمتها » قد تمت خارج مجال المعركة بين القديم والجديد و « بسبب بعض العداوات الشخصية لرجاء نفسه » !

هل يتصور عقل ان ظهور « موسم الهجرة الى الشمال ، وأبناء وعشاق ، وصمت البحر ، وأميركا » - وهي الامثلة التي أوردها الكاتب دون غيرها - كان بعيدا عن معركة القديم والجديد ؟ وأين « العداوات الشخصية » فيما ظهر من هذه الاعمال ؟ لعله من أسباب نجاح رجاء كصحفي ، انه يميز تماما بين علاقاته الشخصية والمادة الجيدة ، وانه يحرص أولا وقبل كل شيء على ان تكون المجلة أو السلسلة التي يصدرها منبرا ناجحا من الناحية الصحفية ، واسهاما وطنيا وتقدميا من الناحية السياسية . ولذلك ، يا صديقي ، عزلوه ! عزله الفاشلون مهنيا الرجعيون سياسيا . أليس كذلك ؟

أما نجيب محفوظ فيأخذ عليه انه « كان بامكانه اذ ذاك تقديم أعمال الشبان ، الامر الذي يرفضه دائما ، أو العمل على فتح الابواب لهم ، أو قول رأيه بصراحة فيهم » ، « وقد اصبح كاتبنا نجما لامعا الآن » ، وكان « كما لا يزال يعيش على مآثره السابقة : الثلاثية ، ثرثرة فوق النيل ، ميرامار ، قصته القصيرة الوحيدة تحت المظلة » .
ويبدو ان الكاتب قد تأثر الارهاب بالارهاب ، فجنح في هذه العبارات الى أسلوب محاكم التفتيش ، اذ راح يحكم بالنوايا . انني في حدود ما أعلم ، أشهد بأن نجيب محفوظ من بين أبناء جيله كان الكاتب الوحيد الذي خص الشباب بجزء لا يستهان به من وقته وجهده وفكره ، وانه في أحد اجتماعات « الاهرام » كان مناضلا عن انتاج الشباب وضرورة نشره وتقييمه - وكلفت أنا شخصيا بالمهمة الثانية التي طورتها في ملحق الطليعة - كذلك فقد تدخل نجيب محفوظ بكل وزنه من أجل الحياة المادية لبعض الادباء الشباب ، كان ينجح وكان يفشل ولكنه لم يبخل بالمحاولة فهو ليس وزيرا . كما ان نجيب محفوظ - بعيدا عن جلسة ريش - كان يعطي رأيه لمن يشاء فيما يكتب . ونجيب محفوظ لم يصبح نجما « الآن » بل هو نجم عن جدارة ومنذ أمد بعيد ، وأعماله التي أوردها الكاتب في سياق « الماضي » قد صدرت - باستثناء الثلاثية - بعد ١٩٦٥ والى ١٩٦٧

أي انه - باعتراف صاحب التقرير - كان لا يزال يعطي حتى هذا التاريخ ، وليس هذا بالقليل !

ان لي شخصيا الكثير من التحفظات على نجيب محفوظ ، وهي تحفظات علنية نشرتها مرارا وضاق بها بعض عشاق الكاتب الكبير ، ولكن هذا لا ينفي ان ما جاء في مقال « ع » عار من الصحة مفطى بالانفعال الشخصي الهزيل . وهو الانفعال الذي يصاحبه في قوله عن يوسف ادريس انه « أخذ يتنبه الى نفسه ومستقبله المشرق في الاهرام » . ولست أدري أي مستقبل مشرق جرى اليه يوسف في « الاهرام » . يبدو ان البريق الخارجي للمؤسسة الكبيرة ، يضلل العيون السطحية الساذجة عن حقيقة المحتوى . ان ماضي وحاضر ومستقبل يوسف ادريس ظل دوما في كتبه لا في المنابر الصحفية التي عمل بها ، والمرتب الذي يأخذه في نهاية كل شهر يتقاضاه محررون صفار النفس والموهبة ، وقصصه أو مقالاته غالبيتها لا تأخذ طريقها الى النشر ، فأي « مستقبل مشرق » في الاهرام هرول اليه يوسف ادريس ؟ يا ناس !!

وصلاح جاهين - يقول الكاتب - « تخلى عن الشعر الى أنواع أخرى أكثر درا للربح » . وليس هذا صحيحا ، فان ملحمة « على اسم مصر » التي كتبها جاهين منذ عام هي أعظم ما كتب من شعر على الاطلاق ، رغم ان الجزء الآخر من وصف التقرير له صحيح ، ولكنها النظرة الاحادية الجانب .

وصلاح عبد الصبور لا يمكن تقييمه - والخلاص منه - بمقالين كتبهما عن أدب الشباب نختلف حولهما او نتفق ، ولا بموقعه في دار الكاتب العربي حيث استطاع بقدر ما أتيح له من النفوذ الفعلي وفي حدود الهيكل العام للمؤسسة - وهو أشمل من شخصه وأكبر - أن يعطي الثقافة عطاء شابته بعض أوجه القصور .. ولكننا في خاتمة المطاف لا نستطيع تقييم صلاح عبد الصبور الا من خلال أعماله الفنية في مقامه الاول : مأساة الحلاج ، مسافر ليل ، الاميرة تنتظر ، ليلى والمجنون ، بعد أن يموت الملك . وأيا كانت التحفظات الشعرية والمسرحية على هذه الاعمال ، فلا خلاف على انها وقفت الى جانب حريتنا وانساننا . ولذلك - أيضا !! - عزلوا صلاح عبد الصبور .

المدهش حقا ان الكاتب « ع » لم يتصد بنفس المقدار الذي تصدى به للكتاب الوطنيين والتقدميين ، لكتاب الثقافة الرجعية المدمرة للعقل والوجدان المصري . ان الدور التخريبي المروع الذي قامت به أجهزة الفكر الرجعي في مصر لم تنل منه سوى الشعارات العامة والآهات الركيكة . وكان جديرا بتقرير عن « الحياة الادبية في مصر » أن يركز الضوء ساطعا على بؤر التآمر وشبكاتها الجهنمية وأساليبها الباطشة بكل القيم والتقاليد التي أرستها الثقافة المصرية منذ فجر نهضتنا . انه حين يتذكر فجاة مجلات القصة والشعر ، ليسب تيمور وثروت أباظة لا يتناول عام ١٩٦٥ الذي سقطت فيه هذه المجلات بتحليل المؤامرة التي شارك فيها المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب (بيان لجنة الشعر الشهير) وكيف وقف المثقفون المصريون وقفة بطولية في وجه الردة ، ولا كيف كانت هذه المؤامرة الثقافية ظلا لمؤامرة اكبر أعد لها الاخوان المسلمون . ان جرثومة الفساد في هذا التقرير المشوه انه خلا من السياق التاريخي ، ولم يستند على خلفية اجتماعية وسياسية تتخذ الثقافة على لوحتها الامامية وضعها الحقيقي . كذلك خلا من أي تحليل للواقع الثقافي الفعلي في الانتاج والاستهلاك . حينذاك كان سينصف الثقافة قبل المثقفين أنفسهم .

انني هنا لا ادافع عن المثقفين المصريين ، فلنا جميعا أخطاؤنا ، ولكني اذا كنت أشهد للتاريخ من موقع التقدم ، فانه يتعين علي

اولا تحليل النظام السياسي الراهن – وأقول النظام لا هذه الحكومة أو تلك – وأن أرصد بدقة وصبر الافعال وردود الافعال بين النظام والمثقفين ، ثم اختار التفاصيل التي تخدم السياق كشواهد ، لا كتجريح أو كتقريظ للافراد .

وليست هناك عملية تسجيل مجردة ، وانما « القضية » التي أبغي الدفاع عنها هي التي تقودني الى عمليات الاختيار والفرز والتصنيف . والقضية التي أراد « ع » الدفاع عنها هي حرية الفكر والتعبير في مصر . غير ان منهجه الانفعالي قاده الى كل شيء فيما عدا الدفاع عن الحرية (*) .

بيروت غالي شكري

افتـــراء ...

بقلم رجاء النقاش

قرأت ما نشرته « الاداب » في عدد سبتمبر الماضي بتوقيع « ع » عن الحياة الثقافية في مصر . وقد آلمني وجرحني ما جاء في هذا المقال الغريب من افتراء كاذب يقول انني كتبت بيانا اؤيد فيه عزل الكتاب والصحفيين في مصر ، وانني دعوت الى مسيرة لتأييد هذا الاجراء . وقد خفف من المي وجرحي ان المقال لم يترك كاتبا وطنيا شريفا في مصر الا ولطخه بالوحل والطين . وقد اعفى صاحب المقال عددا قليلا من الكتاب المصريين من افتراءاته وتجريحاته ، بل منح هذا العدد من الكتاب كثيرا من البركات واوسمة النضال والكفاءة وخدمة الثقافة ، وهذا موقف له معناه ، وسوف احتفظ لنفسي بتقديم التفسير لهذا الموقف في الوقت المناسب .

اما الان فيكفي ان اقول ان الوقائع التي نسبها صاحب المقال الى كاتب هذه السطور انما هي وقائع كاذبة مفتراة ولا اساس لها من الصحة باي شكل من الاشكال .

والواقع ان هذا الكلام الذي كتبه صاحب المقال انما هو كلام املاه حقد شرير اسود ، ولا هدف له الا الاساءة الى سمعة كاتب هذه السطور ، وكأن كاتب المقال لم يقنع بما اصابني من المحن الكثيرة المتتالية التي ما زلت اعيش في اعمق اعماقها حتى الان .. اقول ان صاحب المقال لم يكتف بذلك بل أراد ان يضيف محنة جديدة وان يزيد جرحا فوق الجراح القديمة ، ولا شك عندي ان كاتب المقال انما ينفس من احقاد قديمة ، وهي للاسف احقاد شرهة الى مزيد من الالام في حياة الاخرين .

ويكفي ان اقول ان الافتراء الكاذب ضد كاتب هذه السطور هو افتراء يرفضه العقل من الاساس ، كما يرفضه تاريخي الادبي .

واني لاتساءل كيف يقبل العقل ان اقوم باصدار بيان لتأييد اجراءات عزل الكتاب والصحفيين وانا نفسي واحد من اوائل هؤلاء المعزولين ؟.. المعقول ان اشكو من هذا الاجراء واعترض عليه ، او اطالب بتغييره واكافح من اجل ذلك ، اما ان أؤيده في بيان او مسيرة فهذا ادعاء كاذب يفتريه اصحاب النفوس الشريرة المريضة والتي تهدف الى الاساءة للناس والتشهير بهم واستغلال المحنة التي نمر بها اناوغيري في هذه الايام . وهي محاولة تخلو من الشجاعة والعفة والكرامة والضمير الادبي . وليس امام كل الشرفاء في الوطن العربي الا ان يقفوا بقوة ضد هذه الايدي التي تمتد لتطعن الناس بالخناجر المسمومة في الظلام .

القاهرة رجاء النقاش

ملاحظات حول تقرير « ع »

عن الحياة الادبية في مصر

بقلم ابراهيم منصور

حين قرأ كاتب مسرحي مصري معروف تقرير « ع » عن الحياة الادبية في مصر ، المنشور في العدد الماضي من مجلة « الاداب » قال : « هذا شيء فظيع » ، ولم يكن فيما قرأه الكاتب المسرحي المصري شيء جديد. فكل ما احتواه التقرير من حقائق امور يعرفها ،ويسمعها، ويعايشها .

التحليل السهل لتعليق الكاتب المسرحي المصري (وقد قاله هو) انه على الرغم من انه يعرف ، ويعايش ، ما احتواه التقرير منجزئيات، فان تجميع هذه الجزئيات ،في صورة متكاملة ، قد افزعه .

رايي الشخصي انه فزع لانه احس بالعجز ، او فزع لانه لم يحس بالفزع ، لان كل هذا الذي حدث ، ويحدث – على مدى اكثر منعشرين عاما ، قد اصبح جزءا لا يتجزأ من الحياة الادبية اليومية – لا يحس الكثيرون انه يمثل انتهاكا وامتهانا لكل التراث والتقاليد الادبية الجيدة التي ارسيت في مصر ، فيما مضى .

* * *

الهدف الاساسي للتقرير ، او الذي كان يجب ان يكون(وربما لم ينجح « ع »في توصيله بالقدر الكافي) هو كشف مدى انحدار ، وانهيار ،وانحطاط ، الحياة الادبية في مصر ، على مدى عشرين عاما، نتيجة لامتهان السلطة اليومي للادب ، وللادباء ،ونتيجة لاستسلام بعض الكتاب لهذا الامتهان ، بل ومساهمتهم فيه في مقابل الثلاثين قطعة من الفضة !!

* * *

قوبل التقرير في المجتمع الادبي في مصر ، بموقفين ، هما ،في الحقيقة ، الموقفان الدائمان ، اللذان يحدثان دائما في كافة المواقف الفكرية ، والاجتماعية في مصر ، في الفترة الاخيرة .
ان هذا الاستقطاب قد اصبح ظاهرة تميز الحياة الادبية اليومية في مصر .

* * *

قابل الكتاب « النجوم » التقرير ، بغضب شديد مشوببالخوف. وكان دفاعهم الاساسي ، ونقطة انطلاق هجومهم عليه انه لا يصح ان يكون هؤلاء الكتاب « مضروبين » و« معزولين » ثم يكتب عنهم بما يدينهم من ماضيهم ، او من محاولاتهم العبثية للنجاة او الخلاص من استمرار الضرب والعسف ، ولان هذا على الاقل ، ليس هو الوقت الملائم للحساب .
وينسى هؤلاء الكتاب ثلاثة امور :

- اولا : ان قضية العزل ليست هي القضية الاساسية ،بل هي قضية ثانوية ، بمعنى انها نتيجة حتمية لوضع ساهم هؤلاء

(*) هذه المجموعة من الملاحظات تدفعني لكتابة تقرير مفصل في هذا الموضوع أرجو ان انجزه قريبا .

الكتاب انفسهم في خلقه ، باستسلامهم له .

● ثانيا : ان القضية الاساسية هي انه على مدى اكثر من عشرين عاما . كان هناك سرطان يستشري بالتدريج في الحياة الادبية في مصر ، حتى وصل بها الى هذه الصورة المفزعة من الفكاهة السوداء ، حيث اصبح سادة الحياة الادبية في مصر هم : صالح جودت ، وابراهيم الورداني .

● ثالثا : من القواعد الاساسية المسلم بها للديمقراطية انالحساب الفوري على الاخطاء . والمراجعة المستمرة للمواقف ، هو الذي يمنع تكرار هذه الاخطاء ، وتراكم وتوالي نتائجها السيئة .

* * *

والموقف الثاني هو موقف كتاب « الادراج » والمطحونين ، والذين لم يبيعوا شرفهم ، ولا قلمهم ، لقاء المناصب الرسمية ، ولم يلجأوا الى الابواب الخلفيه لبلوغها وانما صانوا بشرف وصبر ومعاناة التراث الشريف الابي لمسئولية الكاتب ، والتقاليد الشريفة التي ارساها رواد الثقافة المصرية بدءا من رفاعه رافع الطهطاوي ، حتى نجيب محفوظ .

هؤلاء الكتاب كان موقفهم التأييد العام لهذا التقرير ، الذي يكشف الوضع المتردي للحياة الادبية في مصر ، الذي يعانون هم منه بالدرجة الاولى .

ومع كل ذلك ، فقد احتوى التقرير على بعض الاخطاء فيالوقائع والمعلومات ، لا ندري هل هي مقصودة ، ام انها نتيجة الجهل ، او النسيان ، او عدم المعرفة الوافية والواضحة .

* * *

فمثلا لا يدري كتاب الفريق الثاني ، والى درجة الاستغراب والدهشة :

● لماذا ، بعد ان كال التقرير الهجوم ، لكل المجلات الرسمية — منح رضاه للملحق الادبي والفني لمجلة الطليعة القاهرية ، في الفترة التي كان يشرف عليه فيها « غالي شكري » (!!) ، ويدين في نفس الوقت هذا الملحق نفسه ، بعد استقرار غالي شكري في بيروت (!!)

● ولا ندري أهو نتيجة نقص في المعلومات ، ان يقرر الكاتب ان غالي شكري والدكتورة لطيفة الزيات ، وصبري حافظ ، من الذين فصلهم الاتحاد الاشتراكي من عضويته ، مع ان اولهم وهو غالي شكري نقل فقط الى مصلحة الاستعلامات ، وهي جهاز اعلامي اخر ، والثانية لم يصبها اي ضرر ، بل لا زالت تشرف على ملحق الطليعة . اما الثالث فلم يكن ليحدث له اي ضرر . وهو الذي رفض مجرد قراءة بيان الكتاب الشهير الذي صاغه توفيق الحكيم ، ثم انه ظل يكتب في الملحق ، بعد ان حدث ما حدث للكتاب ، وما يزال .

● وهل هي مجرد صدفة ان يهاجم التقرير كاتبا مثل ثروتاباظة (مهما اختلفت الاراء في تقييم كتابته ، فهو احد الذين وقعوا بيان الكتاب ، وفصلوا لذلك من الاتحاد الاشتراكي) ، ويهاجمه ايضا الاستاذ الناقد غالي شكري في مجلة البلاغ الاسبوعية التي تصدر في بيروت !!

والذي نعرفه عن ثروت اباظة (ونحن نختلف معه اختلافااساسيا في كل شيء تقريبا) هو انه — وهو الذي اصيب باضرار مادية محسوسة — وقف موقفا صلبا وشجاعا ، ورفض كل المحاولات المتكررة التي جرت لدفعه للاستسلام . ولو اتيحت للكثيرين من الكتابالمعزولين الفرص المتاحة لثروت اباظة لحلت جميع مشاكلهم .

● ولا اجد لهجوم « ع » على نجيب محفوظ مبررا على الاطلاق ، افهم ان يطلب من الكاتب ألا يبيع قلمه ، ولكن لا افهم ان يطلب منه ان يكون سمسارا للاعمال الجديدة . (وليس جريمة ان يبتسم الكاتب لجلسائه في تحفظ) . ليس هذا عمله على وجه التأكيد . فعمله ان يكتب ، وان يكتب بصدق ، وشرف ، وبدون خوف . وهكذا كان ، وما يزال ، نجيب محفوظ .

● وينطبق ما قيل — الى حد ما ، مع بعض التحفظات ، على الهجوم على بعض الكتاب الذين وقفوا مواقف شريفة لا خلاف عليها ، مثل يوسف ادريس الذي وقف موقفا مشرفا بتوقيعه وجهده في اول بيان هام للكتاب ، وبمواقفه المشرفة في نقابة الصحفيين المصريين، دفاعا عن حقوق الصحفيين ، وحرية الصحافة ، وضرورة الديمقراطية للحياة المصرية في الفترة الاخيرة .

● اما بخصوص ما ورد بالتقرير ، بالنسبة لرجاء النقاش (الذي لم يوقع على بيان توفيق الحكيم ، لانه لم يعرض عليه) وانه كان يجمع توقيعات الكتاب ، على بيان يؤيد فصل الكتاب . فالذي اعلمه هو ما يلي :

١ — ان الذي صاغ البيان هو الاستاذ الناقدالدكتور علي الراعي . ووقعه عدد من الادباء منهم الاستاذ رجاء النقاش والكاتب المسرحي علي سالم ، والدكتور يوسف ادريس ، والشاعر احمد عبد المعطي حجازي (والاخير سحب توقيعه فيما بعد) .

٢— ان البيان لم يكن يؤيد موقف السلطة من الكتاب ،وانما كان يؤيد ويدعو الى تنفيذ ما جاء بالبيان المشترك الذي صدر عقب مقابلة السيد رئيس الجمهورية للكاتب الكبير الاستاذ توفيق الحكيم ، والذي نشر في جريدة الاهرام القاهرية

٣ — ثم ان هذا البيان قد واجه معارضة من اكثر الكتاب لاسباب مختلفة ، أدناها انه يجب الانتظار الى ان يثمر البيان المشترك بعض النتائج العملية بالنسبة للكتاب ، الذين كان لعزلهم صدى واسع في الاوساط الثقافية في العالم .

وقد توقف اصدار هذا البيان بموافقة الكتاب الموقعين انفسهم .

* * *

في رأيي ان تقرير « ع » تنقصه حقائق كثيرة — من ناحية المعلومات ، ومن ناحية التحليل والتقييم للوضع الثقافي في مصر — وهي الحقائق التي تدعم الغاية الاساسية التي اعتقد انها كانت هدف كاتب التقرير .

* * *

وليس المخيف حقا ان يكون سادة الحياة الادبية في مصر اليوم هم : صالح جودت وابراهيم الورداني وامثالهم ، وانما الذي يثقل القلب والنفس ، هو تصور ما كان يمكن ان يكتبه كثير من الكتاب والادباء اليوم ، لو كان مسموحا لهم بالكتابة .

* * *

وعلينا ان نقول صراحة ان مقاومة الكتاب المصريين من اجل وطنهم ، لا تعرضهم اليوم للاضطهاد البشع ، الذي يصوره « ع » ، فليس الجلوس على المقاهي بدون عمل ، وبأجر كامل ، مثل مواجهة الكلاب البوليسية المدربة على نهش الاعضاء التناسلية ، كما كان يحدث في الماضي .

* * *

واخيرا ..

ان الوضع الثقافي والادبي في مصر ، يطرح بالحاح ، امام الكتاب والادباء المصريين الشرفاء ، مهمة تكوين جبهة للمثقفين والكتاب المصريين وغير المصريين (في صورة اتحاد حقيقي) يكون هدفها الاساسي الدفاع المستميت عن الكتاب ، حياة ، وعملا ، وحقهم في ان يقولوا كلمتهم ، تعبيرا عن امال شعبهم .

والسؤال هو :

هل يستطيع الكتاب — بظروفهم واوضاعهم الحالية — وضع هذه المهمة ، وذلك الهدف ، موضع التنفيذ ؟

ذلك ما نرجوه جميعا من كل قلوبنا .

القاهرة — ابراهيم منصور

الثورة الفلسطينية الطليعة

بقلم ناجي علوش

أيها الرفاق والاصدقاء ،

يسرني ان انقل لهذا الحشد العظيم تحية الاخ ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية والقائد العام لقوات الثورة الفلسطينية ، وتحية كل المقاتلين الفلسطينيين الذين يواجهون جبروت الصهيونية والامبريالية وتفوقهما المادي والتكنولوجي بشجاعة نادرة .

ويسرني ان انقل لهذا الحشد تحية كتاب فلسطين الذين يكتبون بالدم قصة الشعب الذي يرفض منذ اكثر من خمسين عاماً ، وعلى الرغم من كل المؤامرات ومحاولات التصفية ان يستسلم او يذل .

ان فلسطين ايها الرفاق رقعة صغيرة على خارطة آسيا وافريقيا ، ولكنها مع ذلك صلة الوصل بين القارتين ، واذا كانت بلدان هاتين القارتين قد عانت وتألمت خلال القرنين الماضيين من الغزو والاستيطان والاحتلال الاجنبي ، فان ما عانته فلسطين وما زالت تعانيه تجسيد لما عانته القارتان معا .

واليوم ، وآسيا وافريقيا تنفضان عن ترابهما بقايا الارث الاستعماري المتراكم من القرن التاسع عشر وتعيد أقطارهما بناء نفسها ، انطلاقا من ارادة جماهيرها في التحرر والتقدم ، ترزح فلسطين وسط هذا العالم المتغير المتطور تحت نير استعمار استيطاني عنصري ، لم يعرف العالم الثالث له مثيلا . ان القوى الامبريالية تحاول وهي تتراجع وتنحسر ان تبقي لها رأس جسر في فلسطين ، يساعدها في المحافظة على مواقعها المتبقية ، ويوفر لها الفرصة لضرب القوى الناهضة في القارتين.

وتلعب دولة الاحتلال الصهيوني دور الاداة في هذا المخطط المعادي لمصالح شعوب آسيا وافريقيا ومطامحها ، ولذلك ، فان الولايات المتحدة الامريكية تقدم لدولة الاحتلال الصهيوني كل امكانيات المساعدة الاقتصادية والسياسية والعسكرية قصد شعبنا وشعوب آسيا وافريقيا . كما انها تقدم كل المساعدات اللازمة للانظمة العربية الرجعية كي تصفي الثورة الفلسطينية . وما هجمات النظام الاردني واللبناني على الثورة الفلسطينية الا نتائج لذلك .. ولكن شعبنا مصمم على ان يواصل المسيرة مهما كانت الصعوبات ، ومهما بلغت التضحيات . واذا كانت ثورته الان تواجه مأزقا حرجا ، نتيجة الهجمة الامبريالية ـ الصهيونية الشرسة وعجز حركة التحرر الوطني العربية ونتيجة عوامل ضعف ذاتية لم يعالجها بعد ، فان اصراره على مواصلة القتال بكل الوسائل ، واستعداده لتقديم كل اشكال التضحيات كفيلان باخراج الثورة من مأزقها ، وبفتح ابواب المستقبل امامها واسعة .

ولذلك فان شعبنا يقاوم ببسالة ، في هذه اللحظات الحرجة ، كل المحاولات والمناورات الرامية الى الانحراف به عن خطه السليم ، ودفعه الى مزالق الاستسلام وأوهام الموائد الدولية . وهو يدرك خطورة هذه المؤامرات الرامية الى زعزعة ثقته بنفسه وبقدراته ، وبجدوى مساندة قوى حركة التحرر والتقدم في العالم كله ، وبقدرته على ان يحقق مطامحه في الظروف الدولية الحاضرة . ولذلك فان شعبنا يزداد تصميما في هذه الايام على القتال لمواجهة الاتجاهات الاستسلامية من جهة ، ولاحباط مؤامرات القوى المضادة من جهة ثانية ، ولان استمرار القتال هو وحده الذي يكشف كل المناورات والاوهام ، ويمهد الطريق للنصر المحقق .

ايها الرفاق ،

ويقف معظم كتابنا في هذه المعركة الضروس موقفا مشرفا . انهم اختاروا جانب الثورة والجماهير ، وقرروا ان يحملوا الراية وأن يكتبوا بالدم. ولذلك فهم يسجنون ويعذبون ويطاردون في الارض المحتلة والاردن وكل مكان من العالم .

ولقد سقط من اعضاء اتحادنا خلال عام الشهداء الاتية اسماؤهم :

غسان كنفاني ، المناضل الصحفي ، الكاتب السياسي ، وكاتب القصة القصيرة والرواية والناقد الادبي .

وائل زعيتر ، المناضل الذي قام بترجمات هامة الى اللغات الاوروبية ، والذي اغتالته العصابات الصهيونية في روما .

كمال ناصر ، المناضل والشاعر ، والمعلق السياسي ، الذي اغتالته العصابات الصهيونية في بيته يوم ١٠/ ٤/ ١٩٧٣ .

كما أن هناك اثنين من اعضاء الامانة العامة لاتحادنا ، قد اصيبا بجروح بالغة وهما الدكتور انيس صايغ وبسام ابو شريف .

وتزيد هذه المواجهة مع الموت كتابنا التحاما بالقضية واستعدادا للنضال . كما انها تدفعهم الى السير قدما على طريق الالتزام بالثورة والجماهير . وتتمخض هذه المواجهة عن ادب راق وفن اصيل يزخران بالحب والحنين والثورة ، ويعبران عن انبل مشاعر الانسان في توقه للحرية والحياة الحرة الكريمة . ويقدم لنا شعراؤنا نماذج من الشعر الثوري الاصيل ، انهم لا يعبرون عن معاناة الشعب الفلسطيني فحسب ، ولا عن تطلعاته ومطامحه فقط ، انهم يعبرون عن معاناة الانسان في صراعه ضد الاضطهاد والحرمان والاستغلال ، ومن اجل الحياة الحرة على ارض وطن كريم حر ، وهذا ما يفعله كتاب القصة والرواية عندنا ايضا . وهكذا تتمخض المعاناة الفلسطينية عن انتاج ادبي متزايد

الخصب والغنى والشفافية والعمق ، انتاج منبثق من أعماق الجماهير ، معبر عن مصالحها ومطامحها واكثر مشاعرها عمقا .

ويحرص اتحادنا على ان يهيىء السبل لبلورة هذه التجربة الانسانية الغنية ، ولتعريف العالم بها . ونأمل ان نستطيع ، بالتعاون معكم ، ان نقدم نماذج مترجمة الى لغاتكم المختلفة .

أيها الرفـاق ،

ان الكتاب الفلسطينيين الذين يعانون التشرد والاضطهاد ، والذين يقاتلون على اكثر من جبهة لم تشغلهم مشاغلهم ومشاكلهم عن مشاكل العصر وقضاياه . ولقد كانوا دائما مع شعوب آسيا وافريقيا والعالم كله في نضالها لتصفية الارث الاستعماري وكل مظاهر السيطرة الامبريالية والاستغلال الطبقي والالحاق القومي . كما كانوا مع كتاب آسيا وافريقيا في معاناتهم الحضارية لخلق ثقافة جديدة ، تلبي حاجات الجماهيـــر المتعطشة الى مستقبل سعيد ، غني بثقافته وقيمه .

وهم يتحسسون معكم مقدار الخطر الذي تواجهه شعوب آسيـــا وافريقيا من جراء كل اشكال الغزو الثقافي التي تمارسها الامبريالية . وذلك ان الامبريالية التي اخذت مواقعها العسكرية تسقط الواحد تلو الاخر ، تحاول اليوم ان تبقى سيطرتها من خلال الثقافة العدميـــة الانحلالية التي تبثها . وهي تستخدم في ذلك كل وسائل الاعـــلام المتوافرة . وتؤمن لها امكانياتها المالية والتكنولوجية الوفيرة فـــرص سيطرة واختراق وتسلسل لا تحد .

ويرى كتاب فلسطين ، ورجال الفكر فيها أن هذه المواجهة من اجل المحافظة على الاوطان وبنائها ، ومن اجل تطوير الثقافات الشعبيـــة الاصيله ، تحتاج الى ما يلي :

أولا ـ تكريس جهود الكتاب الملتزمين لمحاربة الهجمة الثقافيـــة الامبريالية وكشف اخطارها ، وتشجيع الثقافات الشعبية وتطويرها ، بحيث تكون قادره على النمو والتطور ، وبحيث تلبي حاجات الجماهير الروحيــه .

ثانيا ـ التعاون التام بين المنظمات الثقافية في بلدان آسيـــا وافريقيا ، من اجل توفير وسائل التواصل والتفاعل ، ولتوفير الامكانيات المادية اللازمة . ويجب ان يكون اتحاد كتاب آسيا وافريقيا الجهـــاز القائد لهذه العملية الثقافية العظيمة .

ان هذا يقتضي :

أ ـ ان تنمي الثقافة الوطنية في كل بلد ، وان تنمى الاتجاهات الشعبية الاكثر جذرية وارتباطا بالجماهير في ميدان الثقافة ، في مقابل الثقافة المتحجرة المتخلفة او الثقافة العدمية المنحلة .

ب ـ ان توضع برامج لنشر الانتاج الادبي ، المعبر عن الثقافـــة الشعبية الاصيلة ، في كل بلدان آسيا وافريقيا ، حتى يشجع هـــذا الاتجاه على نطاق واسع ، وحتى تورق هذه البراعم المتفتحة وتثمر في كل اصقاع آسيا وافريقيا .

ج ـ اصدار مجلة بأوسع لغات آسيا وافريقيا انتشارا ، توزع في كل اقطارهما ، لتعرف قراءهما بالانتاج الاصيل المتقدم .

د ـ ان تنظم حلقات دراسية لدراسة هذه القضايا دراسة معمقة والتخطيط لعملية التفاعل هذه .

هـ ـ ان تنظم زيارات لمختلف بلدان آسيا وافريقيا ، يتاح للادباء فيها ان يتعارفوا ، وان يدرسوا تجربة بعضهم بعضا .

و ـ ان توضع البرامج لتشجيع دراسة اللغات الاساسية فـــي القارتين ، حتى تأخذ عملية التفاعل اوسع مدى ممكن .

ز ـ ان تدرس تجارب الاتحاد السوفييتي ودول المعسكر الاشتراكي في ميداني تنمية الثقافة الشعبية وبلورة تجربة الواقعية الاشتراكيـــة للاستفادة من هذه الدراسات في تطور التجارب الثقافية في بلدان آسيا وافريقيـــا .

أيها الرفـاق ،

ان الكتاب الفلسطينيين يضعون ايديهم في ايديكم ، وهم فـــي الوقت الذي يفرضون فيه معركتهم السياسية والعسكرية لاستعـــادة الوطن ، يرون ألا بد من ان تخاض المعركة على الجبهة الثقافية ، لانــه لا وطن بلا ثقافة وطنية ، ولانهم يرون ان الاستعمار والاستيطان يسلبان الارض ولكن الهيمنه الثقافية تسلب الشخصية الثقافية وتدمر النفس .

ويرى كتابنا ان الامبريالية يجب ان نهزم على الصعيد الثقافي ، كما هزمت سياسيا وعسكريا ، لان هذا النصر في الجبهة الثقافية هـو الضمان الاكيد للازدهار المادي والمعنوي الذي تتوق له شعوبنا ، ولان هزيمة الامبريالية ثقافيا هو الضمان الاكيد لفشل كل محاولات التخريب المعنوي والثقافي التي تقوم بها .

أيها الرفـاق ،

ان الكتاب الفلسطينيين يقفون معكم الى جانب قضايا التحـــرر الوطني والديمقراطي في كل مكان من العالم ، وهم مستعدون للنضـال معكم ضد كل اشكال القمع والاضطهاد ، وفي سبيل توفير الحريـــات الديمقراطيه للكتاب وللجماهير . وهم يعتبرون هذا النضال ضروريا لنمو الثقافة الوطنية ولولادة مقاييس ادبية جديدة ، كما انهم يعتبرون هذا النضال ضروريا لحماية البراعم الادبية الوليدة . ان غياب الحريات الديمقراطية اول دلائل النكوص عن مواجهة الاعداء الخارجيين والداخليين ومن العوامل الاساسية لاجهاض حركة التحرر الوطني .

أيها الرفـاق ،

اسمحوا لي ، اخيرا ، ان احيي الرفاق الفيتناميـيـــن عـــلى الانتصارات العظمى التي حققوها ، والرفاق الكمبوديين على الانتصارات العظمى التي يحققونها اليوم . ان هذه الانتصارات دروس باهرة لكــل شعوب العالم الثالث . انهم يعلموننا ان الشعوب الصغيرة المتخلفــة قادرة على هزيمة اقوى قوة امبريالية في العالم من خلال الوعي والتنظيم وتعبئة الجماهير والتصميم على القتال .

واسمحوا لي أن اقول لكم ان دروسهم راسخة في اذهاننا وانـــا عازمون على الا نلقي السلاح حتى تسقط كل مواقع الصهيونية والامبريالية في بلادنا .

واسمحوا لي ايضا ان احيي الرفاق السوفييت الذين اعلنوا من على هذه المنصة مواقفهم المؤيدة لحقوق شعبنا في وطنه ..

أيها الرفـاق ،

ان الثورة الفلسطينية التي تقض مضاجع الصهيونيين والامبرياليين وعملائهم من الرجعيين العرب طليعة اساسية من طلائع النضال ضد كل اشكال السيطرة الامبريالية ولذلك فانها تطارد في كل مكان وترتكـب المجازر ضد قواها وجماهيرها في الارض المحتلة والاردن ولبنان . ان هذه الثورة المصممة على مواصلة المسيرة تعلم علم اليقين ان مساندتكم لها من أهم عوامل استمرارها ونجاحها . ونحن نطالبكم بأن تكرسوا لها المساندة المنتظمة .

ناجي علوش

الامين العام لاتحاد
الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

حركة الأدب التقدّمي في لبنان
من خلال الجمعيّات الأدبيّة واتّحاد الكتّاب

بقلم أحمد أبو سعد

قد يكون مفيدا في مقدمة هذا الحديث أن أشير الى أمرين : أولهما ان الكلام فيه يتناول الفترة الممتدة من مطلع الخمسينات حتى يومنا الراهن ، وهي الفترة التي بدأت فيها في لبنان تتكون جمعيات ومنظمات أدبية واتحاد كتاب ، وثانيهما ان المتكلم نفسه هو أحد الذين انتظموا في سلك هذه الجمعيات والمنظمات وأحد الذين رافقوا تحركها وأسهموا في حقل نشاطاتها .

قبل مطلع الخمسينات كان يتقاسم الظهور على مسرح الحياة الادبية في لبنان فريقان : فريق ادباء الانعزال من انصار ثقافة البحر المتوسط وجماعة « الفن للفن » الذين نشأوا في عهد الانتداب الفرنسي وتربوا في معاهده ، واستقر في نفوسهم حب الغريب والافتتان بأدبه ، وكره العرب ومعاداة لغتهم ، والسير في ركاب الغربيين الذين وجهوا الى اللبنانيين عبر مؤسسات التبشير التي انشأوها في القرن التاسع عشر جيشا من غزاة الفكر وجنود الثقافة ، سبق زحف جيوش احتلال الاراضي ، وكان همه بث المبادىء والافكار التي تخدم مصالحه وتؤكد دوام التبعية له .

وقد ظهر هذا الهدف من خلال العمل الدؤوب الذي كان يقوم به المرسلون الاجانب اثناء اضطلاعهم بمهمة التعليم ، اذ ان مفهومهم الذي ساروا على هديه في تأدية مهمتهم كان نابعا من الوظيفة التي انتدبوا أنفسهم للقيام بها في ربوعنا وهي التبشير وما كان يرافقه من اثارة النعرات المذهبية وبث الثقافات العرقية والقيم المزيفة التي أدت الى خلق جيل من الادباء والمثقفين مسلوب الشخصية يعاني عقدة الشعور بالنقص واستصغار الشأن ازاء الاجانب ويحتقر أمته وتقاليده الوطنية ويتعالى على يوميات الحياة العامة ، وينظر الى الثقافة على انها وسيلة لتحصيل الرزق وزيادة المجد والرفاهية الشخصيين ، ويمارس الادب كشيء مجرد ومعزول عن حركة الواقع السياسي والاجتماعي ، ويتغنى بلبنان على انه ذو تراث خاص وحضارة مستقلة ولا رابط بينه وبين غيره من سائر الاقطار العربية .

وكان الفريق الثاني هو الفريق المؤمن بالقومية العربية ، الرافض في الاساس مبدأ الانتداب الفرنسي والناظر الى وطنه لبنان على انه جزء لا يتجزأ من وطن كبير يضم البلاد العربية ويرتبط به لبنان بوحدة اللغة والعادات والتقاليد والمصالح المشتركة ، وكانت هوية هذا الفريق الفكرية هوية محض عربية تستوحي القديم وتبحث فيه عن حلول لمشاكلها ، وتتجه في الادب الى تقليده او النسخ عنه واجتزائه بروح يمتلكها داء الاستعلاء والعزة القومية والاكتفاء الذاتي بما عندها والاستغناء عن منجزات الآخرين .

وبرغم ما كان يبدو من خلاف او تباعد في وجهات النظر بين الفريقين فان نقطة انطلاقهما كانت واحدة هي العنصرية ، ولا فرق بين ان تكون العنصرية هذه عنصرية ذات عرق فينيقي او عنصرية ذات عرق عربي ، فانها عنصرية على كل حال ، وان الادب او النتاج الثقافي الذي كان ينشأ عنهما كان مشوبا في اكثر الاحيان بنزعات لا تخلو من رواسب التعصب المذهبي او الطائفي او الديني الذي لا يزال وطننا اللبناني يقاسي مراراته حتى يومنا .

أقول قولي هذا ولست بغافل عن الدور الذي كانت تمارسه في بلادنا أسرة تحرير مجلة « الطريق » وعلى رأسها الادباء عمر فاخوري ورئيف خوري وجورج حنا الذين أسسوا في أثناء الحرب « عصبة مكافحة النازية والفاشية » التي أصبحت في ما بعد « جمعية العلاقات الثقافية بين لبنان والاتحاد السوفياتي » ثم « جمعية أصدقاء الاتحاد السوفياتي » ، والذين كان لهم دورهم الطليعي في مناهضة الاستعمار والفكر الانعزالي الرجعي الرامي الى قوقعة لبنان وفصله عن جيرانه العرب ، كما كان لهم موقفهم الخاص من العروبة المستمد من ايديولوجيتهم التي تؤمن بكيان مشترك للشعوب العربية ذي مضمون تقدمي لا اثر فيه للعرقية ولا للايديولوجية الدينية ، متفق في اتجاهه مع مقتضيات الواقع المحلي والقومي ومقتضيات الواقع الانساني ، قائم على تنمية أفكار الصداقة والتعاون بين الشعوب واحترام الخواص الوطنية لكل منها ، والعمل على تجنيد الادباء والمثقفين في الدفاع عن الحريات والتقدم انطلاقا من مبدأ الاقتناع بوجود صلة ديالكتيكية بين الفكر والعمل السياسي .

ان عمل هذه الفئة من أدبائنا كان نقطة التحول نحو أدب جديد منبثق عن حركة الحياة والواقع متلاحم معها ونافذ الى جوهرها عبر جدليات العصر والحقائق الانسانية التي اكتشفها الفكر الاشتراكي العلمي .

وقد تعاظم هذا النوع من الادب في مطلع الخمسينات على اثر انتهاء الحرب وحصول لبنان على استقلاله وانفتاح النوافذ فيه لدخول النماذج المتعددة من ادب الواقعية الجديدة التي نبتت في البلدان الاشتراكية ومنها انسربت الى لبنان حيث وجدت فيه حقلا خصبا للنمو والانتشار منه في البلدان العربية .

من هم الذين كانوا القيمين على هذا النوع من النشاط في هذه الفترة ، او الذين أسهموا مع غيرهم من الكتاب الوطنيين في احداثه ؟ كانوا فئة من أبناء الفلاحين والعمال وصغار الملاكين الذين نشأوا في ما بين الحربين ، وأحسوا بضغوط الاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي كانوا يعيشون في ظلالها ، وهز مشاعرهم حدوث المؤامرة الاستعمارية التي أنشأت اسرائيل قاعدة للاستعمار العالمي في قلب البلاد العربية فلسطين ... ان هؤلاء الشبان بتأثير من هذه العوامل وبوحي من ثقافتهم الجديدة التي تربط الادب بالحياة ، وتؤمن بدوره الاجتماعي وتعتقد ان ازدهاره الحقيقي لا يمكن بلوغه الا في ظل الحرية والاستقلال وسيادة الشعوب ، وان تصفية الاستعمار والعنصرية هي من شروط التطور الكامل للاعمال الادبية .. انهم بفعل هذا كله انبروا لحمل رسالة الادب بهذا المفهوم ، ورأوا انهم لكي يؤدوا رسالتهم على وجهها الاكمل يحسن ان يتحدوا في تنظيم يضبط جهودهم ويبرزهم كقوة تعمل على دعم التيار الادبي النقدي الجديد الذي كان قد خلفه في لبنان عمر فاخوري واخوانه ، والذي بدأ الناس عندنا في تلك الايام يسمعون صونه بقوة في زحمة التيارات المثالية والانحلالية واللاوطنية التي كانت تروج لها بعض الجهات ، فتنادوا لتأليف جمعية أدبية سموها بأسم « أسرة الجبل الملهم » وكان من اعضائها الدكتور علي سعد ومحمد عيتاني ومحمد دكروب وأحمد سويد وفؤاد الخشن ومصطفى محمود وكاتب هذه السطور (١) .

بدأت « أسرة الجبل الملهم » نشاطها خلال العام ١٩٥١ ، وقد افتتحته ببيان وزعته على الرأي العام الادبي ، ومما جاء فيه قولها (وأجد هنا الحاجة ماسة لاثبات القول بنصه الحرفي لما فيه من فائدة في انارة هذه الحقبة من تاريخ الحركة الادبية في لبنان وتسجيل حقائق ربما فات الكثيرين الاطلاع عليها او معرفتها على وجه الدقة) .

يقول البيان : « يدفعنا الى تكوين هذه الاسرة حاجة ملحة الى المساهمة في خلق أدب حي فاعل بناء ، وشعور بأن هذه الغاية لا تتحقق الا بالتعاون وتضافر الجهود ، ففي هذا العصر كل مجهود فردي مهما بلغت قيمته عقيم او ضعيف الاثر والفاعلية من الوجهة الاجتماعية ، والعمل الفردي يحمل معه عناصر الموت والاضمحلال لانه يتضمن شيئا من الانانية وعدم الشعور بالتبعة وبوجوب الرصانة والشدة في اتباع المقاييس .

ونحن نجتمع لنتعاون معا على درس مختلف المشاكل الادبية التي يضطرب بها مجتمعنا ، ولنعمل على تبادل النصح والتدقيق في آثار كل فرد منا وجهوده ، ولنساعد كل اثر موهوب على الظهور بالشكل اللائق ، ولنضم صوتنا الى أصوات العناصر الطالعة في لبنان وفي البلاد العربية في سبيل بعث حياة أدبية خيرة لخلق جو حضاري جديد ، ولنساعد في بناء مجتمع أفضل » .

وبصدد طابع الاسرة المميز واتجاهها في عملها الادبي ذكر البيان : « ان هذا الاتجاه وهذا الطابع محددان بحقائق ثلاث لا يجب ان تغرب عن بال اذا أريد خلق نشاط أدبي :

اولا ـ ان الفكر اللبناني مرتبط من جهة بالواقع اللبناني وبما يتضمنه من التقاء حضارات عديدة فيه على مدى حقبة طويلة من الزمن ، وضرورة وجود جو من الحرية والتسامح تيسر هذا الالتقاء وتساعد على تفاعل عناصره .

ومن جهة أخرى هو مرتبط بالواقع العربي : فلبنان يتصل عن طريق ماضيه القريب والبعيد بالتراث الحضاري الاسلامي العربي بصورة لا تقبل الجدل .

ثانيا ـ ان لبنان منذ قديم مفتوح للثقافة العالمية من يونانية ورومانية ولاتينية .

ثالثا ـ ان لبنان كغيره من بلدان الشرق مسرح لصراع عقائدي وحضاري من طراز جديد ، فمنذ فترة ما بين الحربين ظهرت قوى جديدة وحاجات جديدة في المجتمع اللبناني كما في كل مجتمع شرقي ، وبدأت طلائع معركة ، تارة خفية وتارة سافرة بين عالمين ، وعلى نتيجة هذه المعركة يتوقف مصير الشعوب الشرقية ، فأصبح لزاما تعبئة جميع القوى وفي مقدمتها الاقلام والفكر لخوض هذه المعركة الشاملة .

وعند تفهم هذه الحقائق يتضح سبيل العمل للاسرة » .

ثم مضى البيان في تحديد غايات الاسرة والوسائل التي ينبغي أن تتوسل بها لتحقيق هذه الغايات فذكر ان من غاياتها :

١ ـ العمل على احياء روائع الادب العربي القديم .

٢ ـ العمل على ربط أدبنا بالحركات الفكرية والادبية والفنية العالمية .

٣ ـ العمل على اكتشاف الثروات الفنية في حياتنا الشعبية وعلى تنمية التعاون بين مختلف نواحي النشاط الفني والفكري والادبي في لبنان .

٤ ـ العمل على اكتشاف المواهب الادبية وتشجيعها .

٥ ـ العمل على المساهمة في تبديد الظلمات التي تبعد بين الجماهير والعمل الحضاري وعلى مساندة الحركات التحررية من كل نوع في الشرق العربي .

ان هذا البيان كان بمثابة « مانيفستو » للحركة الادبية الجديدة، وقد اجتهد اعضاء أسرة الجبل الملهم ان يسيروا على هديه ، فبدأوا سيرتهم بالتعريف بأدب الواقعية الجديدة او الواقعية الاشتراكية ، ونقلوا الى لغتهم نماذج من آثاره ، فترجم علي سعد « مختارات من شعر ناظم حكمت » وأحمد ابو سعد رواية صدر الدين عيني « بخارى » وأحمد سويد رواية مكسيم غوركي « الام » ودراسة عن بابلو نيرودا ومختارات من اشعاره ، واهتم محمد عيتاني بنقل الكتابات الفكرية والدراسات النظرية المتعلقة بالمادية التاريخية وسير اعلامها ، وكان ذلك كله ايذانا بحدوث نهضة شاملة ظهرت آثارها في ما ألف من كتب ونظم من أشعار خلال تلك الفترة في لبنان وفي البلدان العربية .

وان أي باحث يتصف بالموضوعية وبالتجرد ، ويأخذ على عاتقه القيام بعملية استقصاء كافة العوامل التي أثرت في الادب يومذاك وبخاصة الشعر الواقعي منه الذي انصرف الى ممارسته عدد من الشعراء العرب الذين اصبحوا مشهورين اليوم كالبياتي وأمثاله ، أقول ان هذا الباحث لن يكون بوسعه اذا كان متصفا بهذه الصفات ضرب الصفح عن ذكر المقدمة التي استهل بها علي سعد ترجمته لاشعار ناظم حكمت وفيها رسم معالم الطريق الى الواقعية الجديدة في ما كتبه تحت عنوان « نحو أدب واقعي » قال :

« يسرنا ان نقدم شعر ناظم حكمت الى قراء العربية . فاننا نأمل بذلك ان نتيح لهم فرصة التعرف الى لون من الشعر الواقعي لم يفسح له بعد المجال الكافي في اللغة العربية .

وانا نعتقد ان الرجوع الى هذا النهج الشعري الذي يستمد عناصره ووسائله من واقع العيش وينابيع الحياة الشعبية ، من شانه ان يساعد على بث بعض الصحة والعافية في عروق ادبنا الذي افقرته وعمقته المذاهب التي نقلناها دون روية عن الادب الغربي من رومنطيقية الى رمزية وسريالية ، مذاهب لم تخلق لمجتمعنا الحاضر ولم تزد الهوة

---

(١) انتسب الى الاسرة او شارك في تأسيسها عدد من المثقفين بينهم المحاميان فيصل طباره وباسم الجسر والصحفيان جورج سكاف ووسيم تقي الدين والفنانان محمد قاسم عيتاني وايلي كنعان وقد اقتصرت أعلاه على ذكر الذين ما زالوا حتى اليوم يمارسون الاعمال الادبية .

بين الشعب والأدب الا اتساعا .

ونحن نؤمن ان شعوب الشرق العربي في مرحلتها الحاضرة ، مرحلة النضال للتحرر من الاستعمار الخارجي والاستبداد الداخلي ومن الظلم الاجتماعي أحوج الشعوب الى تعبئة قواها الواعية مع القوى المتوثبة فيها ، والى تكوين أدب يعبر عن آمالها وكوامن الحياة فيها ويرسم اتجاهاتها ومصائرها ويبعد بها عن كل أعراض القلق والحيرة واليأس والاسترسال مع الاوهام والاحلام التي جاءتنا من المجتمع الغربي عن طريق المذاهب المثالية الآنفة الذكر .

لكننا مع هذا النموذج الرفيع من الشعر الواقعي نحب ان نقدم الى قراء العربية ناظم حكمت الانسان .

فمن هذا الشعر يطل وجه بطل انساني ورائد للحرية في هذا الشرق ومجاهد دفع في سبيل نصرة حقوق المغلوبين والمحرومين في بلده وفي كل بلدان الشرق الثمن الفادح ، فقضى في السجن ستة عشر عاما اقتطعت من زهرة ايام شبابه .

ونحن الذين نقف من معارك الحياة موقف المتفرج الآمن لا يسعنا الا ان نخجل من طمانينة عيشنا وان نحس بصغرنا وتفاهة حياتنا امام جراح هذا الانسان الكبير وسخائه في التضحية وبساطته في القيام ببطولة العيش في الاغلال ليفسح للعبيد فك أغلالهم » .

ولن أسترسل اكثر مما استرسلت في اثبات النصوص الكثيرة الشاهدة على أهمية دور أسرة « الجبل الملهم » في الحياة الادبية اللبنانية والعربية من بعد ، لانتقل فاشير الى انه بعد سنة او اكثر من بروز الاسرة على مسرح الحياة الادبية في لبنان ظهر تجمع للكتاب والشعراء المشهورين او المكرسين رسمياً ممن سبقوا الجيل الذي نتحدث عنه ، والفوا جمعية أدبية سموها « أهل القلم » . وقد رأى جماعة « أسرة الجبل الملهم » من قبيل الانفتاح او خطة التعايش ان يمدوا الى هذه الجمعية يد التعاون ويدخل فريق منهم في صفوفها كتلة واحدة تحتفظ بشخصيتها السابقة ، وتم ذلك واصبح للاسرة عدة مقاعد في جمعية « أهل القلم » تمكنها من الاشتراك في أعمال هذه الجمعية والتأثير في ما تتخذه من مقررات .

وفيما كانت الحياة الادبية في لبنان تسير على هذا النحو ، وينشط فيها للتحرك فريق الادباء التقدميين ممن اتخذوا من مجلتي « الثقافة الوطنية » و « الطريق » منبرا لهم ، وفريق الالتزام الوجودي وأنصار القومية العربية الذين اتخذوا من مجلة « الآداب » اول ظهورها مسرحا لنشاطهم ، والفريق المناوىء للفريقين السابقين المتمثل في المحاضرين في « الندوة اللبنانية » وبعض أعضاء أهل القلم ، أقول فيما كانت حياة الادب في لبنان تجري على هذه الصورة كان ينمو في الاوساط الفكرية التقدمية في البلاد العربية شعور بضرورة الاجتماع والتكتل وتنظيم الصفوف والتعاون بين الجميع لاجل القيام بنشاط يدعو الى ربط الكتاب بحياة الشعب ومشاركتهم في الكفاح من اجل الدفاع عن الحرية والاستقلال والثقافة الوطنية وفي بناء الحياة الجديدة .

وقد تجسدت هذه الامور في مؤتمر عقد في دمشق عام ١٩٥٤ بين التاسع من ايلول (سبتمبر) والحادي عشر منه بدعوة من « رابطة الكتاب السوريين » حضرته وفود من مصر والعراق والاردن وشارك فيه الادباء التقدميون اللبنانيون بوفد ضم حوالي اربعة وعشرين كاتبا وشاعرا ومفكرا كان حضورهم أشبه بتظاهرة فكرية ، وقد نتج عن هذا المؤتمر عدا المقررات المهمة تاليف رابطة أدبية باسم « رابطة الكتاب العرب » انضم اليها اللبنانيون من اعضاء « اسرة الجبل الملهم » واعضاء « رابطة الكتاب السوريين » وذوبوا كيانيها في كيانها ، كما دخلها لفيف آخر من اللبنانيين كالاديب المناضل حسين مروة والشاعرين حبيب صادق ورضوان الشهال . ويجد الباحث اخبار هذا المؤتمر وابرز أعماله منشورة في عدد خاص من مجلة « الثقافة الوطنية » صدر في ١٥ - ١٠ - ٥٤ .

بعد المؤتمر الذي انعقد في دمشق واقتصر على التقدميين فقط وحضره علمان من اعلام الادب واللغة في لبنان هما عبد الله العلايلي ومارون عبود انعقد في « بيت مري » بلبنان وفي شهر ايلول نفسه من العام ١٩٥٤ « مؤتمر الادباء العرب الاول » الذي تم بدعوة من جمعية « أهل القلم » وكانت الوفود اليه وفودا رسمية او ما يشبهها . ولكن هذا المؤتمر على الرغم من الرسميات التي سادت جوه ، والتجاهل لتيار الادب التقدمي من معظم حاضريه ، فقد أظهرت بعض المحاضرات التي القيت فيه والمناقشات التي تلتها ان موجة التطور قد شملت اوساطا كان يحسبها واضعو خطته بعيدة كل البعد عن هذه الموجة العارمة الصاعدة ، اذ ان ممثل الاردن ، وكان موضوعه « واجب الدولة نحو الاديب وواجب الاديب العربي نحو مجتمعه » قد نجح في ابراز مهمة الاديب الاجتماعية ورسالته الوطنية في مكافحة العوائق التي تعوق الشعب العربي نحو النهوض والتحرر . وقد وجدت بعض العناصر الرجعية والعاملة في ركاب الفكر الاستعماري المجال واسعا لها في اثناء مناقشة محاضرة مندوب الاردن لان تطالب بتقييد حرية الاديب وتفصل ما بينه وبين الادب السياسي التحرري ... ولكن العناصر الشريفة التي وصلتها موجة التطور قد وقفت في هذا المجال موقفا مشرفا ودافعت دفاعا مجيداً عن حرية الاديب وعن رسالته الوطنية التحررية . وكان ذلك انتصارا لقضية الحرية الفكرية ووضع الاديب امام مسؤولياته الوطنية والاجتماعية .

ولعل اعظم ما نتج عن انعقاد هذا المؤتمر هو انه كان فاتحة المؤتمرات الاخرى التي انعقدت بعده وسيطر فيها على مجالات التحرك ادباء انصهروا في حركة التطور الوطني العربي والعالمي معا ، ونزلوا الى ساحة النضال مع جماهير شعبهم ضد هجمات الاستعمار ومشاريعه الحربية العدوانية التي بلغت قمتها في الهجوم الثلاثي على مصر .

ان هذا الهجوم بما أعقبه من تهديد الاتحاد السوفياتي بالتدخل اذا استمر ، بواسطة انذاره المشهور الذي كان له دوره الحاسم في ايقاف المعركة ، احدث تغييرا في تاريخ الحركة الوطنية والفكرية في لبنان والبلدان العربية ، اذ انه بدل النظرة الى السوفيات واثبت صحة الشعارات التي كانوا يطلقونها من اجل الحرية والسلام واقامة علاقات التعاون والصداقة بين الشعوب ودعم مواقف الادباء التقدميين الذين كانوا طالما نبهوا الى خطر الاستعمار وقيام تحالف بينه وبين الصهيونية العالمية ، كما أدى الى نشوء مرحلة جديدة تم فيها التلاقي بين سائر القوى المناهضة لاعداء الحرية في اجتماعات عدة كان أهمها الاجتماع الذي عقد في بيروت اثناء معركة السويس في دار مجلة « الآداب » التي يرئس تحريرها الدكتور سهيل ادريس وحضره كتاب وفنانون من مختلف الاقطار العربية اشتركوا مع اخوانهم اللبنانيين في توجيه نداء الى زملائهم الكتاب والمثقفين والفنانين في انحاء الدنيا لينصروا القضية العربية ويؤيدوا مصر في نضالها ضد العدوان .

على اثر هذا أخذت حركة الادب في بلادنا تتبلور وتتجمع في اقل ما يمكن من الاتجاهات المتحالفة متأثرة بالاحداث السياسية العربية والعالمية ، وبالتحولات التاريخية التي تنشأ عن هذه الاحداث . ويظهر من طابع النشاط الادبي في عام ١٩٥٧ ان تبلور الاتجاهات الادبية بدأ يميل الى تقريب بعضها من بعضها الآخر وصهرها الى حد ليس بالقليل في وجهة وطنية عربية منفعلة بتطور الكفاح العربي وانتصاراته .

ففي أوائل عام ١٩٥٧ ، وفي أعقاب العدوان الثلاثي على مصر

قبيل انتهاء العام ١٩٥٦ أخرجت « دار الفارابي » كتابا ادبيا شارك في كتابته نحو خمسة وعشرين كاتبا وشاعرا ينتمون الى اتجاهات فكرية وعقائد متعددة . صدر الكتاب بعنوان « في المعركة مع مصر » وفيه مقالات تمجد صمود الشعب المصري واستبساله في الدفاع عن استقلاله وسيادته الوطنية ، وتفضح بشاعة العدوان وتبارك تضامن الشعوب المحبة للسلام والحرية مع شعوبنا العربية المناضلة .

ونشطت مؤسسات النشر طوال تلك الفترة في اصدار عدد وافر من المؤلفات الادبية والفكرية التي تبحث في شؤون القومية العربية ، وفي قضايا الكفاح الوطني التحرري لكثير من بلدان آسيا وافريقيا ، وفي مسائل الفكر المرتبطة بأزمات تلك المرحلة التاريخية .

اما النزعة الى ثقافة البحر المتوسط فقد اخذت تميل الى الانكماش ولم يظهر يومئذ في لبنان اثر ادبي او فكري يدعو الى تاييدها او نشر اتجاهاتها ، ومثل ذلك حصل لنظرية « الفن للفن » التي اخذت تتراجع ثم كادت تقتصر على عدد قليل جدا من الادباء الذين انقطعوا عن الانتاج في ما بعد .

وقد فطن الاستعمار يومئذ الى هذا المد التقدمي الفذ الذي بلغ من نشاط الدافعين اليه ان الادب اصبح في ظلاله أدب الفئة التقدمية الواعية التي ارتبط نبض ابداعها بحركة الجماهير وباتت لها قوتها في تسيير حركة التاريخ .. فحرك أجهزته ، وحضها على القيام بنشاط معاكس تجلى في ما كانت تقوم به « المنظمة العالمية لحرية الثقافة » ومجلتها « حوار » والمؤسسة الاميركية المعروفة بمؤسسة « فرانكلين » من محاولات التسلل الى ميدان الثقافة والفكر بغية شراء الضمائر وتسخير الاقلام وافساد العقول وتفسيخ النفوس وبث الثقافات الاستعمارية المعادية لروح الثقافة الوطنية والقيم الحية في تاريخنا الفكري .. ولكن عمل الاستعمار هذا لم ينفعه في شيء ازاء ما كان قد انغرس في النفوس من عداء له ، فاتجه الى تحريك عملائه على الصعيد السياسي لضرب الحركة الوطنية وربط مصير البلاد بارادة الاستعمار الاميركي وقواعده العسكرية واحلافه الحربية العدوانية التي جوبهت عام ١٩٥٨ بحركة تحررية وطنية مسلحة خاض غمارها الادباء اللبنانيون الوطنيون الى جانب الجماهير بالسلاح والاقلام والاذاعة الخاصة بالمقاومة الشعبية ، وكان لها انعكاس على صعيد الوطن العربي باكمله أدى الى حدوث ثورة ١٤ تموز في العراق واسقاط الملكية والحكم الرجعي ، وهي مما اوقع الذعر في صفوف المستعمرين الاميركيين الذين خشوا ان يفلت الامر من ايديهم نهائيا فسارعوا الى انزال قواتهم الحربية في لبنان ، وحسبوا انهم بعملهم هذا يلقون ترحيبا من بعض الفئات ، ولكنهم قوبلوا بالرفض من الجميع ، وحل اللبنانيون مشاكلهم على النحو الذي حفظ لهم وحدتهم الوطنية .

وحدث بعد ثورة العراق خلاف في وجهات النظر بين القوى الحاكمة في البلدان العربية المتحررة حول الوحدة بين مصر وسورية والعراق ، وحدثت الوحدة بين مصر وسورية ... ثم حدث الانفصال. واغتنمت قوى الاستعمار الفرصة لتشق الصفوف ، وتمكنت بعض الشيء .. الا ان الواقع الذي كانت تجابهه البلدان العربية ، من وجود اسرائيل في قلبها الى تضامن جميع قوى الامبريالية العالمية مع اسرائيل، الى نمو وعي شعبي متفهم لهذا الواقع ، حمل هذه البلدان على التضامن وفوت على الاستعمار الفرصة ، وحول مصر الثورة الى بلد يرفع راية التحرر ويؤمن بالاشتراكية ويمد يد الصداقة والتعاون الى كافة الشعوب المحبة للسلام والحرية والتقدم .

ومنذ ذلك الحين بدأت مرحلة اخرى من مراحل تطور النشاط الادبي في لبنان والبلدان العربية قوامها العمل على مضاعفة الجهد السائر في اتجاه دعم الحياة النضالية لشعوبها ، ونشر الوعي بوحدة مصيرها المشترك وتعزيز الروابط بينها وبين الكتاب الاحرار في آسية والافريقية وسائر انحاء العالم .

وكان اعظم تظاهرة أسفر عنها هذا النشاط انعقاد المؤتمر الثالث للكتاب الاسيويين والافريقيين في بيروت عام ١٩٦٧ بدعوة من ادباء لبنان وطلائع مثقفيه ورعاية من رئيس الدولة ورئيس الحكومة .

وما من شك في ان هذا المؤتمر كان عقده كسبا للبنان وانتصارا للفكر التقدمي المنفتح على الفكر الرجعي المنعزل بما اتخذ فيه من مقررات ايدت حق الشعوب في تقرير مصيرها وسلوك الدرب الذي تراه محققا لآمالها واهدافها ، وشجبت اساليب الاستعمار والامبريالية والرجعية والصهيونية .

وفيما كانت الحياة الثقافية في لبنان تسير على نحو من التطور اخذ فيه الاتجاه التجديدي في الادب يزداد اتساعا ونموا في أعمال الشعراء : خليل حاوي وأدونيس وميشال سليمان وحبيب صادق والكتاب سهيل ادريس وحسين مروة وميشال عاصي ومحمد دكروب وسواهم ، وقعت حرب حزيران المشهورة التي احتلت فيها اسرائيل الجزء الباقي من ارض فلسطين واجزاء اخرى من ارض مصر وسورية ، واصيب العرب على أثرها بنكسة عطلت قواهم المدركة وهزمتهم نفسيا بمقدار جاوز هزيمتهم العسكرية .

واغتنمت الدوائر المرتبطة بالاستعمار الاجنبي يومئذ الفرصة لتحدث تيارها الذي عصف بالبلاد وسط مشاعر الغضب والقلق ، ومضمونه ان هزيمة حزيران لا تقع المسؤولية في حدوثها على عاتق الامبريالية العالمية وحدها ، وانما على العرب انفسهم الذين يتحملون اكبر قسط من المسؤولية في ذلك ، على تخلفهم الحضاري واحاطة اوضاعهم بسياج من الجمود والتحجر .

وبدات على الاثر حملة تشكيكية جائحة هدفها كان نزع الثقة من الانسان العربي . وقد وقع في شباك منظمي هذه الحملة كتاب وشعراء غابت عن ابصارهم وأفضل ان اقول بصائرهم الرؤية الفكرية لابعاد الازمة ولمضمونها السياسي الحقيقي وللعوامل التي تتحكم فيها من الداخل والخارج ، فانطلقوا ينعون اللغة والادب والفكر والثقافة العربية ، ويتهمون العرب بفساد تكونهم النفسي والروحي والفكري الذي ورثوه من سالف العصور .

ولم يكن بد لادبائنا المخلصين من التصدي لهذه الحملة والوقوف في وجه التيار الذي تثيره ، لا سيما بعد ان وصل ببعضهم الامر الى حد اتهام الجهة المتحررة من اقطارنا بالانسياق وراء مبادىء غريبة .. فدارت معركة بين الاقلام أفادت منها البلاد ووجهت النشاط الادبي وجهة تحقيق المزيد من المضمون التحرري الاجتماعي الى جانب المضمون التحرري الوطني .

ونبتت منذ ذاك الحين فكرة احياء تجمع جديد للكتاب يربط في ما بينهم بلقاءات منظمة ، وسرعان ما تحققت الفكرة ، وخلق « اتحاد الكتاب اللبنانيين » الممثل بينكم الآن بشخص امينه العام والوفد المرافق له . وقد صاحب ظهور الاتحاد تتابع ظهور الكثير من الاندية والمجالس الثقافية ، الا ان الاتحاد يبقى اوسعها نشاطا ، وهو يضم معظم الشعراء والكتاب وكاتبي القصة ونقاد الادب البارزين في الحياة الادبية فضلا عن المشرفين على اصدار المجلات الادبية والمهيمنين على بعض دور النشر فيه .

قام اتحادنا منذ تأليفه حتى اليوم بنشاطات كثيرة كان اهمها – على الصعيد العالمي – الندوة التي انعقدت في موسكو عام ١٩٦٩ بين وفده ووفد اتحاد الكتاب السوفيات حول موضوع الادب والمجتمع،

ثم عادت فانعقدت في بيروت عام ١٩٧٢ بين وفد من ادباء السوفيات ووفد من ادباء الاتحاد . واللقاء النموذج بين اتحادي الكتاب اللبنانيين والبلغار ووقعت فيه اتفاقية تعاون بينهما انطلاقا من مبدأ توطيد اسباب التعاون وتوثيق صلات الصداقة بيننا وبين الشعوب الاخرى . والنشاط الذي قام به على الصعيد المحلي مع الهيئات الثقافية في لبنان لاحباط مشروع « الهرم الثقافي » وهو مشروع كان يسعى واضعوه من ورائه الى تقييد حركة الثقافة وتطويق نشاط الفكر وبالتالي مصادرة حرية الراي والتعبير بحل الجمعيات والمجالس الثقافية وربطها بجهاز الحكم.

ومن جملة ما قام به اتحادنا على هذا الصعيد تنظيم الشهر الشعري الذي دعا فيه خمسة من شعراء العرب الكبار الذين يمثلون الاتجاه التجديدي في الشعر لالقاء نماذج من قصائدهم على الجماهير التي غصت بها يومئذ قاعة الاونيسكو في بيروت ، فضلا عن المحاضرات والمناظرات التي قام بها اعضاؤه ورصدوا فيها حركة تطور ادب القصة والمسرح وعالجوا فيها مشكلة تعريب العلوم وهي هدف من اهداف الثقافة الوطنية .

وقد اقترن نشاط الاتحاد على الصعيدين المحلي والعالمي بنشاط مماثل على الصعيد الدولي العربي تجلى اولا في اللقاءين اللذين حصل اولهما في دمشق عام ١٩٧١ ، وثانيهما في بيروت عام ١٩٧٢ بين وفدين من اتحادي الكتاب في البلدين بهدف اجراء لقاء بينهما كل اربعة اشهر تدرس فيه قضايا التعاون بين الاتحادين وتقام ندوة مشتركة في موضوع محدد .

وتجلى ثانيا في اشتراكه بالحضور وتقديم الابحاث في المؤتمرات الادبية العربية الثلاثة التي كان آخرها المؤتمر الذي انعقد في تونس خلال شهر اذار (مارس) من العام الحالي وفيها اضطر وفده الى ان ياخذ قرارا بالانسحاب من المؤتمر .

عقد مؤتمر الادباء العرب بتونس في ظروف بدات تتكون منذ وفاة الرئيس جمال عبد الناصر وبلغت ذروة تكونها في العام الحالي حين عمد الحكم في مصر الى فصل ما لا يقل عن مئة من الادباء والشعراء والفنانين والصحفيين عن اعمالهم التحريرية او نقلهم الى ادارات مختلفة تبعدهم عن ممارسة نشاطهم الادبي .

ولم يشأ وفد اتحاد الكتاب اللبنانيين ان ينعقد هذا المؤتمر دون ان تثار فيه قضية الادباء المحتجزة حرياتهم في مصر وبعض البلدان العربية ، فوقف رئيسه في اجتماع رؤساء الوفود وندد بشتى اساليب القمع والاضطهاد الفكري التي تمارس في بعض الدول العربية ودعا الى ميثاق شرف يتعهد فيه الادباء بالدفاع عن حرية التعبير في كل بلد عربي يمكن ان يضطهد فيه الفكر او يحد من حريته ، والى ان ترسل برقيات احتجاج الى كل من حكومات المغرب ومصر والبحرين حيث هناك شكوى من الاضطهاد .. فلم يوافق رؤساء الوفود ومعظمهم من النوع الرسمي المرتبط بسلطات بلاده على الاقتراح اللبناني . ولما حاول الامين العام لاتحاد الكتاب اللبنانيين ان يتوجه الى الجمعية العمومية للوفود في اجتماعها الختامي ليشرح موقفه منع من الكلام فلم يجد الا الانسحاب وتسجيل موقف خزي لكل من حضر المؤتمر باستثناء ثلاثة اعضاء انسحبوا مع وفد لبنان هم رئيس وفد البحرين وعضوان من الوفد المغربي .

ان وفدنا حين اختار ان يقف موقفه المشرف هذا في تونس فانه انما فعل ذلك بدافع الانسجام مع نفسه ومع ما تفرضه عليه رسالة الادب المسؤول وتقاليده التي نشأ عليها في الوطن الذي ينتمي اليه .

وهو حين آثر الانسحاب من المؤتمر ثم من الاتحاد العام للادباء العرب لم يفعل ذلك بدافع التخريب ، وله من ماضيه ما يشهد باخلاصه ، ولا بدافع الحقد على مصر على حد زعم بعضهم او التعصب الاقليمي ، فقد اكد في بياناته اكثر من مرة ان نشاطه في هذا الصدد انما ينطلق من افكار القومية العربية ومن الفكرة التقدمية ، ومن الايمان بدور مصر الطليعي ، ومن ضرورة محاربة الاستعمار والصهيونية وتاييد المقاومة الفلسطينية ... وانما فعل ذلك لانه يرى ان ما يحدث في مصر من قمع للفكر واضطهاد للطلاب لا يمكن عزله عن دوافع سياسية مبنية على وجهة نظر مغلوطة او غير متفقة مع اهداف المخلصين .

ولذا فهو يهيب بوفودكم ان ترفع الصوت معه ضد كل اضطهاد ، ويتوجه من على منبركم بنداء الى اخوانه الادباء العرب ينبههم فيه الى ما يلوح في الافق من اخطار قد تعرض نهضتهم الى الانتكاس .

* * *

واني وانا اختم هذا التقرير اشعر انه ربما فاته ذكر بعض الحوادث او تفصيل بعض المواقف ولكني حين أتتبع من خلاله حركتنا الادبية من البداية الى النهاية يداخلني السرور ازاء التطور السريع المتلاحق الذي وصلت اليه نشاطات الجمعيات الادبية وحركات الكتاب في بلادنا .

فمن ثمارها ان الثقافة في ربوعنا هذه الايام لم تعد معزولة عن حياة المجتمع ، ولم يعد هناك حاجز بين النشاط الفكري وسائر مجالات النشاط الانساني ، وان الادب صار بتوجيهها مرتبطا ارتباطا عضويا بحركة الكفاح العربي التحرري وبحركة التطور التاريخية لمجتمعنا العربي كله ، وازداد حجم الدور الذي بات يؤديه المثقفون في حركة تجديد انتاج الثقافة الوطنية او اعادة امتلاك تاريخنا الثقافي ، وسرنا اشواطا في التغلب على جميع عقد النقص التي اوجدها في النفوس ماض لم نكن نملك فيه شيئا من امورنا ، وبرزت عندنا نماذج عديدة من الابداعات العلمية والفنية والادبية والفكرية ذات المستوى العالمي ، وفتحنا نوافذنا لكل جديد وقيم في الحضارات العالمية .

ولست أعني بما ذكرت اننا بلغنا حد الكمال ، فان لدى اتحاد الكتاب اللبنانيين مشاريع عديدة عليه ان يسعى لتحقيقها ، وهو قادر على ذلك بفضل التاييد الشامل الذي حصل عليه من الكتاب والمثقفين في لبنان على اثر موقفه في تونس وتشجيع السيل المنهمر من برقيات التاييد ورسائل التهنئة التي ما زالت منذ ذلك الحين تنهال عليه من الكتاب الاحرار في البلدان العربية .

احمد ابو سعد

مؤلفـات هربرت ماركوز

ق.ل.

- الانسان ذو البعد الواحد — ٤٠٠
  ترجمة جورج طرابيشي
- نحو التحرر (فيماوراءالانسانذيالبعدالواحد) — ٢٠٠
  ترجمة ادوار الخراط
- فلسفة النفي — ٥٠٠
  ترجمة مجاهد عبدالمنعم مجاهد
- الحب والحضارة — ٦٠٠
  ترجمة مطاع صفدي

دار الآداب ص . ب ٤١٢٣ بيروت

الذكريات العربية *

النشيد الرابع : المعتزلة

.. باب الحريم ..
وأول الدنيا !
وظل الله والسلطان !!
كان الله في عون الخليفة ..
والخليفة بين خلجات الأسرّة والجدائل !

باب الحريم ..
وساعد السياف !!..
ينتظر الائمة !
قال مدّاحون : ان جبينه قمر ..
وقال أئمة : شمس الهدى !
وتعلق الفقراء بالكلمات وانصرفوا ..
وبيت المال صار قصائد ..
التمت شرائع في دواوين الهبات ..
وساعد السياف يدخل في العمائم آية
ويديل آيه !!

باب الحريم ؟؟
يطامن الفقراء نظرتهم على وحل السواقي ..
ثم ينسون الحكايه !

* * *

في الليل ترتعش الرؤوس ..
أنا أريد قيامتي
في الليل تندفع المناحة ..
شارع الاسفلت يرسم صورة للضوء موحشة..
وأعمدة تهاجر في السكون
وأنا أريد قيامتي !
فعلام وجهكِ موحش حتى الجنون ؟
انتِ التي أحببتني وعرفت اني غارق في الوحل...
أغنية تموت بلا بدايه ؟

* * *

باب الحريم وساعد السياف ...
تجهلنا العمائم في اللقاءات الطويلة حول أعمدة المساجد
وقديمة هذي اللفات ـ جديدة
« الكل واحد » !
وأنا أريد قيامتي من آخر الاطلال !
تندفع المناحه ..
لا يباركني أحد
وتعانق الاشياء في ملكوتها الوردي نارا ليس تحرق..
صورة للنار عللنا بها وحل السواقي
وأحبة كبروا على طرف الزمان ..
وفي الازقة ..
في بقايا قول مداحين !
والحلم اتقد !
وعرفت أنتِ مناحتي
فعلام يكبر حبنا يوما فيوما ؟
وعلام يسقط آخر الاطلال فوق دمي ؟
وأزحف نحو ظلك مستثارا ؟
وأنا أريدكِ .. انت !
تجهلنا العمائم !..
لا يباركنا أحد
وانا اريدك حينما يتهيأ السياف !..
تفرق في الوحول دماؤنا
ويظل يكبر حبنا يوما فيوما .
حرية النار التي لا تستكين لوحشة الاسفلت ...
تعرف لونها وتمده حتى « يصير » !
يتهيأ السياف !..
ظل الله والسلطان !
تعتزل العمائم حول أعمدة المساجد
وتعانق الاشياء في ملكوتها الوردي حلما واحدا :
هبة تعلق آية وتديل آيه !
ويطامن الفقراء نظرتهم على وحل السواقي ..
ثم ينسون الحكايه !

* * *

« العقل علمنا ! »
تدور الريح في صمت الزوابع الاربع !
« العقل علمنا !! »
وتلتفت المرايا للزمان الاوسع !
وتسافر الاشياء في عظة
وتصطرع القبائل .. ثم تنفض القبائلَ
ويعلق « الزهاد » :
ـ « لو انا حذفنا الكائنات .. تظلَ صورتها

---

* الذكريات العربية قصيدة طويلة تتالف من بضعة عشر نشيدا مستقلا توحدها رؤية للصيرورة التاريخية للوطن.. وموقف منها .. باعتبارها « كلا » دياالكتيكيا ممتدا الى المستقبل . وسأوالي نشر اناشيد القصيدة في «الآداب» .

على وجه الزمان الاوسع ! »
رد الذين يكاشفون :
ـ « اذا حذفنا الكائنات فمن تطارده يد السياف ؟
كان الخير تفاحا على حلم ..
وكان الشر كفا ...
لو حذفناها أكان يبين فيها عــدل مولانا أمير المؤمنين ؟ »
ـ « يتعلم الشر الصفير عبادة الاشكال يوميا ...
وفي الشر الصفير
يتجمع الدهماء في وحل السواقي ثم يزدحمون للشر الكبير ! »
رد الذين يكاشفون :
ـ « لكل ضوء زيته ..
ولكل نار في الزمان وقودها ! »
وتطاول الكلمات قامتها
وتصطرع القبائل
فيعلق السياف تفاحا وأعناقا على عطر الجدائل !

* * *

كانت نصوص من دواوين الهبات تعد للتفسير ...
وانتظر الائمه !
كانت نصوص تدفع الاشياء في ملكوت الوان الجواري
ثم تصبح صورة فوق الزمان !
كان الزمان يطير فوق الكلمات ...
لكن ... لا يمرّ بنا !!
رأسان نحن على موائدهم ...
يريد الحب ان يأتي فيرتعش الائمه !
رأسان .. في عنب السلال تبادلا قبلا ..
ودما ..
رأسان فوق النطع ...
تقتلنا المسافة بين أصوات الجراح وبين تفسير الزمان
وتهيأ السياف ...
فاعتزل الائمة حول أعمدة المساجد
بحثوا قصور الشعر والكلمات عن وصف الخليفة ...
ألفوا كتبا عن الاطلال ...
واستقصوا الشوارد !
وتساءل المتسائلون :
« وأين .. أين الارض ؟..
كيف نصور الحفر الكبيرة والوحول ..
على الزمان الاوسع ؟ »
قام الائمة للصلاة ..
ولم يجب أحد
ودار الموت في صمت الزوايا الاربع !

احمد يوسف داود — دمشق

قراءة من الكوكب الآتي

هاجر في عينيّ الكوكب ، عاودني كالصدف المطرود
الكوكب قرص الجبن ، العصفور ، العنقود !
لا ينكشف السر ، ولا ينطق حبل السرة .
جالد ما بين البؤبؤ ، جليات وداود ...
ـ محكمــة .
دخل الآباء الخمسة ،
عانقني كالطوق ،
ـ الصلصال انتامي قمحا ورصاصا ...
ـ خائن !!
ـ كوكبنا ، السكين ، البارود ...
ـ في المشنقة ، الراس ...
تدحرجت الصور الاولى .
لا يتناسل في الفاقد ، مفقود ..!
خيط الدم أول شاهد .
خيط الدم آخر شاهد .
اني أخرج من تحت أظافركم ،
وأداهمكم بالتهمه .
ما كل طعنة لها تصور ، وكل عابر له سبيل !
. . . . .
أرى نصبا ،
أرى سمكا ،
حضارات محنطة ...
أرى ما لا ترى الانصاب والاسماك !
. . . . .
وأقول لكم ، حتى يسقط كل نصيف ...
أكتب ما بين البؤبؤ ، والبؤبؤ ،
أدلق كأسي في ثوب الحفلة ،
أفرغ أمعائي ...
أرقص في النار ...
اشهد اني اختار !
.... اني اختار ...
. . . . .
الكوكب الآتي على يدي القصيده .
الكوكب الاتي !!

علي الخليلي — طرابلس ـ ليبيا

خواطر حول

مشكلات التعبير والاتصال الشعريين في المجتمع العربي

بقلم أدونيس

— ١ —

تشكل مسالة التعبير والاتصال الشعريين او مسالة العلاقة بين المبدع والمتلقي ، في التراث النقدي العربي ، مدارا للجدل منذ اكثر من ثلاثة عشر قرنا . فقد بدأت هذه المسألة تظهر في النقد العربي مع ظهور الاسلام .

كان الاسلام رؤيا جديدة للكون ونظاما جديدا للحياة ، أي انه لم يكن استمرارا « للقديم » ، للجاهلية العربية ، بل كان انفصالا عنها . لكن ، على الرغم من انه كان تاسيسا جديدا لبنى اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية تغاير البنى الجاهلية ، فقد احتفظ بالشكل الشعري الجاهلي كطريقة للتعبير الشعري . وهكذا كان الاسلام انقطاعا عن الجاهلية ، على صعيد النظر او المضمون ، واستمرارا للجاهلية على صعيد الشكل او التعبير .

هذا الموقف يطرح عددا من التساؤلات : هل كان تبني الاسلام للشكل الجاهلي عائدا الى انه يعبر التعبير الاكمل عن شخصية العربي، اللغوية والذهنية ، بحيث استحال تغييره حتى على الاسلام ذاته ؟ هل هو عائد الى كونه نموذجا بيانيا كاملا اكتسب ، بفضل الخبرات الطويلة المتراكمة ، خاصية الثبات والاطلاق ، حتى اصبح شكلا موجودا بذاته ، منفصلا ، ومستقلا ؟ أم لعله يعود الى حرص الاسلام على الاتصال — اذ ادرك ان الشكل الشعري الجاهلي بنية لغوية — تعبيرية ينفعل بها العربي ، ويفهمها بسهولة الحياة اليومية ذاتها ، فتبنى الشكل لكي يكون أداة وواسطة تنقل « المضمون » الاسلامي الجديد ؟ أم لعله يعود الى ان الاسلام كنظرة للثقافة ، وللكون بعامة ، يفصل بين الذات والموضوع ، الانسان والطبيعة ، اللغة والشيء ، الشكل والمضمون ، وهكذا صارت « حياة » العربي اسلامية ، أما روحه فبقيت جاهلية ؟

ليس من غرض هذا البحث ان يجيب عن هذه التساؤلات ، بقدر ما يريد اثارتها تدليلا على ان لمسالة التعبير والاتصال جذورا قديمة في التراث العربي ، وعلى انها بالتالي مسالة لا تحتاج الى الدراسات الجمالية وحسب ، وانما تحتاج كذلك الى دراسات انتروبولوجية .

الثابت ، تاريخيا ، هو ان الشاعر المسلم افصح عن ايديولوجيته الاسلامية بالشكل الجاهلي . فقد حارب الجاهلية باسلوب التعبير الذي ابتكرته الجاهلية نفسها . وعبر عن الصراع من اجل انتصار الدين بالطريقة ذاتها التي كان يعبر بها الشاعر الجاهلي عن انتصار قبيلته في صراعها مع القبائل الاخرى . وامتدح النبي والخلفاء بالطرق الفنية ذاتها التي كان شعراء الجاهلية يمتدحون بها الملوك والامراء ، او قادة القبائل .

وقد أدى هذا الموقف الاسلامي من الشعر الى نتائج كثيرة اذكر منها ما يتصل بموضوعنا :

١ — الفصل بين « الشكل » و « المضمون » . الشكل وعاء حيادي قائم بذاته ، موجود سلفا ، هو الشكل الجاهلي . والمضمون هو الاسلام ، بقيمه وموحياته .

٢ — ليس الشكل بالنسبة الى الشاعر هو وحده الموجود مسبقا، بل « المضمون » هو كذلك موجود مسبقا في الرؤيا الاسلامية .

٣ — اذا كان الشاعر يرث « شكله » و « مضمونه » فان ما يطلب منه هو ان يصوغ ويؤالف ، وان يحسن الصياغة والمؤالفة ، وليس ان يبدع : فالله أبدع له المضمون (العقيدة الاسلامية) ، والتاريخ العريق ، لغة وشعرا ، أبدع له الشكل . فمن أين له هو ان يبدع ما يفوقهما ؟ ان مهمته هي في أن يأخذ ما أعطي له ، وان يجيد في محاكاته واستعادته . فهو لا يبدع بل ينسخ ويصوغ .

٤ — الشعر في الجاهلية فاعلية اولى ، في مستوى العمل والحلم والدين ، أي في مستوى الطبيعة والغريزة . فهو حدس اساسي في المعرفة ، بل هو الحدس الاكمل .

غير ان النبوة ، في الاسلام ، هي الحدس الوحيد ، والمعرفة كلها تصدر عن هذا الحدس . وهكذا حلت النبوة محل الشعر ، وتراجع الشعر الى مستوى الفاعلية الثانية . صار ثقافة : اداة لخدمة الدين ، ينشره ويدافع عنه ويمجده . وهذا يعني ان الاسلام الغى الشعر من حيث انه مصدر للمعرفة ، او من حيث انه طريقة اصلية في استبطان العالم والكشف عنه ومعرفته ، وأثبته كاداة كلامية للدفاع عن الدين .

٥ — ليس الشاعر في الاسلام « ذاتا » ، وانما هو جزء في « الجماعة » الاسلامية . فليس هو الذي يفكر ، بل الجماعة — وليس هو الذي يكتب بل الشكل — اللغة . والشعر جزء من عملية Processus النشاط العام الذي تقوم به « الجماعة » .

— ٢ —

تلك هي الجذور التاريخية لمسالة التعبير والاتصال في الشعر العربي ، عرضتها بايجاز ، وهي تفيدنا في ملاحظة الامور التالية :

١ ـ الامر الاول هو ان النتاج الشعري العربي ضعف كما ونوعا في العقود الخمسة الاولى التي تلت ظهور الاسلام .

وهذه ظاهرة فسرت بانشغال العرب عن الشعر ، بالقرآن ، أو بانشغالهم عنه بالفتوحات . وهو تفسير يجد في الدين والنشاط الحربي العملي أسباب ضعف الشعر وقلة الاهتمام به . غير ان هذا التفسير قد يوضح الاسباب التي تتصل بكمية الشعر ، لكنه لا يوضح تلك التي تتصل بنوعيته . ولعلها تكمن في الموقف الايديولوجي الاسلامي ذاته من الشعر .

فحينما نقل الاسلام الشعر من مستوى الطاقة الخلاقة ، الى مستوى العادة والصنعة ، جعل الشعر امرا نافلا يمكن الاستغناء عنه ، وأكد بالتالي على انه حين يستخدم ، كشكل تعبيري ، لا يقوّم من حيث انه شعر ، بل من حيث انه كلام يحسن اذا كان حسنا أي اذا كان يخدم الاسلام ، ويقبح اذا كان قبيحا ، أي اذا كان لا يخدم الاسلام ، او يتناقض ما يفصح عنه مع ما يفصح عنه الاسلام .

٢ ـ الامر الثاني هو ان الشعر العربي لم يبدأ بالنهوض الا حين بدأ الشاعر يقيم مسافة بينه وبين الايديولوجية الدينية من جهة ، وبينه وبين « الجماعة » بالمعنى الديني ، من جهة ثانية ، او في حين بدأ الانفصال ، بتعبير آخر ، بين الذات والجماعة ، فيمحاولة من الشاعر لاستعادة ذاته « الضائعة » في « الجماعة » وفي « الدين » . في هذا الانفصال اخذ الشاعر يدخل العالم « المحروم » ـ ويرفض الاشكال والافكار المسبقة . واذا كان هذا الانفصال عزله عن الجمهور الوارث ، القديم ، فقد وصله بجمهور ناشىء جديد . وقد بلغت هذه الحركة من الانفصال والاتصال أوجها في نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، في نتاج أبي نواس وأبي تمام .

٣ ـ الامر الثالثهو نشوء نظرتين في فهم الشعر وكتابته : نظرة تستند الى الاسلام ، كرؤيا وكممارسة ، ونظرة تستند الى الشعر ذاته ، من حيث انه تجربة متميزة ، او فعالية انسانية تتصل باخص خصائصه الانسانية . واستندت النظرة الاولى الى التقليد ، اما الثانية فاستندت الى الابداع . وتبعا لذلك ، نشا نوعان من الجمهور . ويكشف لنا النقد الذي اثير حول ابي تمام ، عن خصائص كل من النظرتين ، وعن القيم التي يتمسك بها كل من « الجمهورين » .

غير ان التطور الثقافي ، والعوامل التي رافقت هذا التطور ، وبخاصة العوامل الخارجية ، جعلت المجتمع العربي ينكفىء علىماضيه ، مما ادى الى سيطرة النظرة التقليدية ، وسيادة القيم المنبثقة عنها . وتقوم هذه النظرة التقليدية على الاسس التالية :

١ ـ الاساس الاول هو الفصل بين المعنى والكلام ، واعتبار المعنى سابقا ، وليس الكلام الا صورة له او رسما تزيينيا .

٢ ـ الاساس الثاني هو الفصل بين الشكل والوظيفة . ففي كل تطور حضاري يتطابق الشكل والوظيفة ، بحيث ان تغير الوظيفة يستتبع تغير الشكل . لكن مع ان وظيفة الشعر في المجتمع العربي تغيرت في الاسلام ، كما أشرنا ، عما كانت عليه في الجاهلية ، فان شكله لم يتغير . وهذا مما أكد الانفصال بين المعنى والكلام ، وادى الى جعل التعبير الشعري نوعا من المطابقة بين الكلام والمعنى ، او تكيفا مع القديم .

٣ ـ التكيف لغوي ـ أخلاقي في آن : يتطابق سلوك الخلف مع النموذج الاصلي السلفي للسلوك ، ويتطابق تعبير الفرد مع النموذج البياني الاصلي للتعبير . وينطلق هذا التطابق او التكيف مع القديم ، سواء كان فكرا او تعبيرا ، من الايمان بان القديم كامل ثابت ، وبانه واضح ، وبانه عقلي منطقي . وهذا مما يفترض ان يكون التعبير عنه واضحا ، وان لا يجيء بما يغير القديم ، بل على العكس يجب انيجيء بما يزيده ثباتا .

٤ ـ يعني هذا التكيف ان الشعر العربي القديم هو ، بالنسبة الى الحديث ، في مقام الاجمال ، كما ان القرآن ، مثلا ، هو ، بالنسبة الى الفكر الديني في مقام الاجمال ، وما يأتي بعده في مقام التفصيل .

فالتفصيل هو لسان الاجمال وترجمانه وشرحه ومرآته . والمفصل اذن ليس ابتكارا وانما هو شرح للمجمل ومظهر له . وهذا يعني ان الاقدم هو ، بالضرورة ، الافضل ، وان الاسبق هو الاعلم . فالنور العربي واحد أوله ، دينيا ، النبوة ، وأوله ، شعريا ، الجاهلية . والافضلية تتدرج تبعا لتدرج القرب من الاولية . وليست الحياة اليومية الا تمرسا بمحاكاة الاول . وفي هذا ما يشير الى ان الشعر ، شان الدين ، يحدد بنشاته الاصلية الكاملة . فكما ان الدين تدين اي تكرار طقسي ، فان الشعر هو ، كذلك ، نوع من التمرس بفهم الماضي واستعادته في تكرار طقسي .

٥ ـ ومن هنا انطبع الذهن العربي بما أسميه الماضوية ، وأبرز ما تؤدي اليه الماضوية ، في اطار بحثنا ، هو رفض المجهول ، او غير المالوف ، بل الخوف منه . وفي هذا ما يفسر ايمان العربي بان الانسان لا يقدر ان يتكيف الا مع الاشياء والافكار التي يستطيع خياله ان يجاريها ويقبل بها ، اما تلك التي يعجز عن تفسيرها ، فانه يرفضها . وهو ، حين يواجه فكرا او شعرا لا ينبع مما يعرفه مباشرة ، يحاول اولا ان يفهمه بالمقارنة مع تراثه الذي يعرفه ، أي مع ما يفهمه ، وحين لا يكون ثمة مجال للمقارنة ، فان هذا الشعر او الفكر يبدو له غريبا وخطرا . المهم ، بالنسبة اليه ، هو الواضح ، هو ما يفهمه ويسمح له بالتوجه في الطبيعة والثقافة ، في الحياة والمجتمع . ومن هنا يستخدم العربي موروثه لكي يفهم كل شيء ، وما يتناقض مع هذا الموروث لا يكون جديرا بان يعطى اية قيمة .

٦ ـ في ضوء هذا كله ، ندرك الدلالة في صراع الافكار ، داخل المجتمع العربي ، بدءا بما سمي بعصر النهضة ، حتى اليوم . فهو يكاد ان يكون استعادة للصراع الماضي بين قيم الثبات الماضوية ، وقيم التحول المستقبلية ، حتى ليبدو غالبا انه يجري بالكيفية الماضية ذاتها تقريبا ، وبوسائلها ، القمعية والانعتاقية ذاتها تقريبا .

ندرك ، بالتالي ، الدلالة في موقف العربي المتناقض مما نسميه الحداثة . فهو يقبل منها كل ما يحسن الحياة وطرقها المعيشية بخاصة ، لكنه يرفض الموقف العقلي الذي ادى الى نشوء الحداثة . انه ، بتعبير آخر ، ياخذ من الحداثة منجزاتها العلمية التقنية ، لكنه يرفض النظرة التي ابدعتها . والحداثة الحقيقية في الابداع ، لا في المنجزات بذاتها .

ـ ٣ ـ

حين نقول اليوم : « يجب ان يكتب الشاعر العربي بلغة يفهمها الجمهور » ، يبدو هذا القول ، في ضوء المسار التاريخي لمشكلة التعبير والاتصال ، كما عرضتها بايجاز ، مبهما ، لا يقول شيئا ، وخارج المشكلة الحقيقية .

أ ـ فهو مبهم لانه لا يحدد هذا الجمهور : هل هو الخاضع للثقافة الشعرية التقليدية ، أم هو المتحرر منها ، وما طبيعة هذا التحرر ؟ وهو مبهم ايضا لانه لا يحدد اللغة الشعرية : هل هي اللغة التقليدية ، أم هي اللغة الجديدة ـ وما طبيعة هذه الجدة ؟

ب ـ وهو لا يقول شيئا لانه يكرر بداهة . فالشعر يكون للاخر ، لجمهور ما ، او لا يكون شيئا .

ج ـ وهو خارج المشكلة الحقيقية ، لان هذه المشكلة ليست في

تقرير الصلة بين الشعر والجمهور ، بل في تحديد معنى هذه الصلة ، وتحديد الجمهور ، وتحديد اللغة الشعرية .

— ٤ —

نحدد الجمهور السائد ، على صعيد فهم الشعر وتذوقه ، بالثقافة السائدة والتي هي جزء من الايديولوجية السائدة . هذه الايديولوجية المتحققة في مؤسسات المجتمع العربي : (العائلة ، المدرسة ، الجامعة ، التشريع ، السياسة ، الدين ، الثقافة بأشكالها الاعلامية والادبية) ، والمجسدة في ممارسات الاجهزة الايديولوجية للنظام العربي السائد ، لا تؤسس شروطا جديدة وعلاقات جديدة ، وانما تعيد انتاج العلاقات الاستغلالية الماضية . فهذه الايديولوجية السائدة ليست الا استعادة للايديولوجية الاستغلالية الماضية ، وليس التحول السياسي ، الظاهري ، اكثر من ازاحة للطبقة القديمة المستغلة ، من أجل ان تحل محلها طبقة جديدة مماثلة ، لا من اجل تحرير الطبقة المستغلة . وهكذا فان العائلة في المجتمع العربي ما تزال أسيرة التكوين القبلي التيوقراطي ، والمدرسة العربية ليست تقليدية وحسب ، بل رجعية ايضا فيما تدرسه وفي طرق تدريسها على السواء ، والدين ما يزال مهيمنا على الحياة المدنية بكاملها ، وعلى الحياة الثقافية والتشريعية والسياسية ، وما يزال الوعي الطبقي ملموسا بهذه الهيمنة الدينية ، على الاخص (المؤمنون جماعة واحدة ، أمة واحدة ... الخ) ، ولذلك فان الصراع الطبقي ما يزال هو الآخر ملموسا .

والواقع ان الموضوعات السائدة في الشعر العربي اليوم ، هي الموضوعات الغزلية والجنسية ، والموضوعات الاجتماعية — السياسية . الاولى رومنطيقية من حيث الطبيعة ورجعية من حيث النظرة . اما الثانية فهي المعادل السياسي للرومنطيقية العاطفية . ذلك انها صيغ وشعارات حماسية وليست كشفا عن آفاق جديدة لعلاقات جديدة .

والجمهور الذي يخاطبه هذا الشعر ، ليس من طبقة واحدة ، وليس ذا ثقافة واحدة . وانما هو مجموعات من الافراد الذين اخذوا بنصيب قليل او كثير ، من المعرفة المدرسية . وهذا الشعر ينقل اليهم ما يعرفونه . وهو ، اذن ، لا يقدم وعيا جديدا لانه لا يقدم متعة فنية متميزة وجديدة .

لكن ، اذا كانت عبارة « سائدة » هنا تعني ان الفئات القاهرة في المجتمع العربي تسود بايديولوجيتها الفئات المقهورة ، فانها تتضمن ايضا ان لهذه الفئات المقهورة ذاتها ، طليعة تمتلك وعيها الخاص بوضعها ، بكونها مقهورة ، وانها تتململ من اجل التحرر والانعتاق من شروط حياتها هذه ، ومن الايديولوجية السائدة .

لنقل ، اذن ، ان المجتمع العربي ما يزال في بنيته الايديولوجية الغالبة ، مجتمعا تقليديا ، غير انه ، مع ذلك ، يتحرك ايديولوجيا ، بقيادة أقلية طليعية في اتجاه الحداثة الثورية .

— ٥ —

هذا هو الوضع الذي يعيش فيه الشاعر العربي المبدع ، ويعانيه : أقول المبدع لاشير الى ارتباطه بما سميته الحداثة الثورية ، من جهة ، ولاميزه من جهة ثانية ، عن اسماء كثيرة تنتحل هذه الحداثة او تكتب الشعر بقوة الاستمرار التقليدي ، دون ان تعاني أية مشكلة ، على هذا المستوى . ولكي أقول ، بالتالي ، ان مشكلات التعبير والاتصال انما هي مشكلاته هو ، وحده دون غيره من هؤلاء المنتحلين او الواقفين في الموقع الاستمراري الذي لا يتيح طرح مثل هذه المشكلات .

ان هذا الشاعر يواجه ، على الصعيد الفني ، مشكلة ذات وجهين متلازمين : كيف يعبر بحداثة ثورية (توكيدا لانفصاله عن الآلية الايديولوجية السائدة) ، وكيف يوصل هذا التعبير (توكيداً لارتباطه العضوي مع الفئات الطليعية المقهورة العاملة للتغلب على الايديولوجية السائدة وعلاقاتها) . هكذا يبدو ان دور هذا الشاعر هو في ان ينتج فعالية جمالية لا يستوحيها من العادة السائدة بقوة الايديولوجية السائدة ، بل يستوحيها ، على العكس ، من الطاقة الكامنة ، المقموعة لكن القادرة على تغيير شروطها القهرية وابداع شروط جديدة لحياة جديدة .

— ٦ —

هناك ، اليوم ، في الشعر والنقد العربي مستويان لهذه الفعالية الجمالية : الاول تبسيطي ، توفيقي وهو السائد . والثاني تعميقي ، جذري . في المستوى الاول نجد نتاجا شعريا ينتحل الحداثة الثورية ، اعني أن هذه الحداثة آتية من الحيلة الشكلية لا من الهوية الأصلية . فالاسس التي يصدر عنها هذا النتاج سواء ما اتصل منها بالايقاع والصورة ، والجملة ، والكلمة ، والبنية اللغوية بعامة ، هي نفسها الاسس التقليدية .

وهذه الحيلة شكلية تقوم على تفكيك بنية البيت القديمة الى جزيئات ، ومن ثم اعادة تركيب هذه الجزيئات في نمط آخر . فهي تغير في البنية النمطية لكنها تحتفظ بالموقف القديم من اللغة الشعرية، الذي أدى الى هذه البنية . والموقف اذن ما يزال قديما ، بأن الجدة هي في الرؤيا الجديدة للغة الشعرية ذاتها — وليست في مجرد تنميط آخر للبنية الشكلية القديمة . وهكذا ما يزال الشكل اناء جاهزاً يعبأ بالافكار ، كما كان في الماضي . اختلف حجم الاناء وابعاده ، لكن طبيعة العلاقة بينه وبين ما يحتويه ، ما تزال هي نفسها العلاقة القديمة . فبدلا من تعبئته ، مثلا ، بفضائل الخليفة او القبيلة ، فانه يعبأ اليوم بفضائل الثورة .

الشعر ، في هذا المستوى ، يعمم النمطية القديمة . وتعميم هذه النمطية مشاركة في تعميم الاستلاب . فاللغة الجمالية التقليدية المعممة في مجتمع يتململ باتجاه الثورة كالمجتمع العربي ، انما هي قوة ايديولوجية تستلب العربي لانها تشارك في اخضاعه لقمع معمم .

والشعر ، في هذا المستوى ، ينظر الى الجمهور كميا : يهمل الفروقات النوعية ، بين فئة وفئة وبين فرد وفرد ضمن الفئة الواحدة . وهو في الحالتين ينطلق من قناعة نظرية مسبقة أن الشعر كلام كغيره من الكلام ، وان الجمهور يفهم الكلام ، بالضرورة ، ولذلك لا بد من ان يفهم الشعر بالضرورة . وفي هذا ما يشير الى ان اللغة الشعرية ، بالنسبة اليه ، هي الكلام لكن الذي يختلف عن غيره بكونه موزونا ، يحمل مضمونا تقدميا او يكشف عن موقف تقدمي .

والشعر ، في هذا المستوى ، يقف من الناحية الظاهرية مع الطاقة المقموعة العاملة لتغيير بنية المجتمع العربي بكاملها ، لكنه في الوقت نفسه يقف مع العادة السائدة — أي انه يتبنى الطرائق التقليدية التي عبرت وتعبر بها هذه البنية عن نفسها . وفي هذا استعادة للموقف الاسلامي من الشعر الجاهلي : ابداع بنية جديدة للمجتمع ، والابقاء على أشكال التعبير التي انتجتها البنية القديمة .

وتنتج عن هذا الموقف نتائج تتناقض مع كون الشعر فعالية جمالية ثورية . من هذه النتائج اعطاء الاولية للمضمون . وهذا يعني ان موقف الشاعر عقلي ، يفكر ويحلل ويعاني ويختار . ثم يجيء التعبير فيبحث عن الشكل الذي يرى انه يلائم لنقل ما يعانيه .

ومن هذه النتائج اعطاء الاولية للقارىء او السامع أيا كان ، دون تحديد ، لان الغاية افهامه واقناعه ، اكثر مما هي الكشف عن

أعماق الشاعر وعوالمه الداخلية ، حتى الجوانب الثورية منها . ومن هذه النتائج اعتبار الشعر نشاطا تثقيفيا ، يراقبه العقل ويوجهه ، وهو اذن وسيلة اعلامية مرحلية ، تنبع قيمته من فعاليته كوسيلة . ومن هذه النتائج تجريد الشعر من طبيعته الخاصة كفعالية انسانية متميزة بكونها انتاجا جماليا ، ومن ثم مزجه باشكال التعبير الاخرى عن الذات ، وانعدام التمييز ، جماليا ، بينه وبينها .

والشعر ، في هذا المنظور ، مؤسسة : انه الزواج لا الحب ، والوصول لا المغامرة ، والفكرة لا المعاناة ، والموضوع لا الذات ، والعادة لا الطاقة . فهذا المنظور يشدد على الوسيلة الفعالة . والسؤال : « ما العمل ؟ » ، مطروح ، في المستوى نفسه على العامل السياسي والشاعر . والمقياس هو في الفعالية الكمية ، وهي هنا مدى الانتشار . وهذا يعني ضمنيا ان الجمهور هو العدد ، وان اية رواية بوليسية او جنسية أفضل من نتاج شكسبير او غوته ، لانها اكثر انتشارا .

هذا الموقف لا يهتم بتحديد او ابداع طراز جديد من الممارسة الشعرية يختلف عن الطراز الموروث ، او نمط من التعبير يختلف عن الانماط التقليدية . المسالة ، بالنسبة اليه ، ليست في الفعالية التي تؤدي الى تغيير القيم الفنية التقليدية ، والحساسية وطرق الفهم والتذوق الناتجة عنها ، وانما هي في تقديم مادة استهلاكية تجذب الجمهور وتنمي فيه القيم الموروثة ذاتها ، وتحافظ على استمراريتها .

وفي هذا الموقف ما يشير الى اعتبار النتاج اللغوي كانه نتاج يدوي ، أو اعتبار اللغة طريقة من طرق العمل . فكما ان نتاج العامل ليس فرديا ولا يحصر في اطار الفرد ، وانما هو شامل ، اي قابل للتبادل ، أي انه ، بمعنى آخر ، سلعة ، وقيمته في مدى قدرته على ان يكون سلعة ، فان القصيدة يجب ، هي ايضا ، ان تكون قابلة للتبادل ، أي سلعة . وقيمتها تكمن في مدى قدرتها على ان تغري الناس بقبولها وتداولها .

— ٧ —

اما في المستوى الثاني فينطلق الشعر والنقد العربيان من موقف يرى ان الشعر فاعلية أولى كالحب ، كالحلم ، كالجنس ، وليس مجرد عادة ثقافية . ولهذا قبل البحث في مسألة الاتصال لا بد من البحث في النص ذاته : هل هو شعر ام انه نص يتزيا بشكل الشعر ؟ خصوصا ان الاتصال هو في الدرجة الاولى جمالي ، وليس اعلاميا ، أو ايديولوجيا بالمعنى المباشر المحدد . وهذا ما يفترض مقدمات مبدئية لكل بحث في مسألة التعبير والاتصال الشعريين .

١ — أصوغ المقدمة الاولى كما يلي : حيث نجد في نص ما ، استخداما للكلمات يحيد بها عما وضعت له أصلا ، على الصعيد اللغوي العام ، ونجد طريقة في هذا الاستخدام اصيلة تغاير الطرق الموروثة أو المألوفة ، على الصعيد الابداعي الخاص ، فاننا نجد شعرا . كل نص لا يتوفر فيه هذا الحد الادنى لا يمكن اعتباره شعرا ، حتى حين يستخدم الوزن .

٢ — المقدمة الثانية هي ان الشعر ، كشريحة من الايديولوجية الثقافية ، ليس له وجود مادي شان الايديولوجية الدينية ، مثلا ، أو السياسية . فالشخص المؤمن بالله ، مثلا ، يصلي ويصوم ويزكي ... الخ ، أي يقوم بأعمال مادية تطابق او تحقق ايمانه . لكن الشخص الذي يقرأ ، مثلا ، قصيدة (او يكتب قصيدة) عن الموت ، فانه لا يسلك بالضرورة عمليا ، أي لا يقوم بعمل مادي يطابق انفعاله الجمالي بالموت . وحتى حين يقرأ (او يكتب) قصيدة عن الحب ، فقد لا يتيسر له ان يسلك عمليا ، ماديا ، بشكل يطابق انفعاله الجمالي بالحب . فالشعر لا يفترض بالضرورة ، مطابقة مادية لمضمونه على النقيض ، من الدين او السياسة او التشريع ... الخ . فافكار الشاعر ، كذات تنتج الشعر ، ليست بالضرورة الاعمال المادية التي يقوم بها ، كذات تقوم بافعال مادية معينة .

٣ — المقدمة الثالثة هي ان قانون التفاوت أو التطور اللامتساوي والذي يعني ان تطور البنية التحتية لا يلازمه بالضرورة ، مباشرة ، تطور البنية الفوقية (والعكس صحيح) ، يسمح لنا بالقول ان من الممكن ان يكون الشعر متقدما في مجتمع ذي بنية تحتية متخلفة ، أو ان يكون متخلفا في المجتمع ذي البنية التحتية المتقدمة .

وبما ان الحالة الاولى هي حالة المجتمع العربي ، فلا بد ، في بحث مسالة التعبير والاتصال ، من ملاحظة القضايا التالية :

آ — ان الثقافة السائدة في المجتمع العربي ، أي ثقافة الجماهير ، ثقافة متخلفة بحكم خضوعها لبنية اقتصادية وعلاقات اقتصادية متخلفة .

ب — ان الشعر ، كشريحة مستقلة نسبيا عن الايديولوجية الثقافية ، متقدمة جدا ، بالقياس الى الايديولوجية السائدة .

ج — ان التطور ، المستقل نسبيا ، للتعبير الجمالي ، أتاح ابتكار أشكال تعبيرية لم تتجاوز الاشكال الموروثة وحسب ، وانما فرضت اعادة النظر في الاسس الجمالية الموروثة ، وفي معنى الشعر ذاته .

د — ان هذا التطور أدى موضوعيا الى الانفصال عن الثقافة السائدة وقيمها ، أي ادى الى الانفصال عن الجمهور الشعري السائد.

هـ — لكي يتذوق الانسان الفن او يتمتع به لا يكفي ان تكون له ثقافة عامة ، وانما يجب ان تكون له ، كما يقول ماركس ، ثقافة فنية .

— ٨ —

اقف قليلا ، في ضوء هذه المقدمات ، عند المشكلة النقدية — الايديولوجية حول الشعر وأشكاله التعبيرية المتقدمة ، والتي نصوغها في السؤال التالي : أيهما اكثر تقدمية أو ثورية : الشكل التقليدي المشترك بين الجماهير ، أي الذي تفهمه الجماهير ، والذي يحمل مضمونا تقدميا ، أم الشكل الثوري ، غير المشترك ، والذي يصعب فهمه ، لكن الذي يحمل هو ايضا مضمونا تقدميا ؟ (أفصل هنا بين الشكل والمضمون بغاية تبسيطية ، توضيحية) . والجواب السائد هو الذي يفضل النتاج الاول ، وهو ، في رأيي ، خاطىء ، شعريا وثوريا . ذلك انه يفصل ، في الفعالية الجمالية ، بين محتواها وشكلها ، ويتبنى الشكل المتخلف للتعبير بحجة سهولته . وهو رأي ينظر الى الشعرية بمقاييس من خارج الشعر . انه نفسه الموقف الاسلامي التقليدي .

والواقع ان هذه المشكلة تكشف عن نوعين من العلاقة مع الجمهور الشعري السائد ، في الشعر العربي اليوم : الاولى مدحية ، بشكل عام ، ويمثلها النتاج الشعري الاول . والثانية نقدية ، بشكل عام ، يمثلها النتاج الثاني . الاولى تبشيرية ، تعليمية ، والثانية ابداعية ، جمالية .

تؤدي العلاقة الاولى بالشاعر الى المغالاة في اسقاط احلامه على الواقع ، فيسلك ويكتب كأنه في وضع ثوري حقيقي ، مما يذكر باسلوب الفخر المتشدق ، عند شعراء الماضي ، وكأنه يخاطب جمهورا حوّل الحياة العربية تحويلا شاملا . الشاعر هنا يتوهم واقعا ويشيع هذا التوهم بانتفاخ تبشيري . ومن هنا يبدو شعره تعبيرا عن ظاهرة نفسية مرضية : فهو تعويض او عزاء عن عجز وفشل مستمرين . انه ثورة من لا ثورة له ، انه الشعر الابهام ، الشعر — الافيون . انه الضياع وقد انتظم بيانيا : مرآة لفظية تصقلها الحماسة ، لا يكتشف فيها الجمهور رجاءه ، بل عزاءه . وهذا شعر يندرج في الاطار

التقليدي المتخلف ، محتوى وطريقة تعبير .

اما العلاقة الثانية فتكشف عن ان الشاعر ينظر الى العمل الثوري ككل لا يتجزأ ، لكنه يميز بين مستوياته وطرائقه . فللشعر مثلا ، طبيعة تخصه ولذلك له صفات تميزه ، ان له ، بالتالي ، خصوصيته في الاداء وفي التلقي . وهو لذلك ، يمارس التعبير ويفهم الاتصال انطلاقا من وعيه هذه الطبيعة من جهة ، ووعيه الثقافة السلفية السائدة من جهة ثانية . ومن هنا لا يأخذ المتلقي ــ القارىء ، كما هو ، بثقافته السلفية فيخاطبه بطريقة تمليها او تفرضها هذه الثقافة ، وانما يأخذه كقوة ثورية آخذة في التكوّن ، فيخاطبه بطريقة تمليها هذه القوة . انه ، بتعبير آخر ، لا ينظر اليه كعادة ، وانما ينظر اليه كطاقة .

الشاعر في العلاقة الاولى يموه اغتراب القارىء ، اما في العلاقة الثانية فان الشاعر يكشف عن هذا الاغتراب . الاول يقول له ان ما ترثه من دين ونظم أخلاقية وتقاليد ... الخ ، مجد عظيم لا يضاهى ، والثاني يقول له ان عليك ان تعيد النظر ، جذريا ، في هذا المجد لانه مبعث اغترابك عن ذاتك ، اليوم . الاول يقول له ان طرائق التعبير التي ترثها ذات جمال لا يستنفد ، والثاني يقول له ان هذه الطرائق ، تكتنز أشكال اغترابك ، ولهذا يجب ان تتجاوزها ، بحثا عن طرائق لا تجد فيها عادتك بل طاقتك . الاول يزين له الجمال الموروث ، الجاهز ، والثاني يقول له : اخلق جمالك الخاص ــ فالجمال يكون ابداعا ثوريا ، أو لا يكون .

ــ ٩ ــ

ان النقد الايديولوجي للشعر يطرح بذاته قضايا فنية كثيرة ، من حيث تناوله النتاج الشعري ، أي من حيث التطور لا من حيث النظرية . ومع ان اطار بحثنا لا يسمح بمناقشته ، فلا بد من الاشارة الى اكثرها أهمية مما يفيد في اضاءة مسألة التعبير والاتصال ، ويرتبط بها مباشرة . أوجز هذه القضايا فيما يلي :

١ ــ اذا كان الشاعر يخاطب القارىء كطاقة ، فان هذه الطاقة ليست قوة وحيدة . وانما هي قوة كثيرة متعددة الاوجه . فالشاعر يخاطب القارىء بدءا من تجربته هو لا من تجربة القارىء ، لكن دون ان يعني ذلك ان هناك تناقضا بين التجربتين ، بل يعني ان الشعر هو أولا معاناة ــ يصدر عن ذات تعاني . وهكذا قد يخاطب الشاعر القارىء من حيث انه طاقة حلم ، او من حيث انه طاقة حب ، او من حيث انه طاقة عمل ، او من حيث انه طاقة استباق وتجاوز ، او من حيث انه هذه القوى جميعا . وطبيعي ان يتغير نوع الاداء بحسب الحالة التي يعانيها ، وان يتغير تبعا لذلك نوع المتلقي .

وبما ان القارىء العربي ليست له ، اجمالا ، ثقافة فنية ، لا كما ولا نوعا ، فان مستوى المشكلات التي يعانيها هو مستوى مبتذل ، أعني انه سريع وتعميمي . وهو ، اجمالا ، بعيد عن الآفاق التي فتحتها العلوم والتجارب الانسانية الحديثة . والشاعر الذي يسر له ان ينخرط في هذه الآفاق ، لا بد من ان يتأثر بها في تعبيره ، لذلك لا بد من ان يكتنز شعره بأبعاد حضارية وجمالية يصعب على هذا القارىء ، موضوعيا ، أن ينفذ اليها . واذا كان من نقد يوجه هنا فلا يجوز ان يوجه الى الشعر ، وانما يجب ان يوجه الى النقص والعجز في العمل التحويلي الثوري العام .

٢ ــ اذا صح ان الشاعر يخاطب القارىء من حيث انه طاقة ، وان هذه الطاقة كثيرة ، فان ثمة آراء في الكتابة الشعرية تتباين تبعا لتباين الشعراء والنقاد ومتذوقي الشعر ، بعامة ، في البنية النفسية والعقلية . ومثل هذا التباين في مجال الحساسية والتعبير عنها قائم حتى بين الشعراء الذين ينتمون الى ايديولوجية واحدة . وهذا يعني ان ثمة تنوعا او تباينا ، على صعيد التعبير الشعري ، ضمن الوحدة الايديولوجية .

غير ان النقد السائد قلما يلحظ هذا التباين . اسأل ، مثلا : هل في الماركسية ما يحول دون ان يخلق الشاعر الماركسي للعشق وأبعاده ، او لعوالم الحلم او المستقبل او لكشوف العلم معادلا جماليا بالشعر ؟ واذا كان لا يكتب مثلا ، بشكل مباشر ، عن الصراع الطبقي أو المنجزات والقضايا السياسية والاجتماعية اليومية ، فهل يعني ذلك انه غير ماركسي ، او انه مناوىء للجمهور وقيم التقدم ؟

ان التقويم الشعري السائد يعتبر ، مثلا ، ان الشاعر الذي يكتب قصيدة في التأميم او هجاء الاستعمار او الاقطاع ، بشكل مباشر ، اكثر ثورية من الشاعر الذي يحاول ان يخلق للحب ، مثلا ، او للحرية ، او للتفتح الانساني ، الثوري ، بمعناه الجذري الشامل ، بعدا جماليا بالشعر .

٣ ــ صحيح ان الشعر كجزء من البنية الفوقية مشروط بالبنية التحتية الاقتصادية وعلاقاتها الاساسية . لكن صحيح ايضا ان المشروط غير شروطه . فاذا كان نمو العشب مشروطا بالماء ، فان العشب يظل شيئا آخر غير الماء . فالانسان المشروط بالاوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، هو غير هذه الشروط ، والا لما استطاع ان يغير الواقع او ان يخلق واقعا جديدا . وهكذا فان العلاقات الاساسية في البنية التحتية تأطر الشعر وتشحنه ، لكنها لا تخلقه . الانسان هو الذي يخلق الاقتصاد ويخلق الشعر . ان الشروط تؤثر في كيفية التكوّن لكنها ليست التكون ذاته وليست الشيء المتكوّن . وعلى هذا فان جوهر الانسان ليس في كونه مشروطا ، بل في كونه يفلت من الشروط كلها : ليس في كونه مخلوقا ، بل في كونه خالقا . فجوهر الانسان هو في انه كائن خلاق مغير . وجوهر الثقافة ، بالتالي ، هو اذن في الابداع المغير .

٤ ــ ان القيم الجمالية الموروثة التي تستعاد بزي جديد ، بحيث يرى فيها القارىء صفات زخرفية اغرائية ، فيستهلكها بسهولة ومتعة ، انما هي وسيلة لتحييد الشعر ، من جهة ، وهي من جهة ثانية ، مادة استهلاك . وكل ثقافة استهلاكية لا يمكن ان تكون عنصر تغير . على العكس ، ان هذه الثقافة ترتكز الى الثوابت النفسية الموروثة والى ثوابت القيم ، وهي اذن عنصر ترسيخ لما يجب هدمه .

ومن هنا ندرك كيف أن ثقافة الاستهلاك تشارك في ترسيخ القمع والحيلولة دون التحرر . وندرك بالتالي الاسباب التي تجعل الانظمة القمعية تشجع ثقافة الاستهلاك . فهي تشيع الاعتقاد بأن التلبية التي تقدمها هذه الثقافة تطابق حاجات حقيقية ، فتخلق استنادا الى الجماهير وباسمها ، القيود التي تكبل بها الجماهير . ان الثقافة التي تستعيد القيم الموروثة والتي تشجعها الانظمة ، كثقافة مشروعة وكحاجة ضرورية ، تكشف عن ممارستها الايديولوجية القمعية . انها رمز لقوة كابحة في اتجاه الماضي ، لا رمز لقوة دافعة في اتجاه المستقبل .

٥ ــ الشكل الحديث يصدم لجدّته . وهو ، بجدته نفسها ، تجاوز للراهن ، احتجاج على الصورة الثابتة . وهو ، بهذا المعنى ، ثوري . ان تفجر الشكل عند الشاعر يشير الى الرغبة في الانفصال عن واقع ايديولوجي واجتماعي قمعي . فكل تجديد شكلي يدخل ، بخلاف الظاهر ، في اطار الممارسة السياسية التي تهدف الى تغيير الواقع القائم . أما ممارسة الشكل الموروث فتهدف الى المصالحة العاطفية والعقلية مع الواقع . وهكذا فان طريقة التعبير هي التي تكشف عن الاتجاه السياسي الصحيح . ان السياسة الرديئة لا تنتج الا الشعر الرديء ومن هنا لا يمكن أن يكون الاتجاه السياسي الذي تفصح عنه قصيدة ما صحيحا الا اذا كان اتجاهها الفني صحيحا .

وعلى هذا فان رفض الحداثة كما تبدو بخاصة في طرق التعبير ، يدل على نزعة محافظة غايتها اما الابقاء على الفصل التقليدي بين الشكل والمحتوى ، واما المزج والمصالحة بينهما بطريقة مزيفة . وهو ما يسود في المجتمع العربي . ولذلك فان ما يسود في هذا المجتمع انما هو الاعلام الموزون ، واللهو الموزون ، والجمالية الشكلية الموزونة .

٦ ــ ان اللغة الشعرية القديمة ، شأن علاقات الانتاج القديمة ، عامل اغتراب وتغريب . ان الشاعر الذي يكتب اليوم بالطرق الشعرية القديمة ، لا يكون مغتربا عن ذاته وعصره وحسب ، وانما يكون ايضا

مشاركا في تغريب الانسان . ان شاعرا يؤمن بالثورة ، بتغير المجتمع جذريا ، لكنه يعبر بأشكال نشأت في ظل الاقطاع والتيوقراطيـــة ، يخون الثورة والانسان في آن . انه بهذه الكتابة يطيل أمد الحساسية والقيم الاقطاعية التيوقراطية ، ويضفي عليها الشرعية الثورية بحيث يوحي ان ثمة لقاء او وحدة بين التيوقراطية والثورة . وانها لمفارقة غريبة ان نرى اليوم في المجتمع العربي شعراء يؤمنون بالاشتراكيـــة والشيوعية ويعبرون عن ايمانهم بالطرق ذاتها التي عبر بها الشعـراء القدامى الذين مجدوا الخلافة والتيوقراطية .

يجب ، في هذا الصدد ، ان نشـير الى أمرين : الاول هو ان جدة اللغة الشعرية او ثوريتها تتضمن ، بالضرورة ، نفي اللغـــة الشعرية القديمة ، والامر الثاني هو ان هذا النفي جدلي ، فالجـديد حين ينفي القديم يكون طالعا ، في الوقت نفسه ، من هذا القـديم ذاتـــه .

— ١٠ —

يبدو مما تقدم ان الشعر العربي السائد والنقد الشعري السائد والتذوق الشعري السائد ، انما هي جميعا تنويع على الشعر القديم والنقد القديم والتذوق القديم . بل ان التقويم الايديولوجي الحـالي للشعر انما هو نفسه تنويع على التقويم الايديولوجي الاسلامي .

ان سيادة الانتاج والتقويم الشعريين ، على الصعيد الجمالي ، انما هي انعكاس لسيادة الثقافة التقليدية ، على الصعيد الايديولوجي، وسيادة هذه الثقافة نتيجة طبيعية لسيادة العلاقات الانتاجية القديمة.

ومن هنا نقول ، بصيغة اخرى ، ان الجمالية السائدة هــي الجمالية الموروثة ، جماليـــــة الخضوع للمعيار . وهي وليـــدة الايديولوجية الدينية التي تعلم الانسان انه ليس موجودا في طبيعته الخاصة ، وان وجوده الحقيقي انما هو خارج هذه الطبيعة .

وهكذا تبدو الايديولوجية التقليـــدية السائدة انها دفاع عـن استمرار ما لم يعد يحمل الطاقة على الاستمرار ، وانها تضفي علـى الواقع ما اصبح غريبـا عنه ، وانهـا تفرض عليه ان يتنفس بقلـب اصطناعي . انها في التحليل الاخير ، ليست الا تسويغا لقمــــع الانسان . ولهذا فان هدمها وهدم اشكالها الجمالية ، على الاخص ، انما هو اسهام في هدم الاسس التي يقوم عليها هذا القمع خصوصا ان الفرد العربي ما يزال ضائعا على مستويين : عام وخاص ، عـام يتصل بالايديولوجية ، وخاص يتصل بمستوى اعمق جذورا ، مستوى الطبيعة . انه ، بتعبير آخر ، يعيش حياتين : عامة لا يستطيـع ان يجد نفسه الحقيقية فيها ، وخـــاصة لا يستطيع ان يحققها بسبب انواع القمع الكثيرة . ان موروثه الايديولوجي السائد ، متناقض مع حضوره في العالم الراهن ، عالم الحداثة الثورية ، ومقتضيـاته . وفي هذه الحالة تبدو الدولة نفسها ضائعة ، بل يبدو المجتمع كـلـه ضائعـــا .

ولا حريـة للعربي في هـذا الضيـاع العـام الا حريـة الخضوع للسلطـة السائدة وايديولوجيتها : « نعم » لكل شيء تقوله او تفعله السلطة ، هي المعادل المدني الارضي لـ « آمين » كلمـة الخضـوع لكل مـا يأمر بـه اللـه .

ولا يفيـد هنـا تحرر العربي على الصعيد العام او السياسي وحده، مـع انه لـم يتحرر بعد ، وانمـا يجب ان يتحرر على الصعيد الخاص، من القمع الخاص . فكل تحرير لا يتناول العام والخاص معا ، في حياة الفرد العربي ، لا يؤدي الا الى مزيـد من الاغتراب . ان التحـرر السياسي ، بتعبير آخر ، اذا لـم يرافقه تحرر من الايديولوجيـــة التقليدية ، ليس تحررا ، ذلك ان التحرر السياسي ليس التحـرر الانساني الكامل (ماركس) . فالمسألة هي في ان الفرد العربي ليس متحررا داخل ذاته ، هي في انه تقليدي ، داخل ذاته ايضا وليس في العلاقات الاجتماعيـة ، او خارج ذاته وحسب .

ان الذهن العربي مليء بآلهـة لا يمكـن للشاعر الثوري الحقيقي الا ان يصرخ في وجهها الصرخـة ذاتها التي اطلقها بروموثيوس وتبناها ماركس : اكره جميع الآلهـة . وليست الالهة هنـا آلهـة السماء وحسب ، وانمـا هي آلهـة الارض ايضا . ليست آلهـة الاقتصـــاد والسياسة وحسب ، وانما هي ايضا آلهة الدين والادب والفـن . وانه لأحب عند هذا الشاعر ، اذا كانت المسألـة مسألـة اختيـار ان يظل دون قراء ، مـن ان يكـون مغنيـا في قصور هؤلاء الالهة ،قصور الافيـون ، والضياع . وليست الكتابة بلغـة هؤلاء الالهة ، السائدة، المعممة الا مشاركـة في تعميم الاستلاب ، كمـا اشرت سابقا .

ومن هنا يبدو ان العلامة الاولى للجدة الشعرية هي في ايصال الانفصال ، ان صـح التعبيـر ، اي هي في نفي السائد المعمم ، ورفض الانعراج فيه ، والانفصال عـن هذا الكل القمعي . فالرفض او النفي هو ، بهذا المعنى ، علامة الاصالة ، الى كونه علامة الجدة . ذلك انه هو وحده ،بنفيه المظهـر المخادع للكل القمعي ، قادر ان يظهـر الطاقـة الخلاقـة في المجتمع . والنفي هنا هـو ، بذاته ، ذو دلالة ايجابية.

ولا بد من التوكيد هنا على انني لا اقصد ان اعزل الشعـر عـن الجمهور او الحياة العامة او اقول ان الشعـر ظاهرة كافيـة بذاتها . ذلك ان الشعـر مرتبط عضويـا بالحياة العامة ، وهو ، جوهريا ، سياسي . وانمـا اريـد ان أشيـر الى ان الشعـر نتاج فعاليـة عالية، ولا ينتج تأثيره الصحيح الا في جمهور يقدر ان يتجاوب مع هــذه الفعالية ، اي مـع جمهور مسلح بالثقافـة الفنية العالية . خصوصا ان الجمهور ، على الصعيد الفني، هو غيره ، علىالصعيد السياسي، مثلا . فهـو في الفـن لا يمكـن ان يكون كميا او عدديا .

كل رفض للحداثـة الشعرية الحقيقية ، بحجة او باخرى يتضمن اذن الرغبة في المحافظة على القيم القديمة للغـة الشعرية ، سواء ظلت محافظة على الفصل بين المحتوى والشكـل ، او مزجت بينهمـا ، بنمطيـة توهم بالتغير ، اي بنمطيـة زائفة .

وهكذا فان رفض الشكل ، الحديث حقا انمـا هو رفض لتفجير الواقع وقيم الثقافـة التقليدية : انه توكيد على ان تبني النمطيـــة الزائفة ، ليس الا وسيلة تستخدمها البنيـة السياسية الراهنه لتقنيع القمع الذي تمارسه هي ويمارسه الواقع .

ان استمرار البنية التعبيرية القديمة دليل على استمرار البنيـة الثقافية الذهنية القديمة . فتحطيم البنية التعبيرية اذن ، وهـو مـا يبرز فنيـا في الشكل ، دليل علىالخروج من البنيـة الثقافيةالقديمة. وعلى هذا فان تحرير الشكل يكشف عن الرغبة في تحرير المجتمع ،ذلك ان الشكل ، اي الاطار الجمالي ، لا يمثل العلاقات الفنيـة وحسب ، وانمـا يمثل كذلك العلاقات الاجتماعية . فالاجتماعي قائم موضوعيا في بنيـة التعبير ، اي في الشكل . ومن هنا لا تكمـن قيمة الشعر فـي مجرد التزامه السياسي ،وانمـا تكمن فيمـا تطرحه رؤياه ككل ، او فيمـا تكشف عنه ككل . وهكذا يصبح الالتزام تعبيرا عن فعالية جمالية كليـة ، اي عـن رؤيا الثورةالاقتصادية الاجتماعية السياسية فـي صورها وتجلياتها وابعادها الجمالية . فالالتزام الشعري الثوري هـو الالتزام بالكشف لا بالوصف .

وفي هذا الالتزام ، وحده ، يتحقق تجـاوز الثقافة الموروثة ، وتجاوز بنيتها التعبيرية ، وارساء قواعد جديدة لتأسيس كتابة جديدة.

ان في هذا كله ما يشير اخيرا الى ان مشكلات التعبير والاتصال في مجتمع يتحول ، شأن المجتمع العربي ، لا يمكن ان يصل البحث فيها الـى الوضوح الكامل ، ذلك انهـا مشكلات هي نفسها متحولة . ولهذا يصعب التنبؤ بوضع الشعر العربي المقبل . ان مستقبل هذا الشعـر رهـن بتحرر المجتمع العربي ذاته ، تحررا شاملا ، موضوعيا وذاتيا ، اجتماعيـا وفرديا . ولعل القيمة الحاضرة للشعر العربي كامنة فيمدى تعبيره عن طاقـة التحول في المجتمع العربي واحتضانه القيم والآفاق التي تختزنهـا هذه الطاقـة او تكشف عنها .

بيـروت

ادونيس

ورقة الليلة الماضية

يركد الماء بين الجذور مساء
غير ان النجوم هبوط ،
وتاريخها الممتلي بالرحيل ،
يذكّر ان ليس لي قدم
فانا صورتان
بين هذي المياه تتكدس عند المساء كموت
وبين هبوط النجوم

* * *

اي صوت اليف ، يجيء بطيئا ، وينمو كما الشجره
زارنـــي
(ان صوت الطفولة يبتعد الان)
ــ : هل هجرتك البراءه
أرني وجهك الطفل ،
صوت من الجهة الثانيه
ــ : لنا الطرق المقفله
والنساء المسنات ، ان الذين يجيئون في آخـر
الليـــل
أصحابنـــا
والذين ينامون مثل القناني على الشط اصحابنا
(حين كنا صغارا
نتسابق والفجر عند الفرات ،
نلم الزجاجات للبيع
كم كنت اكره رائحة الخمر .)
أصحابنا ، والذين ....
فانا حالتان
عالق بين ماء البراءه
وبين الذين يجيئون في آخر الليل ،
بئرا طويلا

* * *

مثل صراخ بعيد
في ليلة صافره
يهب من نهاية الشارع هذا الصوت
حتى اذا تلمس الجبين طش والتهب
صارت له كف كما في الصقور
وصار سوطا جسدي حقله
فلتصفر الريح به ، ولتهبط الطيور

* * *

وانا حين اسكن عرشي المهدم ،
أسقط نصبا من القش ،
مثل رداء عتيق مجوّف
ترى رحل الساهرون
والنشيد الاخير تمدد بين الرصيف وبين المياه ،
فمن يعرف النصب غير النساء المسنات ، ؟
من يتلمس هذي العروق سوى ورق الاس ،
اذ يتناثر من شجر ميت
ــ : ارني كفك الطفل . هل هجرتك البراءه
فانا صورتان
عالق بانتظار المياه
بين عرشي المهدم والطرق الشائكه

بغـداد

محسن أطيمش

الفتى الذي لم يقتلوه

قصة بقلم
علي زين العابدين الحسيني

« ... وطلعت الشمس وأخذ الجنود يقتادون من بقي حيا ، ثم أوقفونا هناك في ساحة القرية عدة ساعات .. وكانوا يتضاحكون ، ويسخرون منا .. ثم ، نقلونا بسيارتين الى مستوطنة جيفات شاؤول، وبعد ذلك طافوا بنا حاسرات الرؤوس ، حافيات الاقدام ، واخذوا يلتقطون لنا صورا ، ثم أمرونا بعد ان نزعوا عنا ثيابنا وتركونا عرايا ، ان نمضي في اتجاه المناطق العربية ... » .

(من شهادة زينب احمد موسى
من أهالي دير ياسين)

ورشت شمس الظهيرة ضوءها الساطع على القرية الصغيرة فانكمشت الظلال ، وبدا ظل الاسير بقعة سوداء صغيرة عائمة على أرض الساحة . وبينما كان حارس الاسير يصفر لحنه الحزين ، كانت الهمهمات العبرية تناقش في حماس « اللعبة الجديدة » .

. . .

. . .

انزلقت الشمس قليلا صوب الغرب فواجهت الجرح العميق في عنق الاسير والذي كان يبدو كفم مشدوه عديم الاسنان ، انتابت الاسير رغبة طاغية في حك الجرح ، غير انه كان يدرك استحالة ذلك بعد ان توقف حارسه عدة مرات عن الصفير ليخبره في لهجة قاطعة « ان عليه ان يطيع كي لا يموت .. » . بلغت شهوة الحك حدا جعلت الاسير يدفع تفكيره في عنف الى أمر آخر : متى ينتهون من هذه اللعبة ؟!

. . .

. . .

أمام الاسير كانت البئر جاثمة تحدق بعينها المقلوعة كخرافة مفزعة ، وعند الفوهة كان ينتهي سيل داكن اللون تتزاحم عليه الدبابير .

راقبت عيناه في انتباه شديد دبورا بني اللون تتوسط بطنه حلقة صفراء انفرد في امتصاص قطعة لزجة غارقة في السيل ، تأمل مؤخرة الدبور وهي تهتز بلا توقف كالبندول ، ومن جديد عادت أطراف الفم المشدوه تأكل بالحاح ، فسال اللعاب من زاويتي فمه .

وكان عليه أن يفكر في أمر آخر ، متى ينتهون من هذه اللعبة ؟!

. . .

. . .

انحشر صفير الحارس في أذنيه . حاول ان يتذكر اين سمع اللحن الحزين ، أين ؟!

« منذ شهور اصطحب أمه في زيارة للمدينة ، كانت بجواره لا تكف عن السؤال :

ـ شارع ماذا ؟

ـ ....

ـ وهذه الساعة الكبيرة ؟

ـ ....

ـ لماذا لا تشتري لابيك عباءة جديدة ؟

ـ ....

وطاف مع أمه في شوارع المدينة حتى وصلا الى القسم الآخر منها ، ورأى الاسلاك الشائكة ممددة على الاسفلت . توقف وأخذ يراقب الحياة في الجانب الآخر . كانوا يرتدون ملابس اوروبية ، وقبعات ، وكانت الفتيات يرتدين سراويل كالرجال . شدته أمه من ذراعه هامسة « دعنا نمضي من هنا » . أصغى الى صياح بعض الصبية العرب الذين كانوا يلعبون « لعبة الحرب » ويثبتون عصيا كالبنادق على ظهورهم ، ويصدرون اصواتا كالانفجارات من أفواههم . راقبهم وهم يندفعون نحو بعضهم في صراخ شديد وهم يتساقطون . بعد لحظات التف الصبية حولهما وحذروهما من اجتياز الاسلاك الشائكة والاختلاط بالعدو « لان من يذهب الى هناك الخونة فقط » .

لكزته أمه وهي تحثه على المضي قائلة : « ألم أقل لك ؟ » . الآن يذكر اللحن الحزين ، والدته تجلس بجواره . صالة العرض في سينما « الحمرا » غارقة في الظلام . على الشاشة جنود ودبابات . وصفير . كانت أمه لا تكف عن السؤال بصوت مرتفع ليفسر لها ما تراه :

ـ أين الالمان ؟

ـ الذين يضعون على أذرعهم الصليب المعقوف .

ـ لماذا الصليب المعقوف ؟

ـ لا أدري .

ـ لماذا يصفرون ؟

– ....
– لماذا يقتلون ؟
– كفى يا أمي .

وكفت أمه ولم تخاطبه حتى عاد الى القرية فشكته الى ابيه الضرير وهي تبكي .

. . .
. . .

طارت من البئر ذبابة سوداء دارت حول الاسير ، لمست بجناحيها جرحه وابتعدت عائدة الى البئر . وعادت أطراف الفم المشدوه تاكله ، قال في نفسه ، لو انهم يتيحون لي فرصة واحدة لاحك . أدرك ان هذا سيكون موضوعا جديدا لتسليتهم . سيموت واقفا ساكنا ، هكذا . فكر في الذبابة التي طارت من البئر ثم عادت وود لو ان تلمس جرحه بجناحيها مرة ثانية . وكان عليه ان يفكر في أمر آخر .

« أشجار السرو العملاق هوت الليلة الماضية تعض التراب ، منذ سنوات كان يلتصق بجدته في الليالي الشتائية ، وكانت جدته تروي له بصوتها الغليظ حكايا مخيفة وتهمهم : « أنصغي الى هذا الصوت ؟ » فيدق قلبه في فزع وهو يصغي الى عويل الريح وهي تعبر بين اشجار السرو . فتقول الجدة : « ها هي الريح تبكي » .

ويسألها بصوت مرتعش ضائع الحروف : « ولماذا تبكي ؟ » . وتخفض الجدة صوتها وتقول : « هيه ، أنت اذن لا تعرف لماذا تبكي الريح ؟ ألا ترى انها لا تتوقف عن الرحيل ؟ » . ويصمت برهة ثم يعود يسأل : « وهل يبكي الرحيل ؟ » . فتصدر الجدة آهة مفزعة قائلة في استنكار : « هل يبكي الرحيل ؟ أجل ، حينما يكون كهذا الرحيل » .

* * *

مشت ذبابة على عنق الاسير ، كانت سيقانها مبتلة ، باردة ، غمره الدبيب المخدر ، أوشك ان يرفع ذراعه رغما عنه ليحك . دوت بجوار اذنه رصاصة ، وعلا سباب الحارس .

« هذه ساحة قريتنا الصغيرة ، خالية يا جدتي ، تلك عباءة أبي ممددة على التراب . عندما اشتد القتال في البلاد دفع أبي بندقيته القديمة اليّ قائلا : دعنا نرى ماذا ستفعل الآن . سألته أين الرصاص ؟ أجاب في حدة : ايامنا لم نكن نقول مثل هذا .

قضيت نهارين كاملين في تلميعها وتنظيفها . أخذت أصوبها على أهداف خيالية وأضغط على الزناد في حزم . عند وصول أول عربة نقل لطلب النجدة مضيت دون ان اودع أبي . مررنا على ثلاث قرى أخرى ، وجاء معنا رجال آخرون . سألت أحدهم ، وكان يلتصق بي : هل أجد معك بعض الرصاص ؟ دهش وتطلع اليّ وقال : لماذا أتيت اذن ؟ قلت : أبي باع كل ماشيته . لم يبق لدينا شيء يباع . حدجني في صمت وابتعد عني . قبل ان نصل الى ميدان المعركة اقترب مني وقال في تجهم : هاك عشرة ، هل تجيد التصويب؟ أومأت له . هز رأسه وقفز من العربة ، فقفزت خلفه واتجهت صوب المعركة » .

. . .
. . .

غرست الذبابة خرطومها الحاد في الجرح ورفعت ساقيها الخلفيتين في انتصار . غمرته القشعريرة عندما أحس بلدغة الذبابة .

« مساء أمس أيقظني أبي وتمتم : ها هم ، لقد جاءوا الينا أخيرا . أرهفت السمع . كان السكون في الخارج رهيبا . قلت في همس : يا أبي لا أحد هناك . قال في لهجة قاطعة : بل انهم هناك . الكلاب كفت فجأة عن النباح . خذ البندقية وامض مع الآخرين . قبل ان افتح فمي انطلقت مئات الانفجارات ، عدوت الى الخارج ببندقيتي ، اتجهت الى مشارف القرية ، خلف جدار متهدم وجدت بعض الرجال ، وقفت الى جوارهم ، أخذت اطلق الرصاص على ومضات بنادق العدو ، سمعت واحدا يقول : لقد حاصرونا هذه المرة . واختنق صوته ، وسمعت ارتطام جسده بالارض .

بعد ساعات لم يعد الرجال يطلقون الرصاص ، بحثت عن رصاص أحشو به بندقيتي لم أجد ، عدوت الى البيت ، لم يستطع أبي اخفاء لهفته ، قال : لقد كف الرجال . أجبت وأنا أوشك على البكاء : مات الرجال يا ابي . نكس رأسه وسألني بصوت منكسر والبندقية ؟ تطلعت الى عينيه الضريرتين في حنان . مددت له البندقية ، تحسسها وأجهش في بكاء مرير . قال لي : لا تنس ان تدفنني بجوار جدتك . فجأة اضاءوا ساحة القرية بمصابيح سياراتهم ودباباتهم . أخرجونا من البيوت وأوقفونا في منتصف الساحة . قال الضابط في كلمات مبتورة الحروف : سنبقي حيا واحدا ليروي للباقين ما جرى . ولطمني بقفازيه وهو يقول : « هذا » . وتركوني أشاهد اللعبة الرهيبة . قبل ان يطلع الفجر علقوني من قدمي في فرع شجرة ورجوني بكلمات مهذبة أن كان وقتي يسمح لاروي لهم حكاية مسلية . تذكرتك يا جدتي . حاولت ان احكي لهم حكاية السرو العملاق والريح التي تبكي من الرحيل .

قبل ان اقول شيئا قال واحد : غنِّ لنا أغنية عربية . ماذا تغنون في ليالي الحصاد ؟ أو عندما تتزوجون ؟ اقترب آخر ، وأقعى بجوار رأسي المتأرجح ، وأشعل عود ثقاب قرب عيني وقال في نبرة متوسلة : ساعدني يا أخي . أنا مؤلف ولم يبق في مسرحيتي سوى المشهد الاخير . ناداه آخر ضاحكا : سيمون ، لماذا لا تلتقط له صورة ؟ » .

* * *

انتزعت الذبابة خرطومها الحاد من جرح الاسير ومضت تفتش عن مكان اخر اكثر رطوبة . غرس الاسير اصابع قدميه العارية في التراب الساخن .

« آه يا جدتي . أوقفوني بعد ان قطعوا الحبل فجأة فهويت على رأسي . ركلوا وجهي بأحذيتهم وهم يقولون : ستلعن الحياة ايها العربي . سمعتهم يتهامسون . مضى بعضهم الى البئر . عادوا بعد ذلك . قال واحد : فلنفكر في لعبة مسلية من اجل هذا . اقترب مني وجرح عنقي بخنجر حاد ، وقال : لن تموت الا اذا أطعت . حملقت فيه في صمت » .

* * *

حشرت الذبابة جسدها في أعماق الجرح . أخذ يصغي الى الاصوات العبرية . مرت بجوار أذنه رصاصة ففزعت الذبابة وطارت بعيدا . ضحكوا وهم يستمعون الى الحارس وهو يقول : ألم أقل انه لن يتحرك . بدأت الشمس تميل للغروب . ومض خاطر سريع

في مخيلة الاسير ، قال في نفسه : « ماذا لو اني فعلت ذلك ؟ » . أغمض عينيه ، رآهم خلفه يتأهبون للرحيـل . استدار ، اندفع ، صرخ . حملقوا فيه في رعب وذهول ، انتزع مدفعا سريع الطلقات، بدأ يحصدهم بالرصاص ، واحداواحدا واحدا . رفع المؤلف ذراعيه في توسل . سقط على ركبتيه وقبل قدمي الاسير . وضع ماسورة البندقية في فم المؤلف ، دفعها اكثر ، واكثر .

ـ اخلع ملابسك .

جمدت ملامح الاسير . فكر ان يرفض . لكن صـوت الحارس علا : « ستنتهي الآن مت . سنودعك . أحس بأيامه المتوقـدات تستحيل الى فحم بارد ، بدأ يفك ملابسه ، رأى عيون القرويين ترمقه في استنكار . امتلأت عيناه بالدموع . تذكر عبارة فتـاته السمراء « هل يحبنا الله مثلما نحبه ؟ » . أوشك ان يبكي بصوت مرتفع وهو يقول : لا . غمرته قشعريرة شديدة عندما لامس القميص طرف الجرح . « قال الضابط : سنبقي واحدا ليروي للباقيـن ما جرى » . بندقية ابيه القديمة علقها الجنود على فرع شجـرة وأخذوا يضحكون . تذكر كل الحكايا التي كان ابوه الضرير ينسجها عن ايامه مع الثوار . هذه صوت حارسه :

ـ أيها العاري .

تفجر الدم في عروقه ، عادت عيون القرويين تتأمله ، اقتـرب دبور من وجهه وراح يتأرجح امام عينيه في نهم وتحفز ، طارت الذبابة من الجرح ، أوغل الدبور فيه ، صاح الحارس : استدر ببطء .

رفرفت حمامة بيضاء في لون الحليب فـوق البئر ثم ألقت بنفسها كالقنبلة في الفضاء وغابت . تعـددت نظراته على الارض الفسيحة الخضراء ، وعلى المقبرة . بدأ يبحث عن قبر جدتـه ، ذاك هو « أتصغين يا جدتي ؟ الآن اراهم ، واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة ، كثيرون ، يلوحون لي بايديهم في مـرح : « هالو عربي ، هالو أرابيم » .

ذات مساء سألتني وهي تضم غطاء وجهها باحكام :

ـ ماذا لو جاءوا ؟

ابتسمت وأنا أرد بلا مبالاة :

ـ ماذا لو جاءوا ؟

لمست يدي برفق وهمست :

ـ ألا تعدني بشيء ؟

قلت :

ـ بلى ، بكل شيء .

ـ « هل يحبنا الله مثلما نحبه ؟ » .

لم أجب .

ليلة أمس أوقفوا أبي الضرير . قالوا له : خمن من أيـن سيأتي الرصاص ؟

خيل اليّ انه يبحث بعينيه الضريرتين عني ليسألني : مـاذا فعلت ببندقيته ، ورأيته يلوح بيديه امام عينيه حين اطلقوا عليـه الرصاص . تذكرت فتاتي وهي تقول : ماذا لو جاءوا ؟ تطلعت الـيّ عندما هوت عباءة أبي ، كانت تحاول ان تقول ، ها هم قد جاءوا . ركع المؤلف على ركبته امام فتاتي ، وقال لها فينبرة متوسلة ساخرة : ساعديني أيتها الاخت العربية .

قال حارسي وهو يشد الغطاء عن وجهها :

ـ دعيه يرى وجهك .

قال آخر :

ـ اذهبي معه للداخل .

* * *

حشر الدبور جسده داخل الجرح . سال الدم على عنق الاسير. صاح الضابط :

ـ سنعد للعشرة .

لم يفهم الاسير ..

ـ سنطلقك .

« الشمال ام الجنوب ، الى أين يا جدتي ؟ »

ـ وتركض قبل ان ينتهي العد .

« أمس رأيت يا جدتي جموعا من الفلاحين تسير على غيـر هدى ، كانت الامهات تحتضن الصغار ، وكانت الفتيات يحجبـن صدورهن براحاتهن فزعات .

ـ سنبدأ العد .

ـ آحاد .

« وكنا سنتزوج يا جدتي بعد موسم قطف الثمار » .

ـ اثنان ، تحرك يا عربي .

« ذات يوم سمعت فتاتي تقول لامي : ليت كل الفتيان كابنك »

ـ اركض .

« وترك ترابنا الاسمر ، وأزهار الليمون ، والريح التيتبكي »

ـ خمسة (صاحوا جميعا) .

« واطوف على القرى عاريا لاحكي ما جرى للنساء والصبايا »

ـ شيشا .

« وتروي الجدات بعدها حواديت جديدة للصغار »

ـ شبعا .

« وعندما يمر الفلاحون بقريتنا يتساءلون وهم يحثون الخطى بعيدا : أي وحش خرافي مرّ من هنا . آه يا جدتي لو تعلمين ، ها هم يلتقطون صورا تذكارية لي والمؤلف يصرخ : مسرحيتي .. يجـب ان تركض » .

ـ شموني .

ها هو حارسي يحدق في وجهي ، يبتسم ، يربت على كتفي ، يسأل ، لماذا لا تطيع ؟ تمزقت ابتسامته . ما أشد دمامة القسوة يا جدتي . دفع بندقيته وضربني على وجهي بمؤخرتها . رفعت قبضتي ايضا ، أصابعي مغروسة في عنقه ، اسمع صوت ابي يقول : اعمق ، اعمق ، اعمق . اسمع صوت فتاتي تقول : اعمق ، اعمق .

عيناه يا جدتي تخرجان ، تسقطان ، أحسهم ينتزعون جلدي ، قلبي ، أصابعي تنغرس ، اعمق . ملايين من المعدن المصهور يخترقني، أموت ، السرو العملاق هوى ليلة امس . حارسي بلا عينين . اصابعي ما تزال ، كان الرصاص قد نفد يا أبي .. الحمامة البيضاء في لون الحليب ترفرف في هديل حزين ، نهشوا ظهري ، كسروا ذراعي ، اصابعي ما تزال ، تراهنوا على الجنين يا أمي ، لم ادفن الكهـل الضرير بجوارك يا جدتي ، مات الذباب ، ابتلعت البئر الشمس ، آه يا جدتي ، هل اصغيت يوما الى ارتطام الاشياء في الجوف ؟

الآن يا جدتي ستصغين ..

علي زين العابدين الحسيني

صدر حديثا

في الادب الليبـي الحـديث

الكتاب السابع للناقـد المصري

احمد محمد عطيـة

نشر دار الكتاب العربي بطرابلس الغرب ـ الجمهورية العربية الليبيـة

صورة الإنسان الجديد في الأدب اللبناني المعاصر

بقلم الدكتور
ميشال عاصي

— ١ —

لا أدعي ، في هذا البحث ، امكان الاحاطة بمختلف الملامح ، التي يرسمها الادباء اللبنانيون للانسان الجديد كما يتمخض به الصراع الذي يخوضه شعبنا من اجل الحياة والحرية ، وكما تحاول اقلام الكتاب ان تبدعه في القصة والرواية والشعر وسائر انواع الادب واشكال التعبير .

وليست صعوبة الالمام بتفاصيل الصورة ناتجة فقط عن توزع ملامحها والوانها في عدد غير قليل من الآثار ، او عن امتدادها زمنيا على مسافة ترقى بتباشير نموها وتبلورها الى عشرات السنين من يقظة الوعي عندنا على واقع التخلف ووجوب تجاوزه بخلق الانسان القادر على مصارعة الجهل والاستبداد ونشدان الاستقلال والحرية . بل ان مقدارا كبيرا من الصعوبة راجع ، قبل كل شيء ، الى تعدد المذاهب الايديولوجية ، واختلاف مسالك الرؤيا ، وتشعب الموقف من ادراك حركة التاريخ وتناقضاته ، وبالتالي من مفهوم الانسان الجديد وصورته .

— ٢ —

لكن اذا كان الادب ليس انعكاسا لواقع الحياة فحسب ، وانما هو الى ذلك ، استشراف ، واستباق لامكانات صيرورتها ايضا ، فان بدايات النهضة في القرن التاسع عشر قد حملت الى الادب العناوين الاولى لولادة الانسان الجديد ، في مقابل الصورة الكاملة للانسان القديم ، التي كان الادباء والشعراء التقليديون ، قد تفننوا في بيان سماتها بكل دقة وتفصيل .

ولعل بعث أدب « المقامات » على يد الشيخ ناصيف اليازجي (١) هو خير تمثيل لاحياء التراث التقليدي القديم في الادب واللغة والموقف من المجتمع والحياة . فالبطل في مقامات « مجمع البحرين » — وهي اقاصيص ذات نزعة زخرفية مصطنعة في أسلوب التعبير — هو النموذج الامثل لاغتراب الانسان العربي عن ذاته وعن حقيقته الاجتماعية والقومية في مرحلة الانحطاط وبواكير عصر النهضة . كما ان لهذا الكتاب دلالات أخرى عديدة ليس أقلها اغتراب الكاتب كليا عن بيئته وعصره ، وتحلله من أي التزام حي سوى الالتزام بالتقليد ، ومحاولة تقمص مشاعر السابقين وذهنيتهم ، التي ظلت سائدة نتيجة للانهيار الحضاري ، والانحطاط الادبي اللذين مني بهما العرب بعد الازدهار العربي والاسلامي في العصور العباسية .

لكن ، في حين كان الادباء التقليديون يجتهدون في التعبير عن واقع الانسان المتخلف وايديولوجيته الراكدة المستسلمة ، كانت بوادر اليقظة والنمو في قلب التناقض التاريخي للقرن التاسع عشر تعبر عن ذاتها بأشكال مختلفة في انتاج الطلائع الفكرية والادبية لتلك المرحلة ، وترسم السمات الاولية لانسان النهضة في توجهه نحو آفاق الوعي القومي ، ومفاهيم الحضارة الغربية للتقدم والحرية .

وهكذا ارتفع صوت المعلم بطرس البستاني (٢) داعيا الى تعليم المرأة واشراكها في الحياة الاجتماعية والثقافية ، مرسخا بدعوته بداية المسار الذي سيؤدي الى مساواتها بالرجل ، والقضاء على المفهوم التقليدي الذي حجز حريتها زمنا طويلا ، وعزلها عن حركة الفعل في الحياة الاجتماعية ، فكان بحق ، كما قال عنه جرجي نقولا باز « اول من ناصر المرأة في سورية على منبر ، بل أول رسول نسائي سوري دعا الى تعليمها وتهذيبها ... » (٣) .

وكما أسهم المعلم بطرس البستاني في صياغة مفهوم حرية المرأة في ذهنية الانسان الجديد ، فانه أسهم كذلك في صوغ مفهوم الوحدة الوطنية بين ابناء مختلف الطوائف الدينية ، عاملا هكذا عن طريق انشاء مدرسة وطنية ، وعن طريق تحرير نشرة « نفير سوريا » ، على اخماد آثار الفتنة الدينية التي افتعلتها المخططات الاستعمارية في لبنان . كما أسهم في مختلف النشاطات الادبية واللغوية والعلمية مما جعله في عصره ، على حد قول جرجي زيدان « زعيم الحركة الادبية في سورية ، من حيث المدارس والجمعيات والجرائد والمجلات واللغة والعلم والادب » (٤) ومما جعله في راي آخرين مصدرا اساسيا من مصادر الفكر الذي لعب دورا هاما في بعث « الاتجاه العربي او القومي العربي القائل بأمة عربية ووحدة عربية على اساس علماني وقومي » (٥) .

---

(١) (١٨٠٠ — ١٨٧١) .

(٢) (١٨١٩ — ١٨٨٣) .

(٣) حنا الفاخوري : تاريخ الادب العربي ، المطبعة البولسية ، حريصا لبنان ١٩٥١ ، ص ١٠٢٣ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ١٠٢٥ .

(٥) منير موسى : الفكر العربي في العصر الحديث ، دار الحقيقة ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٢٥ .

— ٣ —

ومع تلامذة الشيخ ناصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني وزملائهم من رواد الحركة الادبية والفكرية في الربع الاخير من القرن التاسع عشر بدأت الملامح الاساسية لصورة الانسان الجديد ترتسم بشكل اكثر اتساعا وعمقا ، ولم تعد مقتصرة فقط على مشاعر غائمة للوحدة الوطنية وبعض مظاهر الاصلاح الاجتماعي بل تجاوزتها الى مفهوم الوحدة القومية والاستقلال السياسي والتطور الثقافي والاجتماعي ونبذ الغيبيات والاستناد الى الفكر العلمي ، والى ادراك قيمة النضال العلمي وتأسيس الجمعيات والمنظمات لتحقيق تلك المفاهيم والاهداف .

من هنا ان التاريخ الادبي للثلث الاخير من القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين ، يقدم لنا خطوطا مبعثرة حينا ، وغير متوازنة في وضوحها ودقتها حينا آخر ، ولكنها في كل حين خطوط اساسية لصورة الانسان العربي الجديد التي ستعمل اقلام الطلائع تباعا في هذا القرن على بلورتها وتعميقها واغنائها بالتفاصيل واللونيات ، انسجاما مع تطور حركة التاريخ ونضج الحركة الادبية والفنية في بلادنا .

ولعل من المفيد التذكير هنا بان للبنانيين في تلك الفترة الفضل الاول في اطلاق مفهوم القومية العربية ، والاستقلال السياسي ، وانشاء التنظيمات السرية للنضال في سبيل تحقيق ذلك المفهوم . كما ان لهم الفضل الكبير في اطلاق مفهوم الحرية بشكل عام ، وفي طرح معظم قضايا التحرر الاجتماعي كقضية التعليم الالزامي والمجاني ، ونشر المعارف العلمية والنضال الشجاع ضد مختلف عوامل القمع السياسي الخارجي ، والنفسي الداخلي ، التي تحول دون نمو الانسان الجديد وتطوره .

وهنا في هذه المجالات تسطع اسماء نخبة من الشعراء والكتاب الذين اسهموا بأشكال مختلفة وبمقادير متفاوتة في اطلاق تلك المفاهيم ونشرها . نذكر منهم الشيخ ابراهيم اليازجي (٦) الذي كان له ، بالاضافة الى حضوره الادبي والعلمي ، الفضل في اطلاق أول نداء يدعو الى انتفاضة العرب القومية في قصيدة شهيرة مطلعها :

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب — فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب

ألقى الشيخ ابراهيم هذه القصيدة في أحد اجتماعات « الجمعية العلمية السورية » وكان عضوا فيها . ولقد « اتخذت شكل النشيد الوطني . والقصيدة في جوهرها تحريض للعرب على الثورة . وأهابت بالسوريين ان يتحدوا ويلقوا عن أعناقهم النير التركي ، وكانت في جملتها مثيرة للمشاعر مفعمة بالالفاظ التي تلهب الحماسة ... وكان لها أثر بالغ في نفوس الطلاب فطبعت عقولهم بطابع العزة القومية .. وكانت هذه القصيدة اول نشيد لحركة التحرر السياسي » (٧) .

كما نذكر من الادباء الرواد الشاعر الياس صالح (٨) صاحب القصيدة الشهيرة « الحرية » التي القاها في حفلة تخريج طلاب الكلية السورية — الجامعة الاميركية — (١٨٨٨) متغنيا فيها بالحرية والتجديد داعيا الى نبذ التقليد والعبودية ومعرضا فيها بسيادة العثمانيين واستبدادهم جاء فيها (٩) :

خلّ عنك الوقوف في دار ميه — واعتزل ذكر زينب وأميه ...
انما دارنا بمن شرفوها — عن سليمى وعن سعاد غنيه ...
لا تلمني يا عاذلي بهواها — فانا قيس هذه العامريه ...
يتمنى الانسان لو كان عبدا — ويقيم الادلة العلميه
ولكم قد رأيت من حيوان — يقضم الحبل بغية الحريه
يا بني أمنا، ذوي الفضل بل يا — معشر الناطقين بالعربيه
لستعبدا انا ، ولا أنت مولى، — أيها اللابس الحلى الذهبيه

ولا يفوتنا في معرض الحديث عن اطلاق فكرة الحرية والاستقلال القومي ان نشير الى نشاط « جمعية بيروت السرية » وفروعها في دمشق وطرابلس وصيدا وهي « أول جهد منظم في حركة الحرب القومية » (١٠) وقد تأسست عام ١٨٧٥ باهداف « ثورية صريحة » (١١) وكانت أول جمعية تؤلف والهدف السياسي غايتها الاولى » (١٢) من غير ان يعلن عن اسماء مؤسسيها ، على ان منهم بالتأكيد الدكتور فارس نمر ، وبالترجيح الشيخ ابراهيم اليازجي .

— ٤ —

على ان طليعة الادباء والمفكرين الذين خطوا الملامح العميقة لصورة الانسان الجديد في أواخر القرن التاسع عشر قد تمثلت عندنا بأسماء ابرزها على الاطلاق أديب اسحق (١٨٥٦ — ١٨٨٥) وشبلي الشميل (١٨٥٠ — ١٩١٧) وفرح أنطون (١٨٧٢ — ١٩٢٢) . فلقد دعا هؤلاء الى اتجاه ليبرالي علماني صريح ، واشتراكي اصلاحي في بعض الاحيان ، فأسهموا اسهاما بالغا في صياغة مفهوم جديد للمجتمع « يدعو الى حكم ديمقراطي ، يتساوى فيه الجميع ويعطى لكل حسب كفاءاته (لا حسب دينه) ويفصل فيه الدين عن السياسة ، ويقوم على العلم الحديث » (١٣) .

وهكذا لا ينصرم القرن التاسع عشر وتطلع شمس القرن العشرين الا وتكون أقلام نفر من الادباء اللبنانيين الطليعيين قد رسمت بأشكال مختلفة الملامح الاساسية لصورة الانسان الجديد الممثل لحركة النمو والتجاوز في تلك الفترة ، وهي حركة تخط لواقع العلاقات الاجتماعية في ظل النظم الاقطاعية المتخلفة ، وفي ظل القهر الوطني ، والتجزئة القومية ، وسيادة الحكم العثماني الاستبدادي ، وهي في الوقت نفسه توجه نحو أفق اكثر تقدما واشراقا تضافرت عوامل احتكاك الشرق بالغرب على جلاء معالمه ، وساعد تقدم الحضارة الغربية ومفاهيمها الليبرالية المتطورة على رسم ألوانه ودروبه . وقد اضطلع الادباء اللبنانيون بمسؤولياتهم الادبية والتاريخية في تلك المرحلة ، وذلك بما صاغوه من مفاهيم ايديولوجية اساسية للتقدم وبما أرسوه من قواعد النضال السياسي الشجاع . كما واصل الادباء اللبنانيون في هذا القرن ترسيخ التقاليد الكفاحية لسابقيهم ، مستجيبين لدواعي الظروف في كل مرحلة ، عاملين على تعميق ملامح الانسان الجديد الذي يتمخض عنه الصراع في هذا القرن ويدخل هو نفسه طرفا اساسيا في لعبة هذا الصراع وتوجيهه في آن معا .

— ٥ —

اما الوضع التاريخي الذي افتتح به لبنان العقد الاول من القرن العشرين فانه لم يكن مختلفا بشكل اساسي عن اوضاعه السابقة في نهاية القرن التاسع عشر من حيث تشديد قبضة الاستبداد العثماني على رقاب الاحرار ، ومن حيث استمرار التخلف في ظل الاقطاع

---

(٦) (١٨٤٧ — ١٩٠٦) .

(٧) جورج انطونيوس : يقظة العرب ، دار العلم للملايين — بيروت — الطبعة الثانية ، ١٩٦٦ ، ص ١٢٠ .

(٨) (+ ١٨٩٥) .

(٩) راجع مارون عبود : رواد النهضة الحديثة ، دار الثقافة ، بيروت ، ص ١٣٨ .

(١٠) جورج انطونيوس ، المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(١١) المرجع نفسه ، ص ١٥٠ .

(١٢) المرجع نفسه ، ص ١٥٦ .

(١٣) منير موسى ، المرجع السابق ، ص ٢٤ .

وذهنيته المتردية ، سوى ان تقاليد الكفاح التي تعهدتها أقلام الكتاب على امتداد القرن السابق قد اتيح لها من بين الادباء والمفكرين والمناضلين اللبنانيين رعيل آخر يعمق جذورها ويزكي شعلتها في وعي المواطنين لا في لبنان فحسب ، بل في معظم الحواضر التي هاجرت اليها قوافل اللبنانيين لا سيما في أوروبا وأميركا بنوع أخص .

وهكذا برز على مسرح الفكر والادب عندنا منذ بداية القرن العشرين وحتى نهاية الحرب العالمية الاولى عدد من الرواد الذين جاهدوا في مختلف الميادين من اجل ان يكون للانسان في لبنان وفي سائر البلدان العربية حق التمتع بمنجزات الحضارة العالمية ، ونصيب واف مما توفره للفرد وللامة من حريات شخصية وقومية .

فبالاضافة الى قافلة شهداء ٦ ايار ١٩١٦ الذين ابادهم السفاح العثماني جمال باشا شنقا في بيروت ودمشق لنضالهم الدؤوب من اجل الاستقلال والتقدم ، يمكن ذكر نجيب عازوري الذي اضطلع في باريس ، في السنوات الاخيرة من حكم السلطان عبد الحميد ، بأعباء حملة فكرية سياسية بدأت سنة ١٩٦٤ بتأسيس « جامعة الوطن العربي » ، وباصدار نداءات عنيفة يدعو فيها العرب الى الثورة على السلطة العثمانية ، وبنشر كتاب باللغة الفرنسية عنوانه « يقظة الامة العربية » ، ثم باصدار مجلة شهرية عنوانها « الاستقلال العربي » ظهر العدد الاول منها في نيسان ١٩٠٧ مما لفت انظار أوروبا والعالم الى القضية العربية في ذلك الحين (١٤) .

ولعل نشاط الادباء اللبنانيين في اميركا الشمالية كان النشاط الاعمق اثرا لا في البنية الذهنية للانسان العربي فحسب بل في البنية الفنية للادب وأشكاله الابداعية ايضا .

وفي طليعة أدبائنا المهجريين ترتسم أسماء ثلاثة منهم بأحرف مضيئة : جبران خليل جبران ، ميخائيل نعيمة ، وأمين الريحاني .

واذا كانت آثار جبران ونعيمة قد شقت طريق الرؤيا الفنية ، ودشنت عهد المعاناة الفلسفية والكونية في الادب العربي المعاصر ، فان أدب الريحاني قد عمق مشاعر القومية العربية وبلورها في سياق فكر وحدوي وسياسة ليبرالية علمانية . واذا ما أدهشتنا الجذرية الثورية في روح جبران ونماذج شخصياته ، وحملنا أدب نعيمة على الغوص التاملي في الذات حتى النفاذ الى الابعاد الكلية ، فان قلم الريحاني ليدهشنا بجرأته وصفاء دعوته التي يبلغ بها حدود المغامرة وشرف الكلمة الرسولية في الالتزام السياسي والقومي . على انه يبقى لجبران فضل الريادة في اطلاق البعد الجمالي الحديث للانسان العربي في تلك المرحلة ، كما يبقى له ايضا ولميخائيل نعيمة معا فضل السبق الى تشريع منافذ الابعاد الميتافيزيقية والكونية كسبيل للتجاوز امام الانسان العربي الذي تضافرت قوى التخلف الديني بتحالفها مع قوى الاقطاع والاستبداد على سلبه ابعاده الميتافيزيقية والكونية الموروثة . ويظل للريحاني أخيرا الفضل في تعميق البعد السياسي والقومي بمحتواه الليبرالي الذي أسهم رعيل الكتاب والمناضلين السابقين في رسم خطوطه الاولية العامة .

ـ ٦ ـ

وفي فترة ما بين الحربين العالميتين الاولى والثانية تميز الوضع الادبي في لبنان بتنوع مصادر الاستلهام وبتنوع الموضوعات والاساليب . ففي حين كان « الاخطل الصغير » الشاعر بشارة الخوري ، يتعهد بلورة الاحاسيس الجمالية في نطاق الشعور القومي حينا وفي نطاق الحب والغزل كل حين ، انصرف في ديار الاغتراب رشيد سليم الخوري « الشاعر القروي » يتعهد في قصائده انماء روح النضال القومي وبعث تقاليده الكفاحية ضد الاستعمار والصهيونية والتجزئة والتخلف . وفي حين كان الياس ابو شبكة يعلي مداميك الرومنطيقية في الشعر ويحيي عودة الانسان الى معانقة الطبيعة وتراب الوطن ، كان يوسف غصوب وسعيد عقل يغنيان الرؤيا الانسانية عندنا بجمالية الرمز والايحاء . اما في أدب القصة فيكفي ان نذكر مارون عبود الذي أرسى ركائز الاتجاه الواقعي لهذا الفن وأبرز « العلاقات الحميمة الاليفة بين الناس والاشياء » (١٥) ، نافذا « الى ما في صميم الواقع ، واقع الناس والاشياء ، من حياة نامية متطورة ومن صراع تناقضات ومن ايجابية في هذا الصراع » (١٦) .

ولئن برزت في أدب تلك الحقبة ، وفي الانتاج الفكري ، نزعة الى الانطلاق من واقع الكيان السياسي الذي أوجده الانتداب الفرنسي للبنان بغية تجذيره في ماضي التاريخ واكسابه هوية متوسطية غير عربية فانها لم تكن سوى وجه خاص من ظاهرة عامة برزت في الانتاج الادبي والفكري لمعظم البلدان العربية الوقعة تحت الانتداب اذ ذاك في محاولة لتكريس التجزئة تاريخيا ولمواجهة التيار الوحدوي العربي المترسخ منذ عصر النهضة والدافع الاساسي للنضال من اجل الاستقلال والتحرر . ولقد كان على الادب التقدمي ، في المقابل ، لا سيما في الاربعينات ، ان يواجه بعث النزعة الاقليمية بجملة تستطلع من التراث العربي واللبناني أبهى صفحات النضال العربي ، وأزهى سطوره المشرقة بالقيم الوطنية والانسانية ، كما كان على الادب التقدمي في الوقت نفسه ان يشارك القوى العالمية في مصارعة الوحش النازي الذي انطلق يفترس حرية الشعوب ويتهدد منجزاتها الحضارية بأسوأ مصير . وهكذا أسهم أدباؤنا خلال فترة ما بين الحربين في تنويع مصادر ابداعهم الجمالي والفكري ، وفي تعميق الابعاد الروحية والمادية للانسان اللبناني والعربي ، كما أسهموا في حماية التراث التقدمي للحضارة العالمية من انياب النازية الهتلرية . وليست اسماء عمر فاخوري ورئيف خوري ورفاقهما في الادب والنضال سوى عناوين مضيئة في تاريخ تلك الفترة التي انتهت على الصعيد العالمي بانتصار الديمقراطية ، وعلى الصعيد العربي بانتزاع بعض الدول العربية استقلالها الوطني ، وتهيؤ ظروف استكماله للاقطار العربية الباقية .

ـ ٧ ـ

لكن أجواء الحرب الباردة التي سعرتها سياسة الاحلاف العسكرية في منطقتنا العربية ومناطق كثيرة من العالم بدافع من عدوانية الاستعمار والامبريالية ، قد طرحت في الساحة اللبنانية والعربية ابتداء من الخمسينات قضية حماية الحرية والاستقلال الوطني . كما ان اغتصاب الصهيونية للوطن الفلسطيني وحقوق شعبه قد طرح بالحاح قضايا الهزيمة والتخلف الحضاري والتجزئة وتقصي الاسباب البعيدة والحاضرة لواقع الوجود العربي من مختلف النواحي التاريخية والايديولوجية .

وهكذا شهدت الخمسينات والستينات في بلدنا وفي منطقتنا تصاعد النضال الوطني والقومي في مواجهة تصعيد الهجمة الامبريالية والرجعية على المكتسبات التحررية ، وفي مواجهة العدوان الصهيوني الاستيطاني على الارض العربية في فلسطين . وكرديف لحركة التحرر السياسي والاجتماعي في صراعها مع القوى المعادية محليا وعالميا ، عكس الادب والفكر وجوه هذا الصراع وأبعاده التاريخية والايديولوجية ، وبرزت في حلبته عندنا ثلاثة اتجاهات رئيسية استقطبت الجهود الابداعية لادبائنا ومفكرينا :

---

(١٤) راجع جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ص ١٧٢ .

(١٥) حسين مروه : دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ـ ١٩٦٥ ، ص ١٦ .

(١٦) المرجع نفسه .

١ ـ اتجاه اقليمي ، يركز على القيمة الجمالية المطلقة للادب والفن ، ويواصل في نتاجه بعث الخلفيات الفكرية والمعطيات التراثية المعاكسة لخط الوحدة القومية والتحولات السياسية والاجتماعية التقدمية ، ويتوسل الفكر الفلسفي المثالي ، والشعر ، ومختلف الانواع الادبية لا سيما القصص الاسطوري ، لخلق النموذج الانساني الذي يجسد حقيقة التصورات الذاتية لارباب هذا الاتجاه ، ويعبر عن مفاهيمهم ومقاصدهم الايديولوجية والتاريخية في الادب والفكر .

٢ ـ اتجاه ليبرالي يرفض واقع التخلف على جميع المستويات ، ويسعى الى التجديد الجذري في مضامين الادب وأشكاله ، وهو في ثورته الادبية والفنية يعارض معطيات التراث العربي وامكاناته في التحول والابداع . بل انه يذهب بالمتطرفين والغلاة الى حد اعتبار الثورة نقيضا للتراث ومعارضة له من كل الوجوه . كما يذهب الى طرح الثورة الادبية واللغوية معادلا للثورة الاجتماعية وشرطا اساسيا لها . واذا كان شاعر ومفكر مشهور كادونيس أفضى به مساره التجديدي والثوري الى منظور اشتراكي في موقفه الفكري والفني العام من قضايا التجاوز والثورة فان معظم كتاب وشعراء هذا التيار ينطلقون من مفاهيم الليبرالية الغربية المتقدمة ومن التزامهم باتجاهاتها الحضارية الحديثة في صياغة مضامين ادبهم وأشكاله ، وفي رسم صورة الانسان الجديد على هديها وفي ضوء مواقفها من قضايا التخلف والهزيمة والتجزئة والمستقبل .

٣ ـ اتجاه يساري يضم الكتاب ذوي الميول التقدمية والالتزامات القومية والاشتراكية ، ويعمل في الادب والفكر والفن على تعميق صورة الانسان الجديد ، كما تفرضها ظروف العصر ، وتقتضيها عوامل الصراع المحلي والعالمي ، بين قوى العدوان والسيطرة والقهر من جهة وقوى التقدم والعدالة والرخاء من جهة اخرى .

ـ ٨ ـ

هذه باختصار هي الاتجاهات الرئيسية التي سادت في الحركة الادبية الفكرية عندنا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية والتي ما تزال الى حد بعيد تسود في الحركة الادبية الراهنة .

واذا كان من المتعذر في بحث موجز كهذا تتبع الملامح التفصيلية التي ترسمها للنموذج الانساني اقلام الادباء في كل اتجاه ، فليس يستحيل في الاقل ان ننوه بالخطوط العامة لهذا النموذج ، كما تتبدى من خلال أبرز الآثار المعروفة .

ولعل طبيعة المعاناة الانسانية واتجاهها في كل تيار هي التي تحدد لنا هوية النموذج البشري الذي يطرحه الادباء كتجسيد لصورة الانسان الجديد الذي يتمثلونه ويهدف ادبهم الى تحقيقه .

فما هي طبيعة المعاناة الانسانية واتجاهها في آثار أبرز ممثلي التيارات الثلاثة ؟ بمعنى آخر : كيف تبدو لنا صورة الانسان من خلال أبرز الآثار المعبرة عن كل من تلك الاتجاهات ؟

يكفي للدلالة على ملامح الانسان في التيار المنكفىء على واقع لبنان المتوسطي ان نشير الى الآثار الادبية لثلاثة من اشهر ممثليه وهم صلاح لبكي وسعيد عقل وخليل رامز سركيس ، فان في أدبهم الخصائص الاساسية المميزة لرعيل الادباء في هذا الاتجاه .

ففي حين تسعى ريشة صلاح لبكي في كتاب « من اعماق الجبل » (وهو مجموعة أساطير لبنانية) الى التأكيد على قدسية الارض والانسان وربط مصير الجبل اللبناني وأهله برغبة الآلهة في ان يكون لبنان ويظل وطن الالوهة الخالد على مر الدهور ، تنطلق ريشة سعيد عقل في مسرحية « قدموس » وفي أساطير « لبنان ان حكى » لتؤكد على رسالة لبنان في الارض وكونه وطنا للحب والحقيقة . وسواء عند صلاح لبكي أو عند سعيد عقل تظل صورة الانسان ـ المثال كائنا لا تلده ممكنات ظروفه ومحيطه وانما تخلقه من بعيد ومن شاهق مخيلة مبتدعه وتصوراته الذاتية كأنما الكلمة أصلا هي الفعل ، وكأنما الواقع هو وليد الفكرة وهي الدافع الاول للصيرورة والمحرك الوحيد للتاريخ من غير ان يكون بينهما أي نوع من الحوار على الاطلاق .

اما الانسان في أدب خليل رامز سركيس فانه ، وان يكن يعاني تجربة وجودية ، الا ان درب الخلاص عنده ليس يكمن في تغيير الواقع الاجتماعي والموضوعي ، بل في التزام الكلمة الدينية فعلا مباشرا في التاريخ ، وهكذا تنحل أزمة الوجود بانحلال التناقض بين جوهر العقيدة الدينية والفعل السلوكي ، وذلك يعني ان ازمة الوجود انما هي أزمة الانفصال بين الكلمة ـ الله ، وبين الفعل ـ الانسان .

ولا شك في ان الجمالية الشكلية لهذا الادب ، ونقاءه الفني الاسلوبي ، يضمنان له تأثيرا كبيرا في أوساط القراء ، الا ان رؤياه التجريدية المنقطعة كليا عن واقع الصراع التاريخي لا تضمن لهذا التأثير ديمومة فاعلة تقاوم عصف الاحداث المصيرية الطاغية ، وانجذاب المعاناة نحو الانغراس في تربة الواقع بعيدا عن الاحتمالات الميتافيزيقية التأملية .

ـ ٩ ـ

واذا ما انتقلنا الى الاتجاه الليبرالي في الادب والفن طالعتنا أسماء عديدة بعضها برز حضوره عقب نهاية الحرب العالمية الثانية وانطرح في الخمسينات كطلائع ومحاور استقطاب لحركة الشعر الحديث خاصة والادب الحديث بعامة ، وبعضها الآخر برز حضوره على امتداد الستينات وقفز الى مواقع الريادة في هذا الاتجاه وما يزال .

واذا كان من العسير حشد هؤلاء الادباء والشعراء في مدرسة ادبية واضحة المعالم محددة الهوية لتنوع مصادر الاستلهام وتعدد الخصوصيات الفنية وتشعبها في نتاجهم الادبي ، فان ثمة سلكا فنيا دقيقا يجمع فيما بينهم ، وخلفيات فكرية متشابهة تفرزهم عن اتجاهات سائر الادباء اللبنانيين .

اما السلك الفني الذي يجمعهم فهو اعتمادهم الرؤيا الجمالية الكثيفة أسلوبا في التعبير ، مع كل ما يرتكز عليه الاسلوب الرؤيوي من ضروب الرمز والصورة والايحاء . واما تشابه الخلفيات الفكرية فيكمن أصلا في الموقف الجذري الرافض الذي يتخذونه من الواقع الاجتماعي والحياتي على جميع المستويات . وفي فقدان اكثرهم ما يطرحونه بديلا للمؤسسات التي يرفضونها سوى مقولات مجردة عن الحرية المطلقة حينا ،وبلوغ العبثية وفقدان المناورات حينا آخر ، والبحث عن دروب للخلاص الفردي ، والتحلل من الالتزام النضالي الجماعي في الصراع الدموي الذي تدور رحاه في المنطقة العربية منذ أمد طويل .

ولعل في الدواوين الشعرية الصادرة لابرز أدباء هذا الاتجاه كيوسف الخال مثلا ، أو أنسي الحاج وسواه ، ما يعين على تلمس الابعاد الكثيفة للرؤيا الجمالية واعتمادها الرمز والصورة والايحاء وسيلة أساسية للتعبير ، كما يعين على تلمس مضامين تلك الرؤيا واحتضانها فكرة البعث والحرية بأبعادها الميتافيزيقية ودلالاتها المتحللة من الالتزامات التاريخية ، أو فكرة الخلاص المغرقة في الفردية أو في العبثية ، والخروج المطلق من المعاناة التاريخية . ولعل في بعض مسرحيات عصام محفوظ خير دليل على رفض الواقع وادانته من مختلف الوجوه ، وعلى افلاس القوى الثورية التاريخية في نظره وتحولها الى جلادة للحرية ، اذ هي تسعى وتستشهد في سبيل انقاذها . كما ان رؤية يوسف حبشي الاخيرة « لا تنبت جذور في السماء » هي خير شاهد على ممارسة الجمالية القصصية الحديثة للتأكيد على انطفاء المنارات والوقوع في الاحساس العبثي المغلق .

وهكذا لا تفضي طريق الليبرالية في هذا الاتجاه الا الى خلق النموذج الانساني الرافض الذي يعود فيقع اسير رفضه في مهاوي الانتظار الطويل ، او العبث القاتل ، او في خلاص فردي موهوم .

— ١٠ —

واذ نصل هنا الى مواجهة التيار اليساري في الادب فان مضامينه الوطنية ، والتزامه القومي والاجتماعي والسياسي ، واتجاهه التقدمي العام لا تنسينا تفاوت درجات الوعي في النظرة الى دقائق الصراع في حركة التاريخ ، كما لا تنسينا ما يشوبه من شوبات جمالية ناتجة في اكثر الاحيان عن التزام الموقف على حساب الفن ، وعن الوقوع في شبكة الاحداث الآنية والاكتفاء بالعوم على السطح بدلا من الغوص في الاعماق . كذلك لا يعمينا دخان المعركة التي يخوضها بعض هؤلاء الادباء الى جانب الانظمة العربية التقدمية في ملاحظة اكتفائهم بابراز الجوانب الايجابية لاوضاع المجتمع في ظل تلك الانظمة والصمت عن جوانبها السلبية صمتا يكاد يكون مطبقا .

ومهما يكن من امر فان على عاتق الادباء في هذا الاتجاه تقع الى حد كبير مسؤولية تعميق ملامح الانسان الجديد التي تكونت خطوطها العامة عبر التراث الكفاحي لاقلام الكتاب اللبنانيين على امتداد مراحل النهضة العربية المعاصرة . كما ان على كواهلهم تقع مهمة تطوير الرؤيا الواقعية الى الحياة ، وأسلبة اشكالها الملائمة وتعابيرها الجمالية المبدعة .

وان من يوازن بين ما تبدعه أقلام الادباء في هذا الاتجاه اليوم وما انتجته اقلام سابقيهم منذ ربع قرن ، او ما انتجته هي نفسها في فترة الخمسينات ، لا بد من ان يلاحظ فارقا في غنى الرؤيا واكتناز مستوى التعبير .

واذا كان انتاج الجيل الجديد من الشعراء والقصاصين الناشئين في هذا الاتجاه لا يصلح بعد لاتخاذه معيارا للتقدم والتطور فان بواكيره في الصحف والمجلات والمؤلفات تعد بمواسم نامية في المستقبل .

على ان ما أنتجه ، وينتجه أدباء كسهيل ادريس ، وميشال سليمان ، وتوفيق عواد ، واميلي نصر الله ، ورضوان الشهال ، ومحمد عيتاني ، ومحمد دكروب ، وعلي ابو حيدر ، ومحمد علي الخطيب وغيرهم في حقل الرواية او القصة ، او الاسطورة ، يمكن اعتباره بدرجة اولى ترسيخا لمعالم الاتجاه الواقعي والتقدمي لفن الرواية والقصة في العقدين الاخيرين ، كما يمكن اعتباره ، بشكل أو بآخر ، تعميقا لملامح الانسان الجديد الذي اذ يعاني ظلامية الواقع ومأسويته ، وظواهر تغرب الانسان عن ذاته ومجتمعه وأحاسيس التمزق والضياع والقلق ، لا يفقد في معظم الاحوال ارتباطه بواقعه التاريخي، وثقته بقدرته على التأثير في مجرى الواقع والمصير ، او بالاقل ليس يقع فريسة الاستسلام للغيبيات ، وانتظار رسل البعث والقيامة خارج دائرة الصراع والصيرورة وممكنات الخلاص والتقدم التي تتيحها حركة الواقع ومسيرته . فضلا عما تطرحه آثارهم الادبية في اطار الرؤيا الواقعية العامة للحياة من قضايا اجتماعية وسياسية ونفسية من شانها تجذير الانسان في محيطه ومجتمعه ودفعه الى مجابهة تلك القضايا وتجاوزها بروح كفاحية متفائلة ومنظور نضالي منفتح ، او دفعه على الاقل الى رفض الواقع البائس والبحث عن منافذ للخلاص في قلب الواقع وما يتيحه من اختيارات متعددة .

من هنا مثلا نجد ان قلم سهيل ادريس كان يتوجه الى تعميق معاناة المجابهة بين موروث الحضارة العربية ومعطيات الحضارةالغربية والبحث عن دروب الاصالة في غمرة الصراع بين الحداثة والتراث ، في حين كانت اقاصيص يوسف حبشي الاشقر اذ ذاك ترفض معالم الحداثة وتطابق بينها وبين سيطرة المدينة وطغيان مظاهرها الحضارية اللاانسانية ، ولا تجد منفذا للخلاص الا عبر حلم رومنطيقي باستعادة ماضي القرية وحياة الريف اللبناني وقد جردتهما الرؤيا الرومنطيقية الهروبية من جميع مظاهر التعاسة والبؤس والالم لواقع الناس في ذلك الماضي وتلك الحياة .

كما اننا نجد أديبا وشاعرا كميشال سليمان يؤكد في مجموعة أساطيره « أحلام في النهار » على طاقات التحول ، والنزعةالانسانية، وأصول الرؤيا الواقعية في الارث العربي ، مقابل ما طرحته اساطير صلاح لبكي ، وسعيد عقل ، من تأكيد على لا عروبة لبنان ، وربط مصيره وواقعه وتراثه بأبعاد ميتافيزيقية سحرية ، وبعوامل تاريخية خاصة مصطنعة ، تستعلي على حقائق التاريخ وتعبث بها في سياق رؤيوي ذاتي مفتعل .

وفي حين كان الشعراء الليبراليون ، كيوسف الخال وجماعة مجلة شعر على العموم ، ينسجون خامة الانسان الجديد من خيوط رؤيا حضارية غائمة للحياة والمجتمع ، وبأسلوبية جمالية تعتمد على الاثارة التصويرية والدهشة اللغوية ، كان شعر ميشال سليمان وما يزال يستل صورة الانسان الجديد من واقع الصراع الاجتماعي العربي والعالمي مجسدا بذلك مسار التناقض الجدلي بين قوى الظلم والحرية، ومراحل التحول من مستوى الاغتراب عن الذات في ظل الاستبداد والتخلف الى مستوى الوعي والثورة بسبب من هذا الظلم نفسه وكنتيجة له تحمل في ذاتها بكور التقدم والحرية وطاقات الثورة والتغيير ، باسلوبية جمالية كثيفة في دلالاتها الفنية وكشوفها التجديدية .

واذا كان المجال لا يتسع الآن لمزيد من المقارنة والمقابلة ، فالحقيقة ان من ذكرنا من رعيل الادباء القصاصين قد لعبوا ، على اختلاف مستوياتهم من طاقات الوعي والتعبير ، دورا هاما في تعزيز المواقع التقدمية لادب القصة والرواية . كما ان ادباء آخرين من شعراء كفؤاد الخشن ، وتوفيق ابراهيم ، وحبيب صادق ، وجوزف حرب وسواهم قد لعبوا وما يزالون دورا مماثلا في تنمية مسار الشعر التقدمي في بلدنا .

ولا بد أخيرا من القول بان نقادا ودارسين كحسين مروه واحمد ابو سعد وميشال سليمان ومحمد دكروب وعلي سعد وخليل احمد خليل والياس شاكر وغيرهم من الباحثين والكتاب السياسيين قد أسهموا الى حد كبير وما يزالون في تعميق الوعي الادبي والفكري والايديولوجي لهذا الاتجاه ، والعمل على تمكينه من تجاوز مواقعه السابقة ، واتساع آفاق الرؤيا التاريخية امامه ، وتطوير اساليبه الفنية والجمالية .

وختاما ، اذا كانت صورة الانسان العربي الجديد هي صورة الانسان المؤمن بقيم التقدم والحرية ، المدرك بان التوجه نحو الاشتراكية هو طريق التجاوز والخروج من التبعية والتخلف والتجزئة، وهو طريق التحرر الشامل والوحدة والعدالة ، فان اقلام الكتاب الوطنيين اليساريين على اختلاف مستوياتهم واهتماماتهم هي الاقلام العاملة عندنا بتضحية وجهد في سبيل تحقيق تلك الصورة .

واذا كانت صورة الانسان العربي الجديد هي اليوم على الاخص صورة الانسان الثائر بالقلم والبندقية بوجه الظلم والرجعية والهزيمة فان اقلام الكتاب الوطنيين والتقدميين في لبنان هي في طليعة الاقلام التي تعمل على خلق هذا الانسان .

بيروت

ميشال عاصي

الشعر وعلاقته بالتسامي بالروح الإنسانية

بقلم الدكتور ميشال سليمان

الشعر ليس عمودا من أعمدة بعلبك الستة الضخام . الصخور الخالدة التي لا تختلج بالرعشة المحيية ، لا تعرف الموت . فهي ليست رمزا ايجابيا للحياة . الشعر اذن لا يحمل معنى الخلود ، بالصيغة الجامدة ، انه يشكل وجها من قوة الحركة المجسمة في صورها ظواهر الزمان ، موقظة في الانسان العواطف النبيلة ، متعهدة فيه شخصية متجانسة قادرة على التمييز بين الجميل والقبيح ، قدرتها على حب الحياة وتعميقه باستمرار .

الشاعر منذ ما كان ، عمل على خلق الصور لتحريك الزمان . وكلما ابدع في الخلق ،كان ألصق بالروح الانسانية يتعهدها ضمن شروط اجتماعية وتاريخية محسوسة ، مؤكدا باستمرار ان الكائن بوصفه عملا ، وبوصفه خلقا ، هدفه التطور المستمر للخلال الانسانية ، وفق الحتمية الاجتماعية وما يستبطن من تشوّف خلاق .

فمنذ البدء سار الشعر في هذا المسار الضارب صعدا في عالم الانسان ، وعالم الفن ، هادفا الى « ايجاد الانسان الجميل والقوي » (١) ، ومؤكدا ان الثورة هي التي تزوده بالقوة ، والفن ، والجمال . بهذا المعنى كان الشعر ثورة في عالم الانسان ، قلت الزمان الاول للانسان ، ثورة جعلت الانسان يحس كأن هذا الوجود بدأ يتوجه فيه ، كمثل شيء يخصه ، لا بصفة أفكار ذاتية ، بل بوصفها ملكا لطبعه ولحواسه .

ان الاحساس بالوجود ، من اجل معرفته ، ومن اجل نجاوز المرئي والمألوف من تخومه ، هو الذي جعل الشاعر : البحار ، والمعدّن ، ورجل المختبر ، الذي تبرّح به دائما ، رغبته الرؤية الجديدة، ودوافع تفصيل حدود الانسان الجديدة ، كما يقلقه ، بشكل دائم ايضا ، حبه في ان يصبح سيد مصيره ، وسيد انخطافه . فهو من خلال تعمقه بمعرفة وجه الوجود الانساني والمأساوي ، يضرب معاول احساسه في المجهول ، ويقدم للناس ما استخرج وجمع من افكارهم وكلماتهم المألوفة وغير المألوفة . وهو من خلال جهده هذا ، لاقامة الطباق بين الانسان وبين العالم ، يرسي قواعد جسر تساميه بالروح الانسانية ، من اجل ايجاد الانسان البطل الذي يحلم بفتح ثغرة في طبيعة الامر الواقع ، بغية تبديل المجتمع وتحسينه (٢) .

وعندما نقول : الشعر وعلاقته بالتسامي بالروح الانسانية ، يتبادر الى الذهن ، اول ما يتبادر ، الانسان في همومه ، وفي مشاغله، وما يتصل بهما من عوامل تبعث الحياة الروحية في الفرد وفي المجتمع على السواء .

فالشعر الحق هو الذي لا يخافه من المواجهة . وليس له الحق أيضا في الانكفاء عن مواجهة هذه الهموم الوجودية اليومية والمصيرية معا . وهو المفطور على الوثوق بقوى الانسان ، والا أصبح شعرا قاحلا ، عاجزا عن تتبع خطى الانسان ، ورسم صوره على لوحات الزمان ، التي هي سجله ومدار مثاله الجمالي .

الشعر هو الزمان لا شعر خارج الزمان . زمننا هذا ، بخاصة ، هو زمن الانسان العملاق : الثائر ، المناضل ، الباني ، الخالق ، محتل القمر ، فضاح الغيوب . والشعر ليس بمعزل عن هذا التحول العصري العظيم . فهو وثيق الارتباط به ، بهذا الانسان ، باعتصامه بالارض ، وبانطلاقه منها الى عوالم أخرى . الارتباط بالارض هو الذي يخلق جذور النضج الكوني للشعر الحديث .

الانسان والزمان ، الانسان والتاريخ ، الانسان والمجتمع ، الانسان والتجاوز الكاشف ، تلكم هي المعاني السامية للشعر اليوم .

وعندما نقول هذا ، فنحن نعني بالضرورة ، ان الشعر انما يشكل ، بحد ذاته ، حلبة صراع مترامية الاطراف ، وصوتا جهوريا يخاطب اللحظات الكبرى في عمر الانسان ، اي انه يتركز حول الانسان من خلال علاقاته بالعالم وبالزمان . ومن هنا جمالية هذا الشعر الخاصة ، النابعة من التوفيق بين العام والخاص ، ومحاولة فهمهما من خلال وحدتهما ، ورؤية المصدر والهدف ، عبر التوصل الى معرفة ان المدى الزمني كفّ عن ان يكون خواء سديميا ، لكي يصبح الكون بأسره .

الزمان في الشعر ، ليس الزمان المعروف تقليديا (٣) ، وانما هو بصفة كونه مقولة فلسفية : لحظات متلاحقة متصلة ، تتحلل في العمل، ولا تعرف الموت . وهي شباب دائم ينبع من ايقاع الحياة الذي لا يعرف الموت سوى انه تحول (٤) ، يصبح فيه الزمان وجها لنظام العالم

---

(١) ريتشارد واغنر : الفن والثورة ١٨٩٨ ، صفحة ٨٠ .

(٢) هيغل : دروس في علم الجمال .

(٣) الزمان هنا ليس مقياسا .. كما يقول رينر ماريا ريلكه ، مؤلفات النثر ، صفحة ٣٠٦ .

(٤) الموت هنا بالمعنى الذي قصده هيراقليطس في وصف المأساة الوجودية : « كلنا يعيش الموت ، وكل منا يعيش ميتته » .

المعقول ، والمعيار الفلسفي الامثل لتكامل الانسان .

الانسان يحيل للزمان أفعاله ، وكل ما يكوّن وجوده الفاني بطبيعته الخالدة . وهذا التوافق يتم بواسطة العواطف المحسوسة ، عندما يصبح الانسان بصيرا بقيم الجمال ، والنضج ، والمواجهة ، والتخطي ووجوبه ، بحيث تتشرب ذاته القدرة على الاندماج بالزمان فلا يسلبها شيئا ، بل يمنحها كل شيء .

لقد اختزن الشعر العظيم دائما قواه من مبدأ تجديده معايير تلك القيم ، بواسطة خلقه قيمه الخاصة ، محطما الطرق والمناهج المألوفة (٥) ، هنا سر ديمومته المعافاة . وبانتقاله الدائم من طرق مواضيع استنفدت ، الى مواضيع بكر ، كان ينتقل بالروح الانسانية أبدا ، من تنهدات التشوّف ، الى آفاق لمّا تُرَ . حتى اذا ظهرت معالمها ، اركب الناس أراجيح الانخطاف من جديد ، وراح يطرق معهم جوانب من وجودهم الكوني الكبير ، هكذا الى ما لا قرار ، خالقا غنائية جديدة ، مستقبلية الارهاص ، توحي بالحب الكوني حين تنتظم انغاما ، وتحمل على التجاوز حملا ، حين تبحث عن معنى في قدرة الموت ، وعن معنى آخر في حتمية الحياة . وبكلمة اخرى : يموت الشعر عندما لا يوظف طاقاته في عملية الاصغاء لهدير ينابيع الوحي الخلاق ، الكامنة في الشعب . قلت عندما لا يساعد على تفجيرها ، حتى عبر الظلمات الموحية بالحزن والتعب الكبير (٦) .

وبمقدار ما كان الشعر يلتصق بالحياة ويستبطنها ، كان يتحمل مسؤوليته الاخلاقية بالنسبة للتسامي بالروح الانسانية ، والجمالية بالنسبة للفن ، فالشعر المتسامي بالروح الانسانية ، وبالفن ، يتصف بنكهة مأساوية من حزن وتعب كبيرين ، الحزن الكبير ينبع والفرح الكبير من منبع واحد . لكنه يتقدمه لكي يبقى دائما محتفظا بشرف السبق في شق الدروب ، واستصلاح الاراضي البكر ، عنيت : حب الحياة ، جعلها تحب .

اذن التسامي بالروح الانسانية لم يكن الا بازاء الالم والموت ، عندما يبدأ الجهد البشري بمحاولة اختراق عقليات القوى الخارجية المحيطة به . هنا تبدأ معجزة الذات الانسانية (٧) ذلك لان التسامي لا يكون الا في الانسان . الانسان وحده ينطوي على وظيفة خلاقة ، متسامية ، مندغمة اندغاما عضويا بطبيعة الحركة الصادرة عنه ، قلت: عمله من اجل تطوير وجوده ، وما انبثق وينبثق عنه من ادوات وقيم ، كانت تشكل بحد ذاتها ، وبما يضفي عليها الانسان من صقل دائم ، معالم الفن من : خط وايقاع ، وتهويم ، وايماء واصوات ، وجدت لها جميعا تعبيرا اخيرا لا آخرا ، في الشعر ، هذا الصوت المنبعث من الانسان ومن الزمان معا .

يقول بول ايلوار :

« هيجان البحر يقع على ماء صامت ، دون ان يلهبه ، ولكن ليضيئه اكراه اللحم ، جعله هينا مشتركا . ان تحب وان تحب يعني الرغبة في تخطي الطبيعة بأي ثمن ، والذهاب الدائم بسرعة نحو الخلق .

« ليس ثمة غد للصاعقة . الصاعقة انما هي مستقبل اليوم . في لحظة الحب ، كل شيء ينوجد ، وكل شيء ينفقد تماما . الانقباض انما هو غوصة متسامية في العدم .

ولكنها ولادة في السلسلة الابدية للولادات الاولى » (٨) .

هذه الابيات التي تحمل معنى العشق حملها معنى الحب السامي ، لتشكل التفسير الرائع لوظيفة الخلق الشعري . ففي الحب يجد الشاعر هويته الذاتية في التنوع ، ويجد الانفعال في الاتصال ، والمتعة في الالم ، والموت في الحياة ، واستحالة تجميد حركة الزمان واخفات صوتها ، كما يجد جدلية الواقع الراهن المستحيل ، وجدلية المستقبل الممكنة ، هذه الجدلية التي يقابل فيها الانسان الزمان ، الانسان الصوت ، أي اللحظة اللاعضوية المتحولة الى حركة ، تتنفس بالوجود ، بقسم منه قابل للهضم واللفظ .

هكذا انتقلت عملية التسامي بالروح الانسانية من البسيط الى المركب . الانسان الزمان أصبح الانسان التاريخ ، والانسان الصوت اصبح الانسان الكلمة .. الكلمة في عملية اندراجها في مساق كلمات انشحنت بعاطفة ، لم تكن مجرد اهتزاز شعور وأحاسيس وحسب ، وانما كانت بالضرورة ، تجربة تأكدت بتجارب اخرى ، انتقلت بالانسان التاريخ ، والانسان الكلمة ، الى الانسان المجتمع والانسان الصورة عبر ما وعت ذاكرتها العامة من تجارب ورؤى .

على هذا النحو اكتنز الشعر من مبدأ الحضور الانساني المنفرد بخاصة معرفة ذاته ، القادرة على تجسيد الصوت والكلمة والصورة ، في ما هو جنيني ، واخراجه بالتالي مطبوعا بهوية معينة . فكان واقعا ومصيرا في وقت واحد .

كان واقعا بصفة كونه المعيار الفاصل بين الانسان وبين قدرته في تجاوز ذاته . وكان مصيرا بصفة كونه المعيار الفاصل بين الموت وبين السكون . وكان انبعاثا : ثورة تتجمع عواملها من كل ما هو حي ، ويحمل في طبيعته الرغبة والقدرة على الاستمرار في الحياة . المستحيل هنا في تحركه عبر المطلق ، يولد صورة ما هو ممكن ، وما ينبغي ان يكون .

الصورة اذن هي الشعر . والشاعر انما هو الكائن الذي يخلق سببية هذا الانبعاث الجديد . والممكن فيه انما هو مبدأ الحركة الحتمي، الثورة المناقضة للسكون والموت ، وما ينبغي ان يكون ، هو صورة التغلب عليهما .

فكيف يتحصل لهذه الصورة الشعرية ان تمارس دورها في عملية التسامي بالروح الانسانية ؟

اذا ادركنا ان الشعر يدلنا على طرق للفهم جديدة ، أدركنا ايضا ان الصورة الشعرية انما تسمر وعينا وأعيننا في صفحة الذاكرة داخل

---

(٥) المثال على ذلك : شعر المتنبي وأبي العلاء المعري عند العرب ، وشكسبير عند الانكليز ، وغوته عند الالمان ، وبوشكين عند الروس ، وهوغو عند الفرنسيين ، وسواهم .

(٦) يقول مایاكوفسكي : ينبغي على الشاعر ان يكون وسط الاشياء والاحداث . ان معرفة نظرية الاقتصاد ، ومعرفة الحياة الحقيقية ، والنفاذ الى التاريخ هي بالنسبة للشاعر أهم من الكتب المدرسية الصغيرة التي تقدس المبتذلات ـ شعر ونثر ، ص ٣٦٣ ـ .

(٧) يقول جوفراي : « ان الفكرة الاساسية للتسامي انما هي النضال . انها فكرة القوة بوجه من وجوهها . القوة الحرة والمدركة ، والمناضلة ضد العقبات التي تعرقل تطورها ـ دراسات في الجمالية ـ .

(٨) بول ايلوار : مسارب الشعر ودروبه ، ص ٧٩ ـ ٨١ .

ذواتنا وخارجها . فاذا ما اتفق لها ان تقوم بالامرين معا اكتمل لهــا سر الابداع . ولكي تمارس الصورة الشعرية هذا الدور ، عليهــا ان تستقيم داخل اطار قوامه الكلمات ، اللغة القادرة على استحضــار ما هو مرئي ، واستحضار طريقة للرؤية جديدة ، تتاح بواسطتها اقامة الحوار بين الانسان والعالم ، وبين الانسان ونفسه على الســواء : أي ان يدرك الانسان من خلال الشعر وبواسطته أشكال وجــوده ومعاني صيرورته .

بهذا يكون موضوع الصورة الشعرية : الانسان ، تتسامى به من خلال جعله يدرك انه موجود وجودا مندغما بسواه وبما يحيط بــه ، وغير منفصل عن تاريخه ، عن اخلافه ، عن اطار وجوده العام ، وانه غير منفصل عن هذا الوجود الذي لا يمكن تصوره وجودا متقــدما متحركا بدون الانسان .

والشعر باصراره على هذه الوحدة ، انما يصر على العلاقة التي تنشأ بينه وبين الناس والاشياء . فالشاعر ، ككل فنان ، يستخــدم أداة للعمل : الكلمات بكل ايقاعاتها ومعانيها ، ووقعها ، ومجازاتها ، بحيث تصبح اكثر من معنى ، بما ينضاف اليها من صفات ونعــوت واحجام واحكام ، تجعلها ، في النهاية ، جسر علاقة بين الشــاعر والقارىء ، يقوم على اساس من التجربة الانسانية ، ويتقوى بمــا يدخل في لبنته من معاناة .

ولعل اهمية الشعر هنا في السمو بالروح الانساني انه ، عبــر استخدامه ، يجعل تحت التصرف ما هو أكثر من الكلمات المنتظمــة سطورا ، وأبياتا ، ومقاطع . انه يمد الناس بمجموعة من الافعال ، من مثل نبرات الصوت ، وحركات عضل الوجه ، وايماءات اليــدين والجسد ، وهي جميعا مما يجد له تماثلا ومحاكاة لدى السامعيــن والمشاهدين ، بحيث لا تكون مجرد حركات ونبرات وايماءات وحسب ، وانما تشكل ، في هذه الحال ، تاريخا ، لا بالمعنى المألوف ، بل بصفة كونه استبطانا للماضي ، وتقويما للحاضر ، واستشرافا للمستقبــل اكثر وضوحا وعطاء . وبوصفه القرينة الموجبة الدرس ، بما تحمــل من تناقضات ، وقل : الجوهر المعبر عنه عبر عصور التخيل الخلاق .

ان كل مقطع ، كل سطر من هذا الشعر ، لعلى علاقة عضويــة بذاته وبمفرداته ورؤاه . وكما ان كل مرحلة من التاريخ على علاقــة بذاتها ، ولا يمكن فهمها بعمق ووضوح ، الا من خلال الاحاطة بهــا ، كجزء من وحدة متكاملة ، كذلك شان المقطع من الشعر الكبير ، عنـد تمام مؤداه ومبناه ، وهو لن يتم التمام كله ، لان التاريخ لن يتـم ، ولان الناس الذين بوعي منهم وبغير وعي ، يصنعون التاريـخ (٩) ، يتبدلون ويتحولون عبر علاقاتهم الجدلية ببعضهم البعض ، وبالواقع ، ويستمرون في البقاء اعضاء في المجموعة الكبرى ، يرتقون بالحــوار ، ويصنعون الواقع على النحو الذي تتخمر فيه وتتفتح بــذور المستقبل المنشــود .

بهذا المعنى نستطيع القول بأن الشعر قد أسهم اسهاما اساسيــا في تطوير الذات الانسانية . ذلك لان جوهر طابعه الذي يضفي عليــه معنى اخلاقيا هاما ، اعمق مما هو ديني (قــديما وحديثا) قلت : وجودي existentiel يبرره حد اعلى من النفاذ الانساني فــي السيطرة على الواقع .

فعندما يضع الشعر الانسان ، وطاقاته ، وسط مشاغله وهمومه ، وعندما يؤنس هذه الهموم ، فهو انما يحمل على اطراح كل وجهــة ، او نظرة تتحرك خارج حركة الطبيعة والانسان ، خارج التاريخ المتحرك بعفوية ، وبجهد الانسان . وهو بالتالي يحمل على اطراح كل فكــرة تنطلق من مفهوم الجمال المثالي ، لانها سكونية ، ومنفصلة عــن الاحتمالات ، وعلى نبذ الفردية بصفتها هدفا مطلقا ، ونبذ الفنــائية لمجرد كونها التبرير الوحيد للفعل الجمالي ، وهذه جميعا مما يتصل بالماضي المستكين على ما بلغ ، وعندئذ لا يكون الشعر مجرد انعكاس لما هو سحري في الافكار الانسانية ، بل يكون جؤجؤ السفينة الــذي هو أول من يغالب الموج ، وأول من يبشر بالافق الجديد الذي « تؤرخ به مرحلة من التاريخ ، سيعرف الناس من خلالها ، ومعهم كل فروع نشاطهم ، تقدما يطرح في أعماق الظلمات كل ما تقدمه » .

من هذه الاصالة الشعرية ، وتجاهها ، تسقط البدع التي لا تعدو ان تكون شطحات ضياع ، وارتدادات نكوص ، باسم التجاوز تارة ، وباسم الصوفية والرفض والبحث عن المجهول تارة اخرى ، وهي لو علم اصحابها متاهات تفتح بوجه الانسان ، لا لتجعله اكثر فاكثر سيــد مصيره ، بل لتطرحه أشلاء ممزقــة في بحر اشكــال الكيميــاء الضبابيــة .

فعندما نتكلم ، نحن الشعراء ، باسمنا ، وباسم الكثيــر مـن الاشياء الاخرى التي تتجاوز ذواتنا ، وباسم من يحيط بنا ، وباسم العناصر والاشياء ، وباسم هذا المجهول الكوني الكبير الذي نطرقــه حينا ، ونتوغل فيه حينا آخر ، فنحن انما نتكلم باسم ما هو واع ، وباسم ما قد يؤول اليه ، وهو ما يضفي على الوجود ، وعلى الحياة ، لونا مـن البهجة المأساوية ، ويطبع حركـة الواقــع بطــابــع اللحظات التحولية الكبرى في عمر الانسان .

بيـروت — ميشال سليمان

(٩) كارل ماركس .

صدر حديثـا

عذابات احمد بن ماجــد

للشاعر البحريني

يعقـوب المحرقي

* * *

هنا الوردة .. هنا نرقص

للقصاص البحريني

امين صالــح

منشورات دار الآداب ــ بيـروت

بالاشتراك مع اسرة الادباء والكتاب في البحريـن

مراكب الشمس

معلقة أنت بين أرض الصعيد وصحراء سينا
وجسر الحسين ومرتفعات الشآم
مراكب شمس حزيران ما زلت تنتظرين السفار
وما زلتُ استلهم الكلمات البدائية الصعبة النطق من
حلقي المتعفن
قد قطعوا لي لساني اذ فطنوا انني
صرت أفهم مسألة الله والكون والارض والملكوت
ومسألة الانبياء
ومسألة الخلفاء
وبعض السماوات
وكل كواكبها السائرة ...
وآلت اليّ كهانة أهرام فرعون اسما ...
لان المفاتيح كانت تُخبأ فوق تاج الامير ولا يعرف
السر غير الوصي
فان مات ينتقل الامر للوارث المستحق
ومن يجرؤ اليوم ان يتكلم ؟
ان السراديب مجهولة ... والضحايا ركام
بلا رجعة داخلون .... بلا رجعة
ها هنا صرت
هل ينقل الصخر أخبار عيسى بن مريم ؟
ليس لهذا المسيح حواري ينبىء من بعده الناس
بالصلب ..؟
ومعـذرة ....
انني لم اكن اتقن اللغة القبطية حتى ابلـغ عن منفذ
السر في الهرم القبر

وليس لديّ سوى الصخر حتى أكاتبكم
انهم احرقوا ورقتي
ذبحوا أخلص الطير لي
والحمام الذي كنت ربيته بيدي ...
ولا ضير ...
اني اخط على هذه الارض بوح الذي حشروني واياه
في القبو :
(حنطوني جثة في الهرم السابع ألفي سنة
عنخ آمون حديثا
نصبوني فوق عرش الاسرة العشرين فرعون وريثا..
اثبتوا وجهي في الجدران ميتا
تاجروا بي ....
عرضوني سلعة ....

. . . .
. . . .

معلقة بين ارض الصعيد ومرتفعات الشآم
مراكب شمس حزيران
تر ... ت .. ق .. ب الانطلاق ..

بغداد — **عمر حميده**

يعمد الفراعنة الى قطع لسان الكاهن ــ العارف الوحيد باسرار وممرات الاهرام ــ حتى لا يكشف عن السر .

لحظة لقاء

قصة بقلم الدكتور نعيم عطية

« عندما يجيء الموت ،
ذلك الذي يخطف الرضيع من على ثدي أمه ،
كما يختطف العجوز الذي تقدمت به السنين،
عندما يجيء ذلك الرسول كي يأخذك ، فليجدك
على أهبة الاستعداد جاهزا » .
(من كتاب الحكمة لبتاح حتب)



صادفت احالة صفوان حلمي الى المعاش صدور أمر بالطرد من البيت الذي سكنه منذ ست وثلاثين سنة . ظهر في الواجهة شرخ طولي ، أجمع خبراء التنظيم أن المبنى اصبح آيلا للسقوط ، وربما هوت الانقاض على رؤوس السكان في أي وقت بالليل او النهار . وقد نقل بعض السكان امتعتهم على وجه السرعة الى بيوت اخرى .. أغلى ايجارا بالضرورة من شققهم في العمارة التي شاخت ، ولم تعد تقوى على الوقوف صلبة العود . وان كان البعض قد مضوا يتشبثون بشققهم الى آخر لحظة ، واستماتوا في عدم اخلائها حتى جاءت اليهم اوامر الطرد مصحوبة بتهديدات السلطة بالاخلاء عنوة ، والالقاء بهم الى عرض الشارع هم و « كراكيبهم » ـ على حد تعبير مندوب التنظيم الذي استثارته مراوغة السكان في الامتثال للقرارات التي صدرت اليه الاوامر بتنفيذها ، ويود ان تنفذ دون وجع الدماغ .

أما صفوان فقد كان من المسالمين . جمع حاجاته وانتقل الى سكن جديد ، بلا جلبة او جدال ، فهم ـ وقد رأى الشرخ الطولي قاصما لكاهل البناء ـ ان الامر قد قضي ، وألا مفر من الاذعان ، فلكل شيء آخر ، حتى ولو كان بناء اعتبر زينة الحي عندما شيد على احد شوارعه التي شقت منذ سبعة وستين عاما أو زهاء .

استغنى صفوان عن اشياء كثيرة ، مرغما على أي حال . باعها الى تاجر اشياء مستعملة برخص التراب . ولم يكن الثمن نصب العين ، بل كان الاستغناء عن اشياء لم يعد لها مكان في الحيز الجديد هو المرام ، فمن غير المستطاع ان تستوعب غرفتان حاجيات شقة من خمس غرف وصالة ، ومن الطراز القديم ايضا . ومهما كانت اشياء الايام الخوالي عزيزة على القلب ، فليس لشقق هذه الايام قدرة على استيعابها ، ولا يبقى لصاحبها اضطرارا ـ اذا اراد ان تبقى ملتصقة به ـ سوى الذكريات .

رتب صفوان ما جلبه معه من قطع الاثاث وصف ما احتفظ به من كتب على الارفف . واستعان بأم نوال ـ الوحيدة التي بقيت له من الحي القديم ـ في كنس الشقة الجديدة وازالة الجير والطلاء الزائد من على الارضية البلاط . وبعد بضع ساعات لم يغالب صفوان الرغبة الحارقة في ان يفتح الباب الخفيض ، ويخرج الى الشارع تلو الشارع في هذا الحي الجديد الذي لم يزدحم بعد بالناس ، فبدت أرجاؤه مقفرة باردة اذا ما قورنت بأرجاء الحي القديم البعيد الآن ، الذي تتردد اصداؤه في المخيلة كأنها نغمة شجية من اسطوانة على الحاكي العتيق الذي باعه صفوان ضمن ما باع .

في الشهور الاولى ، كان يغلق باب شقته ، ويمضي الى محطة الاوتوبيس يركبه الى الحي القديم ليجلس في مقهى « السعادة » مع جيرانه القدامى يشرب كوبا من الجنزبيل كعادته ، ويتابع من يلعبون الطاولة ، فاذا كانت اللعبة دورا من الشطرنج زاد اهتمامه وتسمرت عيناه على القطع الخشبية التي تتحرك بحذر وذكاء على الرقعة المقسمة الى مربعات بيضاء وسوداء . ولكن مع الوقت أحس بأن المشوار بدأ يصبح طويلا وثقيلا . ربما استفحل الزحام في الاوتوبيسات هذه الايام ، او ربما تزايدت اصابة موتورات هذه السيارات بالعطب . فيطلب من الركاب النزول لاخذ الاوتوبيس التالي. وفي الصعود والمزاحمة والهبوط مضى صفوان يشعر بالتعب ، فثبطت همته ، وقل تردده على الحي القديم الطيب . وبخاصة ان أعز جيرانه الحاج عمران ما لبث ان توفاه الله . وظل مكانه في المقهى وفي القلب خاليا . اما جورجي افندي صراف المالية القديم فقد حزم امتعته ورحل على كبر الى كندا حيث كان قد سبقه اكبر ابنائه الدكتور سامي الذي صرف عليه دم قلبه في مدارس الفرير ، ومضى يلم شمل الاسرة حوله في مونتريال .

في ذلك المساء عاد صفوان متأخرا من عزاء آخر اصدقاء الحي القديم ، وهبي افندي ، باشكاتب عموم الاقلام . مرض ، ولم يمهله المرض طويلا . عند باب العمارة التقى صفوان بميو .. اعتصرت قلبه بين ضلوعه عينان فوسفوريتان تسلطان عليه نظراتهما من وراء الزجاج السميك . وما ان اكتشف انهما عينا قط مختبيء حتى كان صاحب العينين النفاذتين اللامعتين اسرع منه ، فقد اقبل عليه يموء ويتمسح في سرواله متوددا . ثم مضى في اعقابه يقفز درجات السلم صاعدا.

أطل عليه صفوان في الظلام وابتسم ، فقد كان الحيوان الاليف يرفع اليه رأسه المستدير بين الفينة والفينة ، ويحرك ذيله المنتصب كما لو كان يدا ممدودة اليه بالتحية .

عندما وصل صفوان الى باب شقته ، سقط منه المفتـاح . انحنى يلتقطه . ولم يغالب نفسه من ان يربت على رأس ميو الذي استجاب اليه واستكان لملاطفته . كان فراؤه رطبا من اثر الامسية التي ما كانت تخلو من لذعة باردة تنذر بأن الشتاء قد خطا حثيثا الى الارض . وعندما فتح صفوان الباب كان القط اسرع منه فـي الدخول . ومضى يستكشف انحاء البيت الذي فرز ان يسكنه .

مع الايام فترت الاحاديث ، تباعدت العبارات ، وأضحى الكلام في المقهى فاترا أجوف . كل قول صار تزايدا . كل ايماءة جثـة بلا روح . اغصان يابسة تقطع وتلقى في النار التي تظل منطفئة . كل شيء ركد . كل نفس همدت وتأهبت للرقاد . لم يعد هنـاك ما يقال . لم يعد ثمة ما يضاف . كيف اصبحت ؟ مثلما أمسيت . ما الاخبار ؟ لا جديد . ما من جديد كان ينتظر .

لم يحس صفوان بذلك الحي القديم متغلغلا في دمه قدر ما أحس به عندما نزح عنه . كل شيء يذكره به ، وعلى الرغم من انه لم يعد يتردد عليه في الآونة الاخيرة ، الا ان الحنين اليه ظل الى حيـن يملأ قلبه . صدق اذن ذلك القول بأن بطن المرأة بعد الوضع تبحـث عن الجنين الذي كان بها . يلوم صفوان نفسه أشد اللوم على رحيله لكنه يعرف انه ازاء أزمة المساكن المستحكمة ما كان يمكن ان يجـد خرم ابرة الا في هذه الضاحية الجديدة على مشارف المدينة التـي تمتد في جميع الاتجاهات ، والى هذه الامتدادات تلفظ المدينـة القديمة ابناءها من احشائها . لكنه ما كان يلبث ان يهدأ ويقـول لنفسه : « كل ارض الله سواء » . ثم في النهاية هذه الشقـة الصغيرة البيضاء ، حديثة الطلاء ، لا عيب فيها بعد ان ألف سقوفها الواطئة وحوائطها المتقاربة وكواتها الضيقة .

لم يعد الحي القديم هو الحي الذي يعرفه . انفصل عنـه . لم تعد صورته في مخيلته وصورته في الواقع تتطابقان ، ابتعـد صفوان ، ابتعد كالارض بالنسبة لباخرة تمضي الى عرض المحيط . استحال كل شيء في ذلك المكان القصي الى ذكريات ضمن الكثيـر من الذكريات الاخرى .

هكذا كان الامر ايضا في شبابه . عندما جاءه امر النقل الـى القاهرة كان يعتقد انه ليس بممكن ان يبتعد عن الاسكندريـة ، ويقول : نحن السكندريين مثل السمك ، اذا أخرجنا من مياهنـا متنا . اول الامر لم يترك شقته هناك .. في محرم بك .. ظـل محتفظا بها شهرا تلو شهر . ومضى يقطع المسافة بالقطار ثلاث مرات في الاسبوع . ثم بعد خمسة أشهر سكن شقته في الحي القديـم، ومضى يسافر الى الاسكندرية كل اسبوعين ، ثم لم يعد حتى فـي الصيف يذهب اليها . أصبح الحي القديم ذو المآذن والعطفـات والمشربيات ودكاكين العطارة هو التربة التي انغرس فيها وتشعبـت في طينتها جذوره .

في الحي الجديد لم يعقد صفـوان صداقات حقيقية ، بل اصبح لـه بعض المعارف فحسب .. الاسطى امير الحلاق ، الذي ادرك سريعا ان زبونه على المعاش ومقطوع من شجرة ، فكـان يتفنن في استخـدام المقص حول الرأس ومن الخلف وعند الاذن ، دون ان ينقص من الشعـر شعرة ، فتطول الجلسـة وتمضي الثرثرة التي كان يفجر منهـا صفوان فينشغل عنهـا بتصفح المجلات التي تعرض كثيرا مـن الموضوعات المثيرة كمصرع راقصـة ، او اكتشاف مقبرة فرعونية نهب اللصوص محتوياتها ، او تلف بعض المومياء في المتحف حيث كان يعمل فترة من حياتـه الوظيفيـة .

ومن معارف الحي الجديد ايضا الحاج عطوة البقال ، الرجل المتدين الذي يملأ حوائط دكانه بالآيات المكتوبـة بخط كوفي اكثـر ممـا يملأ ارففه بمواد البقالة .. مسبحة صفراء ولحيـة بيضاوية .. كـان صفـوان يمر عليه ويشتري قطعة من الجبن لعشائه او علبة سمـك محفوظ لغدائه او ثمـن زيتون اسود كلمـا توافـر الصنف .. يتبادل معه الكلام فـي حال الدنيـا ، ويؤكـد له الحاج عطوة ان اخلاق اولاد اليوم قد تدهورت الى الحضيض ، وان يوم الحساب قد دنـا ، ويدلل على ذلك بالعديد من الامارات والشواهـد .. لكـن كل ذلك ـ كمـا لاحظ صفوان ـ لم يكـن يمنعه من ان ينقص في الكيل .

زادت الحبال الواصلة بالاخريـن تقطعا ، واتسعت من حوله هوة الصمت . كـان يجر كرسيه الى جوار النافذة البحرية التي تطل على الشارع ، ويقتل الوقت يتابع المارة . لا زال الناس يجيئون ويذهبون. لا زال البعض يمضي واثق الخطى يدق اسفلت الطوار بحذائه . يتداخل السائرون . يمضون . يمضون . يختفـون عند المنعطف . يأتي غيرهـم يمضون . يبتعدون ويتبددون .

في الغروب ، يخف المارة ، ونهدأ الحركة ، عندمـا تغلق البنوك والشركات ابوابهـا في الحي التجاري القريب ، ويصبح الطريق مقفرا ، وعلى الجانبيـن بضع شجيرات هزيلة ، تصارع اغصانها النحيلة الجرداء لتطول السماء . صورة بنفسجيـة تزداد انطفاء كلمـا انطفأت من العينين نعمة البصر ، ومن على اسفلت الطريق يتعالى وقع سنابك جواد ابيض يقبل من عند المنعطف مسرج وبلا راكب يمتطيه . ثم اخذت الاذنـان تضعفان . ومن بعدهمـا كل الاعضاء .

اذا ما تكلم اليه احد يسمع الكلام كأنه لا يوجـه اليه ولا يعنيه ، يبدو لـه غريبا عنـه . يطرق اذنيه ولا ينفذ الى عقله او قلبه . ثمـة صوت في اعماقه على العكس من ذلك يتمرد على كلام الناس الموجـه اليه . ويهتف به : ما شأنك انت وهؤلاء ؟ امامك امور اكثر اهميـة وجسامة من هذه الثرثرات الجوفاء . هذا الصوت يزداد في اعماقـه تمردا ورفضـا بكـل مـا يفـد اليه من الخارج . انت مقبل على حدث جلل .. وكل يوم بقي لك يقربه منك .. مـاذا ستفعـل ؟ عليـك ان تتأهب لـه .

لم يبق على الاطلاق شيء . اضحى الوجود خواء مضنيا . كـان لا بد الخروج منه . فكر صفـوان . فكر بواقعيـة . فكـر في وضعه الراهن ، فيما بقي له : الاصدقـاء ؟ راحـوا . القـراءة ؟ عنـاء . الذكريات ؟ طيور مهاجرة .. وماذا بعد ؟ وجد ان الشيء الوحيد الذي بقي له ، الذي يجذبه وينتشله من خوائه ، الذي يعتصر قلبه ـ مـا ان يتأمله ـ بقبضة فولاذيـة ، ويطالعه بوجه مبهم غامض ، هو ذلـك الرفيق الموجود وغير الموجود ، الذي يجرفه دون ان يعرفه . شـدد صفوان قلبه . طرد هواجسه . وبقي لـه شيء من الصفاء الذهني . يذكـر لحظات الامتحان ، ليس المدرسية منهـا فحسب ، بل امتحانات كل يـوم . في تلك اللحظـات ، كـان يذوب فيه كل شيء ، ولا يبقى منه سوى ذهـن متوقـد متربص . عاد اليـه ذلـك الصفاء القديم ، ومضى يقلب الامر ، وينقب فيه بامعـان وتمحيص . انـه هو ! اذن ، هـو ؟ كيف ؟ ايـن ؟ هنـا ؟ متى ؟ وعلى الاخص كيف ؟ ما هو ؟!

ذات مساء . وهو يقرأ تحت ضوء المصباح ، أحس يديه ترتعشان، وترتعش معهمـا الجريدة التي يمسك بها . وضعهـا على المنضـدة المجاورة ، وبسط يديه يتأملهمـا . قلب راحتيه ، ونظـر اليهمـا . كان الجلد غضنـا تناثرت عليه البقع البنية . لا شيء تغير . فقط ، العروق الخضراء بطول ظهر الكف زادت نفورا واخضرارا . اهتـزت الاصابع النحيلة الشاحبة قليلا . ابتسم . ارتسمت تجاعيد ثلاث علـى كل من ركني فمه . حدث نفسه قائـلا « ترى ، هل شخت هذه الايام يا أبا مدحت ؟ » وتحجرت الابتسامة على شفتيه . منذ بضعـة ايـام وهذا التساؤل يزداد الحاحا رغم محاولات التملص من الاجابة . مضى

يحصي ما انقضى من السنين ((لم تكن بالكثيرة جدا)) هكذا كان يهتف في اعماقه هاتف . ((لكنها ليست على اي حال بالقليلة)) هكذا ايضا همس في اعماقه صوت زلزل صمت البيت من حوله .

عزم على النهوض ليعد كوبا من ((الينسون)) . لو كانت ام نوال هنا لجنبته مشقة البحث عن اعواد الكبريت واشعال الموقد ، والتنقيب في دولاب المطبخ عن علبة الينسون ، لكنها ليست معه كل يوم . وحتى في اليومين المحددين لمجيئها كل أسبوع كانت تتاخر كثيرا في الحضور لتسلم عملها في الصباح .. واحيانا تنقطع أياما وايما وتعود باعذار وهمية . يدرك صفوان ذلك جيدا، الا انه يقول ((بعد كل هذا العمر وطول العشرة ، هل يمكن استبدالها ؟))وهل يضمن ايضا ان من ستأتي لتحل محلها افضل منها ؟ ثم انه في الحقيقة ما كان يرتاح الى غير ام نوال التي عاصرته منذ ايام الحي القديم .. في ساقيه نقر يكاد يكون منتظما مثل نبض القلب ، وفي قدميه ثقل يشدهما الى الارض ، فيتوق للبقاء في كرسيه جالسا، ممدد الذراعين على قطيفة المسندين الخشبيين المنقوشين . تقلصت اصابعه الان على رأسي الاسدين المحفورين في مقدمة المسندين . دس قدميه في الخفين الصوفيين ،وهم بالقيام . زاد ظهره انحناء كما لو كان العبء قد ثقل على الذراعين . غلبه التعب فعادت عظمتا عجزيه النافرتان تغوصان في الوسادة الطرية المنحولة . امواج وامواج تنهال على منكبيه في خواء البيت. عاد يلوذ بالجريدة . نام في كرسيه. مال رأسه الاشيب على صدره ، وعلى الخد الضامر انعكس ظل اصفر. تدلت ذراعه اليمنى الى الارض ممسكة بالجريدة . كان يقرأ فيها عن جريمة قتل ظل القاتل فيها مجهولا . اما راحته اليسرى فقد استقرت في حجره ساكنة بخطوطها الغائرة . وفي خنصره لمعت دبلته الذهبية. ومع نومه نام الالم في ساقيه وظهره ، وياللسعادة ان يكون المرء بلا الم . حملته السفين بعيدا . وفي حلمه ، مد يده وربت علىشعرها. ما عاد جلده جعدا ، ولا للكيسين المرتسمين تحت مقلتيه وجود . يسير الان معها ممشوق القامة خفيف الخطى على ممشى رملي في حديقة ((السلالات)) شاب هو في السادسة والعشرين الى جوار فتاة في العشرين ، فاحمة الشعر تنسدل جدائلها على الكتفين يمد يده يمسك بيدها . تسحبها في خجل . وتنظر اليه بعينين واسعتين وأسعتين . لم تكن منطفئة النظرة مترهلة الجسم كما أضحت في السنوات الثلاث التي سبقت وفاتها الباكرة .

لم يبق سوى مواجهة العدو . وجد نفسه في النهاية وحيدا ينتظره . ربما جاء اليوم .. ربما جاء غدا .. بالليل لا يسقط زرار النور البيضاوي من قبضته .. في اية لحظة سيحس باقترابه سيضغط على الزرار ، وستضيء الغرفة . انه لا يريد ان يلتقي به في الظلام، بل في النور الساطع ، حتى يراه وجها لوجه .. لم يكن شجاعا في حياته .. هذا صحيح . لم يأت عملا من اعمال البطولة . لم يلتحق بالجيش . كان وحيد والديه في سن الجندية فاصابه الاعفاء . لم ينقذ غريقا من الغرق . ولا احدا من حريق ، بل انه ايضا لم يدخل في معارك مع غريم .. ولكنه ايضا لم يكن جبانا متخاذلا . وها هي معركته تقترب . الموت ليس توقفالقلب عن الخفقان ، بل توقف العقل ، وانطفاء الحواس . فليواجه اذن العدو المجهول المرتقب. انه لن يصرعه . ولا يدعي لنفسه القدرة على ذلك . فليواجه العدو المتوقع بوضوح وصراحة ، على الاقل . كل ما يريده هو ان يعرف . في هذا خلاصه حقا .. على الاقل ، ان يعرف . وبعد ذلك ، يهون كل شيء .

انه آت فلا بد من مواجهته . لم يكن لصفوان آثام كبيرة حتى يشغل الندم باله كثيرا . كل ايامه الماضية طرحها عن كاهله ، فرغ للاحظة حاضره وتأمل ما هو آت عن قريب . طالما لا يمكن الا يأتي يوما ، طالما لا يعرف كيف يصرعه او حتى كيف يكون الهرب منه، طالما لا يمكن تجنبه او معاداته ، فلا أقل منالتلاقيمعه،والالتحام به . اذا ما هبت الريح انحنى الشجر الحكيم لها ، ومضى الرمل واوراق الخريف مكتسحا في مهبها . لا يقاوم الغصن فلا ينكسر . لا يرفض الرمل والورق الساقط بل يمضي طيعا مختارا الى حيثما يحمل ويلقى به . هكذا سيفعل صفوان .. ولكنه ايضا ليس بغصن شجرة ، ولا حبة رمل ، ولا ورقة ذابلة ،بل هو انسان ، فاذا جاء الغريم سيمضي معه ، ولكنه سيعمل كل ما أوتى من حواس وفطنة ، ليفهم ، ويتأمل ، سيبسط الشراع ويمضي معه . وفي كل خطوة سيحاول ان يلمسه ، ويزداد معرفة به . فهذه هي المنحة التي وهبتللانسان: ان يحاول ان يفهم ، ان يصر على الفهم ، فالحقيقة لا تأتي اليه كلها واضحة طيعة .

كل ليلة ، يرهف السمع ، ويحدق في الظلمات قدر امكانه . متأهبا ، بلا توتر . يلصق ظهره بالحائط ، او على الاقل ، يجعلظهره للحائط قدر المستطاع حتى لا يجيء العدو من الخلف ،فيباغته ، ولا يتيح له ان ينعم بالفرصة التي اصبحت شغله الشاغل الان . وربما تسليته ايضا . فالاستعداد للحظة المرتقبة ، الاتية ولا ريب، اصبح يملأ ساعاته .. الذي لا يريد ان يدعه يفلت من يديه هو استيعاب هذه اللحظة .. هو معايشتها بوعي . يريد ان يسمع كل ما يمكن ان يسمع ، ان يرى ، ان يلمس ، انيشم، ان يعانق ، ان يلقى بعيون مفتوحة ، وآذان مرهفة ، ان يستقبل ولا يدفن رأسه في الرمال ،ان يسال ويتلقى اجابة : اين ذهب بابنه ؟ ماذا فعل بأمرأته ؟ وبالاخرين؟ لكنه ما لبث ان عدل عن ذلك . لن يشتت جهده . لن يبعثر وقته بالاسئلة . سيركز اهتمامه كله في نفسه . لحظة اللقاء هذه علاقة ثنائية بحت ، ولا تقبل اطرافا اضافيين ، وليست بحاجة الى شهود . وسيعانيها في صمت مركز .

يدفع كرسيه الخشبي ، ويضعه في ركن الغرفه ، في مواجهة الباب ، والشباك المقفل عن يمينه . يغوص في مقعده مسترخيا ، عاقدا يديه تحت ذقنه ، مثبتا عينيه محملقا . ثم يجيل ببصره مدققا منقبا .. في السجادة على الارض ، في السقف ، في الحائط ،في الدولاب والمنضدة ، في المرآة ، على الاخص في المرآة المستديرة ذات الاطار المذهب . فيها يرى ما وراء ظهره ،حتى لو كان الحائط العاري، كما كان يرى في تلك المرآة وجهه . تلتقي على صفحتها عيناه بعينيه، وكثيرا ما تأمل فيها التجاعيد الغائرة على جبينه ووجنتيه الضامرتين، وحول عنقه . ان المرآة بالنسبة له سلاح فعال في معركته المقبلة ، واداة يعول عليها الكثير في مواجهة تلك اللحظة واستيعابها . يتابع نفسه في المرآة ، فهناك احتمال ان يحط عليه غريمه دون ان يجتاز الحجرة . عندئذ ، عليه كي يراه ان يرى نفسه . وبمتابعة هيئته في المرآة سيتابع اللقاء المرتقب لحظة لحظة . سوف تكون رهيبة وفريدة وممتعة معا . قد لا يأتي العدو من خارجه . قد لا يفتح نافذة او يقرع بابا او يذرع غرفا ، قد يقفزمنداخله ، فاذا لم يعمل حسابا حتى لذلك ، فقد تفوت عليه الفرصة .

أعد كل الترتيبات في غرفته ، قاس كل شبر منها ، واعاد تنسيق كل شيء فيها ، اسقط كل ما علق على الحوائط ويمكن الاختفاء وراءه او في ثناياه . اتخذ انسب المواقع لسريره وكرسيه . وبث في الارجاء كل ما يمكن ان يكون اجهزة استقبال وتحذير . اصبحت الغرفة رقعة شطرنج صفت عليها القطع بحساب وروية .. هذه الغرفة الصغيرة المحدودة ستشهد انتصاره الصامت المتواضع الخاص جدا ، المهول.. انتصاره الكبير الاول ، وربما الاخير ايضا .

يفكر في كل ذلك . ينظم كل شيء ، دون ان يشرك احدا في خططه . يتوخى الكتمان ، كما لو كان يخشى ان يتسرب سره الى عدوه . كان يطلب من ام نوال عندما تجيء لتنظيف الشقة ، مرتين في الاسبوع ، ان تدفع الكنبة الى جوار الحائط المقابل ، او ترفع

كرسيا من مكانه ، او تخرج دولابا الى الردهة ،او تحضر من الغرفة الاخرى وسادة او مشجبا .. ولكن دون ان يقول لها لماذا يفعل ذلك. تتذمر احيانا اذا تكرر نقل ذات الشيء من مكان الى مكان ،وتضحك احيانا اخرى ، لكنه كان يلزم الصمت والكتمان في كل الاحوال ،فهو يعرف ان السرية لازمة لدحر اي عدو ، فما بالك بعدو من صنفعدوه، وفي معركة مثل معركته .

لم يرض صفوان للقائه المرتقب بغير قطه رفيقا . فهو ليس انسانا ثرثارا متخاذلا وهو حاد السمع ثاقب البصر ،يسمع قبل سواه اي حفيف أو دبة في البيت ، ويلمح في الظلمة ما لا يلمحه غيره . وكم يعجب صفوان به وهو يرفع رقبته من رقاده وتنتصب اذناه ويحدق بعيدا ، كما لو كان يرى وافدا هناك ، ربما خلف الحائط او ربما يصعد السلم ملتصقا بالجدار او متسترا بالظلال ، ويبقى متوثب العنق متحفزا .. وربما زاد من استعداده للمواجهة فأقعى .. ويمضي يتشمم الهواء ، فاذا ما وثق ان الوافد الخفي قد ابتعد ،وزال وجوده ، من البيت ، عاد فتمدد عند قدمي سيده ، وأسند ذقنه الى ساقيه القطيفيتين السوداوين وعاد الى طمأنينته . وقد اعتبره صفوان ايضا واحدا من أجهزة الاستقبال ، وعول عليه كثيرا ، فهو في نقوش الفراعنة يمسك برأس الافعى رمز الظلام . هاتان العينان المستديرتان الصفراوان الخضراوان المشقوقتان طوليا تريان ما لا يمكن لامرىء أن يراه .تلك الاذنان المخروطيتان تتحركان فتلتقطان حتى ما لا يسمع من همس او دبيب . ذلك الخيشوم المثلث الشكل الوردي اللون الحساس يتشمم الهواء في المنور وبئر السلم . ثم ان تلك الرشاقة وليونة الحركة يجب ان يعمل لها حساب ايضا فهو في لمح البصر وببضع قفزات محكمة يكون عند الباب اذا مسته يد بأوهى دقة ، او في الردهة اذا اهتزت على الارض قصاصة او تحرك على الحائط ظل ، او في المطبخ اذا وفدت منه خشخشة ـ ان ميو واثق من نفسه معتز بقدراته . حارس وفيّ هو، ورفيق يعتمد عليه في تلك اللحظة التي قد تكون حافلة .

بعض الناس يفضلون الكلب وينعمون بصحبته في البيوت . لكن صفوان كان اميل الى ميو . فمنذ اليوم الذي قرأ فيه كيف افترست كلاب الآلهة ارتيميس الخمسون راعي الاغنام المسكين الصبي اكتيون ، وكيف مزقته اربا اربا لمجرد انه رأى سيدتها تستحم عارية في غدير بين احضان جبال كيثيرون بارض اليونان ، وهو يكره الكلاب ويخشاها . يقشعر لتصورها وقد انشبت مخالبها في لحمه وغرست انيابها في بطنه . كيف قفزت على كتفيه واصم نباحها اذنيه وهو يطوح بذراعيه يمنة ويسرة دفاعا عن نفسه عبثا، وطالما انه ليس الها ، فلا بد انه اذا جاءت اللحظة فان الكلب قد ينقلب عليه باشارة من الامير القادم المخيف ، فيفتك به ، اما القط فهو ماكر خبيث رابط الجأش لا يُلعبُ به ولا يُشترَى بسهولة .

الامر الذي يقلقه اكثر من غيره هو فجائية الموت . كان يخشى ان يباغته ، ان يأتي في لحظة لا يتوقعه فيها ، فلا يكون مستعدا لملاقاته ، وعندئذ ربما فسدت خططه ، او على الاقل ، لن تتاح له الفرصة لمعاينة التجربة كلها بالحضور والتيقظ المرجوين .

ومضى يفكر . تساءل كيف سيأتي ؟ في اية صورة سيأتي ؟ كضربة على الرأس ،ام كطعنة خنجر ؟ من الامام ؟ من الخلف ؟ كسيخ يستقر في الجنب ، ام كصخرة تهوي من حالق وتدك العظم ؟ او ربما جاء في هيئة وحش ينقض ، او لعل الارض تنشق عند موطىء القدمين وتبتلع .. او ربما تطبق على العنق اصابع قوية تضغط وتضغط ، او حبل ينعقد وينغرس ، يضيق الخناق حتى يزرق الوجه وتجحظ العينان ويتدلى اللسان من الفم . ام انه لا هذا ولا ذاك . أهو بتر ، ام سحق ، ام اجتثاث ، أم انجراف ،ام ابتلاع ؟ ام اعصار ، ام ماذا ؟

أهو نار تحرق ، أم برد يُجمِّد ؟ دفعة الى الوراء وسقوط في هاوية؟ ايكون لهبا ، ام شظايا ، ام تنينا ،ام سيلا ، ام شلالا هادرا وموجا متلاطما ؟ هل سينقض نسر يخطف روحه ، ام ستنفتح تحت قدميه بئر يهوي الى قرارها ؟ هل سينتصب امامه سلم يصعد درجاته الى السماء أو يُدفع به نزولا الى جب سحيق رطب تجري فيه الحشرات والجرذان من حوله ؟ أهو يم ينشق ويبتلع ؟ أهو حجر ثقيل يجذب الى اسفل ، الى أسفل ؟ اهو مخلب ينشب في اللحم ؟ اهو شمس تغرب ام هو يوم يشرق ؟ أهو اعصار ؟ اهو حوت يبتلع ، ام افعى تلدغ ؟ اهو دوي يصم الآذان ، ام هو فحيح يجمد الدم في الابدان؟ أهو موج يغمر ، ام رمل يزحف ؟ اهو جبل صاعد ، ام جرف هاو ؟ أهو ظلام دامس ، أم ضوء باهر يعمي البصر . أم هو ضباب يعتم الرؤية ؟ أهو هذا ،أم هو ليس كذلك ؟ ام هو هذا وذاك معا ؟ كل هذا معا ! مهما كان الامر ، فالايام تمر ، وسيعرف لنفسه وبنفسه ما هو الموت حقا . أهو هيكل عظمي يمسك سيفا او رمحا، ام هو قريب حبيب ممن سبقوه الى الهوة ؟ وجه عمته مريم النبيل، وملامحها الفارعة ، وابتسامتها الحنون ، مثلا ؟ ربت على رأس قطه الرابض في حجره ، فهو يعرف كل شق في الحوائط ، وكل جحر . يعرف كل ما خفي عن العيان ودق ، لهذا فهو يطمئن اليه ويثق به .

انه ابن هذه الارض العتيد .. ميو .. هذا اسمه منذ قديم . فقد استؤنس منذ الاسرة الحادية عشرة .. ومن مصر انتقل عبر اليونان الى اوروبا .فهو اذن ابن بلد حقيقي.. لقبت النساء باسمه ولبسن فراءه .. من اجل هذا الفراء كان يُصاد في البراري التي عاش فيها . وفي مقابر البداري وجدت بقايا الجثث ملفوفة بفرائه الثمين .

انه يصاحب سيده الى دورة المياه وفي جولاته الداخلية المحدودة. يرقد تحت مقعده اذا جلس .. يبسط مخالبه ويخمش بها رجل الكرسي او طرف عباءة سيدة . ثم يقفز الى حجره للملاطفة . وقد كان للحكيم كونفوشيوس ، على ما يبدو ، أيضا قط مثل ميو .

قل نوم صفوان . صار اغفاءة . يستيقظ بعدها متنبه الحواس مفتح العينين يقظ الجوارح ، مترقبا ، كما لو لم يكن قد نام قط . يقول لنفسه : النوم عادة في اغلب الاحيان ويمكن مقاومتها والتغلب عليها ، فالجسد لا يحتاج الا الى كفايته ، أو الى اقل من كفايته بقليل . اذا داعب الكرى جفنيه قاومه . واذا ثقلا رفض ان يطبقهما . انها جولته الاخيرة ، ولئن كان قد خسر كل جولاته السابقة ، فانه تكفيه هذه الجولة الحاسمة ، لو ربحها لربح ـ كل شيء . لا يهم كل ما فات . لا يهم . كل ما ضاع يُسترد ، بضربة واحدة يُسترد ، كل ما راح من اليد يعود ، ويعود اضعافا مضاعفة . وما دام قد حقق انتصاره هنا ، في هذا الركن الهادىء الصغير على مشارف الصحراء فقد حققه اينما كان في هذا الوجود .. في بعض اللحظات يهزمه سلطان النوم تماما ، لكن عزاءه في تلك اللحظات ان قطه الامين قابع عند قدميه ، على اهبة الاستعداد لايقاظه بموائه ، اذا لاحت بادرة على اقتراب العدو ،وعندئذ سوف يهب متسع الحدقتين ، متيقظ الحواس كلها .

كانت جدته تخاف البقاء وحدها في البيت ، لا لانها كانت جبانة او متخاذلة ، فهذه الريفية الخشنة ابنة الارض والطبيعة العارمة، وقد مرت في حياتها السابقة بكثير من الشدائد رابطة الجأش .لكنها كانت ـ دون ان تقول ـ تخشى البقاء وحدها في البيت عندما كبرت وتقدم بها العمر ، فقد كانت تتفادى الالتقاء باللامسمى دون ان يكون ثمة من هو الى جوارها . لهذا كانت ، عندما تتأهب ابنتها وزوجها للخروج ، اول من يرتدي ثيابه ، وتنتظرهما في الصالة ، متأبطة حقيبة يدها السوداء ، بجوار الباب ، حتى تخرج معهما ، بل وتخطو الى عتبة الباب قبلهما ، كي لا تبقى وحيدة بين جدران البيت التي

قد نحنويها مع المجهول .

عندما يفكر صفوان في حياته ويستعيد ايامه ينتابه احساس بانه انما كان يصطاد في بحر لا سمك فيه .. كان يلقي بسنارته وقد سمن فيها الطعم .. وعندما يخرجها لم يكن بها سمك .. ولكن ايضا لم يكن للطعم وجود .. كان يذوب .. يتبدد .. يتلاشى .. دون ان يصل الى شيء .. ولم يكن هذا الطعم بالامر الهين .. بل كان يكلفه ايامه كلها .. وهل كان لديه غيرها ؟ واذا استغرق في تاملاته استبد به تساؤل لم يكن يجد له اجابة شافية .. كانت البوادر كلها توحي لحظة بعد لحظة بان ذلك البحر مليء بالسمك .. كانت الفقاعات الصاعدة من جوف اللجة تومىء الى ان ثمة ما يتنفس هناك تحت السطح . ولكن دائما كانت السنارة تخرج الى الهواء تهتز وتتارجح خالية حتى من الطعم .. الذي ضاع .. كل مرة كان الطعم يضيع .. لكن هناك في اعماق الصدر .. في مكان ما تحت الضلوع .. هاتفا لا يهدأ .. ولا يفتر .. ربما في المرة القادمة .. ستلمع السمكة وهي تتلوى فضية في الهواء .. وسيمد يده ويمسك بها ويشعر بانتفاضتها في قبضته ثم يقتلع النص من فمها برفق قدر الامكان .. ليضعها في السلة .. وستتلوها .. سمكة .. واخرى واخرى .. تلمع .. وتتلوى .. ثم تمتلىء بها السلة . لم يكن يالو جهدا في الحصول على افضل طعم .. حتى يكون حظه في الغد افضل .. ولم يكن يتردد في الخروج مهما كان الجو باردا والفجر لم يكن قد زحف على الوجود النائم بعد .. ذات مرة ... مرة واحدة فحسب .. اخرجت سنارته سمكة صغيرة منتفخة سمراء مختلطة بخضرة قاتمة ربما من كثرة احتكاكها بطحالب القاع .. فرح بها برهة .. لكن الى جواره كان يقف صبي ربما كان ابنا لاحد الصيادين .. قال له : « ياه ، انها جعيرة .. لا فائدة منها .. الافضل ان ترميها من حيث طلعت .. » فتأملها ودقق النظر فيها .. واستوقفه على الاخص عيناها الجاحظتان .. لا يدري لماذا صدق ذلك الصبي .. فطوح بالجعيرة بعيدا الى البحر من جديد .

« تعبنا طوال الليل ولم نصطد شيئا » كان هذا هو الماضي.. ما وراءه .. لكن كل هذا ما عاد يعنيه الان .. انه ينتظر اللحظة الحاسمة .. الصيد الكبير .. واي صيد اكبر من اثبات ذاته .. انه سيفوق كل الاخرين الذين كانت حياتهم مكاسب وانتصارات .. لانه .. لانه ماذا ؟ هل حقا .. سيلتقي به .. ويقتنصه .. قبل ان يغرق قاربه .. ويغوص الى القاع المظلم ؟ ذلك القاع المظلم لا يعنيه.. سواء كان قاعا او لم يكن .. مظلما او مضيئا .. ما بعد تلك اللحظة هو خارج حساباته وتوقعاته .. عندما تتوقف الحواس .. بعد ان تتوقف الحواس .. لا يعنيه الامر .. فهو يعرف انه عندئذ قد انتقل الى نطاق المستحيل .. اما تلك اللحظة المرتقبة .. فهي لا زالت في حيز الممكن .. صحيح انه الممكن صعب المنال .. ولكن على اي حال .. لا يعتقد انه متعذر المنال .. فهو انما يعتقد ان الامر لا يحتاج الا الى احسان استخدام تلك الحواس .. رباطة الجاش .. التحديق في الوجه مباشرة وعدم الاشاحة مهما كان الامر .. ولا شيء غير ذلك .. انه يكاد يعرف انه ليس له سوى هذه اللحظات .. وعلى الاخص اللحظة الاخيرة يجب ان تكون له كلها .. كلها له .

كلما سأل صفوان عن الامر في شبابه ،قيل له ليس في مقدورك، ولا في مقدور احد ان يعرف . كان لا يرتضي هذه الاجابة ، ولا يقنع بها ، بل يتمرد عليها كثيرا . يشد من ازره كل نبا تطلع به الصحف عن تقدم علمي او اماطة للثام عن خبيئة من خبايا الطبيعة . فكان يحدث نفسه قائلا « ما من خلاص للانسان سوى العلم » ثم يقول لنفسه متحسرا « لكنني لست من العلماء في شيء » . ثم يستطرد قائلا لنفسه ايضا ـ فقد كان يخجل من ان يجاهر بذلك ـ

« ولكن من هو العالم الحقيقي ؟ أهو من حشا عقله بالكثير من المعلومات ؟ أهو من حصل على الشهادات تلو الشهادات ؟ كلا ، انه من يرفض ما ليس عليه اثبات ، ويضبط سلوكه على الملاحظة والتأمل ، فلماذا لا يكون عالما بالروح ،ما دام ليس عالما بالفعل ؟ « العلم تجربة انسانية يواجه صاحبها ما في الوجود من غموض ليفضه ، لا يأخذ شيئا على علاته ، وبشغف يعانق حتى عدوه . وهو اذ يفعل لا يسأل ما الجدوى من ان يعرف .. انه يعرف لذات المعرفة فحسب . كان يقول لنفسه مشجعا الان ، هناك ، عاليا ، عاليا ، ربما كان رائدا يجوب الفضاء ، يطوف النجوم ، بلا وجل أو تردد ، فلماذا لا يشاركه المغامرة ، من كرسيه هذا ، ومن غرفته لانه يبتسم ويقول لنفسه « البعض يموت على خشبة المسرح ، والبعض يموت في مقاعد المتفرجين » .

كانوا يقولون له الحواس عقبة ، والحكمة والحقيقة والكرامة الانسانية انما تتأتى من تعدي الحواس ، من قهرها وعدم الخضوع لسلطانها . كان يقول لنفسه . بل بالحواس ندرك الملموس .. وغير الملموس ايضا . فالاطياف مثلا بعض الناس يعاينونها ، ومن الناس من يلتقط الهواتف ايضا . والصواب ان الحواس بحاجة الى ان تدرب فاذا ما بلغت اقصى درجات التدريب فانها تستحوذ على الكثير مما يغيب عن الاخرين . وبالتركيز والاستغراق ، بالخضوع للحواس والغوص فيها حتى الاعماق ،تتحقق المعجزات الصغيرة ، تلك التي يسميها البعض استخفافا بالمصادفات او الخدع الصغيرة .وليس التعرف على كنه الموت بالمعجزة المستحيلة لانه تجربة مألوفة وفي متناول اليد كل يوم ، لكن ما في الامر ان الاصابع بدلا من ان تطبق عليه ، ترتخي وتدع الحقيقة الباهرة تفلت مثل حفنة من الرمال .

تلك اللحظة سيستحوذ عليها ، ستكون له ، له وحده ، سيقتنصها كلها بحواسه . حقا ، هو يعرف انه عندما ستنطفىء حواسه ، عندما سيطبق عدوه ويشدد قبضته على عنقه لن يكون حتى لحواسه وجود ، بل سيكون وجوده الماضي كأنه لم يوجد قط . فبعد ذلك تأتي الغيبوبة الطويلة الابدية ، ولا يأمل ان تتيح له تلك الغيبوبة ان يعرف شيئا . انما الفرصة الوحيدة العزيزة الغالية ، فرصته هي تلك اللحظة الانتقالية بين الحياة واللاحياة .. وهو لا يعول الا على لحظة الانتقال .. قبل ان ينهمر الطين ويهال التراب ويطمس كل شيء .. ان الشيء المؤكد بالنسبة له .. الشيء الذي يتوق اليه .. لا كمجرد امنية بل كهدف يسعى اليه ، هو ان يقتنص في لحظة حواسه الاخيرة ـ يقتنص غريمه ، يمسك بتلابيبه ، ويطوقه بذراعيه ، حتى لا يفلت منه .. يريد ان يعيش التجربة الى اخر رمق .. وستكون هذه معرفته القصوى والاخيرة .. التي ستجعل لكل حياته الخاوية معنى ومضمونا .. انه يمضي مثل دودة القز الى الشرنقة .. ينسج خيوطها حوله عن طيب خاطر .. حتى تغطيه ، وتعزله ، وتكتم انفاسه . وهو الان انما يفرز الخيوط من حوله .. لتنغلق عليه .. ويجتمع بغريمه ـ بغريمه المتلهف اليه ـ داخل الشرنقة .. انه ينتظره لحظة تسلله . وهو له بالمرصاد .. وربما كان كل حماسه للحياة في هذه اللحظات لا للحياة ذاتها ، بل للمتعة الكبرى ، للكشف الاكبر ، للمغامرة الكبرى .. للفوز بما لم يفز به غيره .. ربما .. بل وما الذي يعنيه غيره في هذا المقام ؟ لا يريد صفوان سوى التجربة المباشرة .. اليقين .. ولا يقنع بغير ذلك بديلا .. مهما كلفه الامر من ثمن .. واي ثمن يضاهي لحظة التنوير العظيمة المهولة ، لحظة ان يعرف بنفسه ولنفسه ، الى ما تسير الحياة ؟ ان العمل في الواقع كثير والفاعل مستحق اجرته . عديدون غيره من الجهابذة افنوا الساعات الطوال في حذق النظريات البليغة والافتراضات حول هذه اللحظة ، لكنهم داروا حول تلك اللحظة فحسب ، من الخارج دائما ، سطحيون دائما ، اما هو فربما .. مثل دودة القز .. ربما .. من يدري ؟.

مـن يدري ؟! هو بالقطع يدري ، فالمستقبل من صنع تطلعات الحاضر الطموح والمتأججة بالحماس ، ومـا من احد يتأجج حماسا مثلـه .. ويمكنه ان يقول لذلك بانـه اكثر تدينا من كل اولئك المتدينين الذيـن يطمعـون في ثـواب الاخرة ، او يدرأون عـن انفسهم عذابها فحسب . انه لا يخشى شيئا ، لا يطمع في شيء ، انه حر .

أبعد الامور عن الظـن قد تكـون اقربهـا الى الوقوع . صدئت المفاصل فلم يسرع صفـوان الى تزييتها ، اصبح يعول كثيرا على صرير الباب اذا ما ُفتح ، فهذا الصوت في هدأة الليـل كفيل بالتنبيـه الى اي وافد غريب ، متلصصا جاء او متسترا تحـت جنح الظلام . سيضغط صفـوان عندئذ على زر النور ، فتضيء الغرفـة بالنـــور الساطع ، ويرى الصديق المنتظـر وجها لوجه . وفي الضـوء الباهر الذي يهتك الاسرار ويفضح الغوامض والخفايا ، كـان موقنا انه سينال مأربه ، ويتوصل الى ما لـم يتوصل اليـه انسان اخر من قبل . ويا له من فتح او اكتشاف سيكـون هذا ! اعظم الاسرار سيفضه ، حتـى لو احتفظ به لنفسه ، فسيكـون ذلك النصر قمة حياته ، والغـرض الاصلي من وجوده واستمراره . انهـا لعبة تستحق كل مـا يكرس لها من فكر وانتباه . ويقصي عـن كاهله في سبيلهـا كل انشغـالاتاخرى.

ولانه لا يريد التجربة الا لنفسه ، لا يريدهـا الا في ملاءتها وكـل حرارتهـا ، فهـو لا يمسك ورقـا ولا قلمـا .. بل يهيء وجدانه وذهنه بل وحواسه على الاخص ، للاستقبال والتلقي .. لا يدّون شيئا ... يريـد ان يرشف الكاس حتى الثمالة ، ثم فليقع بعـد ذلك على الارض ويتكسر . ليضج الوجـود حطاما .. وليتطاير ذرات ذرات . فلن يعنيه مـن الظواهـر شيئا .. سيصبح اثرا بعد عين .. فليصبح .. ومـاذا يعنيه ذلك ؟ الن يكون محورا ، قطبا ، جسما موصلا .. وسيطا .. نجمـــا ؟!

سمع ان بعض الجامعات الاجنبية اخذت تهتم برصد الظواهــر العابرة والظواهر غير المبررة وغير المفهومة ، تمهيدا للتوصل الـــى القواعـد التي تحكمهـا .. مجرد احتمـال ضعيف ان يكون للمصادفة البحت ، مثل توارد الخواطـر ، قانـون يضبطها .. يتوق ان يعمل باحدى هذه الجامعـات في قسم من الاقسام المكرسة لاستقصاء هـــذه المصادفات والاحتمالات . واذا كـان غير حاصل على درجات جامعية في مثل هذه الامور ، الا ان الاسهام فيهـا لا يحتاج في نظره الىشهادة بل الى حدس من نوع معين ، وارهاف للحواس ، وصبر لا حدود لـه في انتظـار اللحظـة المواتية .. ان الوهج البراق الذي يلمع في لمـح البصر ، وينطفيء ايضـا في لمح البصر لا تلتقطه سوى عدسات انسان من نوع خاص ، وهو انسـان من هذا النوع ، وقد مضى يدرب نفسـه لمثل هذه المهام . ولم يبـق الا انتظار الضيف المفضال . وهـو لـــن يتاخـر الان .

ثمة صوت يهمس الى صفوان بان ما يجري من حوله لا يمكـن ان يكـون نهايـة بذاتها ولذاتها .. كل هذه التجهيزات انمـا هي فـي الحقيقة لبدايـة الرحلة . ربمـا خلال ضباب كثيف .. ان النهاية التي تعطي لكل شيء منطقا ومعنى ، تقترب .. تكـاد تلوح لـه .. عندمـــا كـان صبيا كـان يمد يـده في زكيبة بائع البخت الواقف عنـد بـاب مدرسـة العطاريـن الابتدائية . اصابعه تسعى في الفراغ المظلم داخل الجعبة متلهفة متخبطة بحثا عن ورقة مطوية .. لا يعرف ماذا بداخلها .. ربمـا غويشة، ملبّسة ، مبراة ، او غير ذلك من اشياء تافهـة .. لكـن اصابعه بل ووجوده كله ، يسعى ايضا هذه المرة باحثـا عـنورقة مطويـة ، لـن يكـون ما بداخلهـا شيئا تافها ، او هكذا لا بد ان يكون الامر ، بـل شيء خطيـر مطوي عليه .. هو السر الذي سيضـع كـل الحقائق الجزئيـة في نصابهـا الصحيح .. هو الطلسم الذي يضبـط ايقاع كل شـيء ..

هل التقى صفوان بالموت قبل ذلك ؟ يذكر عندمـا كـان صغيـرا .. في العاشرة من عمره .. كاد يغرق في النيل يوم شم النسيم .. كـان يلعب على الحافـة الطينية .. رأى على مبعدة في الماء اباه وصحبة من رفاقه .. خطا بضع خطوات .. وبعد ذلك وجد نفسه يهبط فـــي اللجـة .. يهبط .. الالوان من حوله سهام متـوحشة .. لم يحس بالخوف آنذاك .. بل انتابه استسلام مهول .. وهو يغوص .. الـــى القاع .. ولكنه في الحقيقة انمـا كـان في طريقه الى الالتقاء بلحظـة الموت الحاسمة ، هو كـان يقترب منها فحسب .. واذا بيد قويـــة تنتزعه مـن شعره وترفعه الى اعلى .. وتخرجه من الماء .. ولم تكـن انفاسه قد اختنقت .. ولم يكـن قـد بدا يضيق عليه الخناق عذاب الغرق ، ويقال انه اصعب انواع الموت .

جال صفوان ببصره في ارجاء غرفته يستعرض استعداداتـــــه واستحكامـاته ويطمئن الى كمـائنه ومصائده واجهزة انذاره وتنبيهه الى كل همسة مهمـا خفتت والى كل خطوة مهمـا خف وقعها . ثم مال يربت على ظهـر قطه الوفي الحريص .. بدائيـة هي استحكاماته ومصايده ؟ صحيح هذا ، ولكـن يجب ان نحارب بكل سلاح .. فقد لا يصلح مدفع رشاش بيـن يدي جندي غشيـم فيقتل العدو ، بينمـا يكفي لذلــك خنجر مسنون احسن استعماله ، فالانسان لا يحارب بامضى الاسلحة لزاما ، بل بمـا بيـن يديه من اسلحة ولو كانت اقل كفاءة مما يرجوه . وسيستفيـد صفـوان بكـل امكانات سلاحه المتواضع ، وهو موقن بانه ليس متواضعـا ،بل انـه صالح كثيرا لالتقاط المصادفة .. ها هـو جهاز التسجيل ، ها هـو مكبـر الصوت ، ها هي ازرار الاضاءة .

ثم جاءت الساعات الصعبة . ثقلت الانفاس ، واصبحت اكثــر عناء . الدمـاغ خاويـة ، والدوار يقفز الى الراس بمجرد الوقوف على القدميـن . صار الاستنـاد الى العصا ضروريا الان ، والسير علـى ثلاث حال كل يوم .. والنبضات تسرع ويصحبها اللهاث . تضع امنوال خلف ظهره وسائد كثيرة حتى يسهل عليه التنفس . كره السرير . لاذ بكرسيه . يمضي الليل مسمر العينيـن على زجاج النافذة . يتـرك الشيش مفتوحـا حتى ينكسب الى الغرفـة ضوء الفجـر مـا ان تبزغ الشمس كل صباح . أمـا الزجاج فمحكم الاغلاق على الدوام حتـى لا تتسرب الرطوبة الى المفاصل الموجوعة . لم يعـد الرجل العجوز يفتح فمه . وانصرف بكل جوارحه للوافـد المنتظـر . وكلمـا تضاءلت قـواه كلما زادت يقظته وانتباهه الى ما حوله . كما زادت الفته بالصديـق ايضا . تمنى فقط ان تكون حواسه كمـا كانت فيمـا مضى ، عندمـا كـان يرتقي شوارع كوم الدكـة الصاعدة الهابطة ويمشي على قدميه في اصبحـة الشتاء المشمسة من محرم بك الى سيدي جابر متلقيـا هواء البحـر على وجهه ورئتيه . من هـو الحكيم الذي بدأ حياته من حيـث تنتهي حياة الاخريـن ، الذي ولد اشيب الشعـر .. عجوزا .. من ذلك الحكيم ؟ من هـو ؟! مـا عاد يذكـر .. كل شيء انطفا .. شعـر كمـا لو كـان ممسكـا بـه بيـن فكي كماشـة فولاذية، فلا يستطيـع حراكا .. للمرة الاخيرة يريـد ان يصمد .. يرفـع جذعـه الان بعناء ينجح في الوقوف على ساقيه بصعوبة بالغة وفي السيـر خطـوة او خطوتين ، وكذلك ذراعيه يحركهمـا بمشقة ، كل شيء بمشقة . شيء واحـد لم ينطفيء .. اليقيـن والرغبة العارمة في لحظة اللقاء . الذا لم يمت قبل ذلك عندمـا كان وعيه اصفى واشد ؟ اهذه من الاعيـب الصديق اللدود ايضا ؟ ان يضعفك ، حتى اذا مـا جاءك وجدك وقـد غلبك التعب وهدّك ، فلا تكـون بقادر ان تتنبه اليه ؟ هل ياتي كلصفي جنح الليل ، متسللا ؟ يعيـد العجوز التامل في الامر تبعـا للظروف التي يجـد نفسه قـد انجرف اليها ، لكـن الشيء الذي لا يتزعزع هو الرغبة العارمة في اعماقه ان يصمـد .. عارفـا ان الصديق الوافد المنتظر هو الذي يطـرد عـن الحياة كل مـا تكتسي به من عبث وسخف .. انه اذن صديق حقا .. ولا يجب ان يقابل باستكانة وبلادة .. علـى

أنه يجب ايضـا الا يبلـغ بالمرء الغباء مبلغـا فينخدع او يخدع نفسه به .. ربمـا كان الشيء الوحيد الذي يجب ان يتقابل به .. الشيء الوحيـد الذي لا يجده فينـا غاليا .. كبرياء يتشبث بهـا .. ان ننظـر اليه بعيون مفتوحـة .. مهمـا كـان منظره بشعـا قاتمـا .. ولكن من يدري ما مظهره .. طالـما نفضل ان نغمض العيـون ونصـم الآذان .. ونكز الاسنان ؟. ليس يموت الانسان بالصراخ والهلع فحسب، بل بالبشاشـة والتفتح ايضـا يمكـن ان يموت .. الامر يجب ان يحمل محمل الجد .. وقد كـان هو جادا مهمومـا كل ايامه السابقة .. فمـا كـان يعتقـد ان كل مـا يجري من حوله سريعـا كدوامة ، بطيئاراكدأ كمستنقع خاتمة المطاف ..

حاول ان يرفع يده ، ان يحرك ساقه ، ان ينهض .. ان يعلـو صوته بالصـراخ .. لم يبق له شيء .. انكمش الوجود كله .. وتضاءل حتى صار بذرة .. بقعـة صغيرة مـن الضوء الباهت على السقف . مـا عاد يرى شيئا آخر . تسمر يحدق في تلك البقعة من الضوء عـلى السقف .. حتى لمعت عيناه . ما عادتا تطرفان . صارتا كقطعتين مـن الزجاج البارد جاحظتين في مقلتيه .. دبت البرودة سرت في كل شيء .. الوجود يغرق .. يغرق .

لم يدق الباب سائل عن العجوز الوحيد . لم تمتد يد لتسـدل الجفنيـن على العينيـن المحملقتيـن في السقف بثبات .. اللتيـن ظلتـا تحملقـان في السقف بثبات اياما واياما . وحتى مبـو لـم يتلق من سيده الحبيب اجابة على موائه المتكرر في استجداء .. لـم تربت يـد على ظهره ورأسه لم يداعب اذنيه او يحك ذقنه احد .. خلا الصحن من اللبـن .. ونضب الماء في الانيـة وفي الحوض ايضا .. ولم يعـد في البيت المهجور ما يشبع لدغات الجوع في البطـن الضامر المكسو بالفراء الاسود اللامع . جال الحيوان الاليف حول سيـده الراقد مستفسرا . تمسح في قدميه تحت الغطاء ،بل في جسده كله . لعـق جبينه وخديه .. فلم تستجب الجثة السمجاة لتوسلات المخلوق الاليف الذي مضت عضات الجوع تنهش احشاءه . جال القط في ارجاء الشقة عله يجـد منفذا يفلت منه الى الخارج.. خبش باب القبر بمخالبه .. قفز الى النوافذ .. كل المنافذ مسدودة .. زاد مواؤه عذابا .. القبر محكم الاطباق عليه .. عـاد الى سيـده يتشممه ويتشممه .. يبتعـد عنه ثم يعـود فيقتـرب .

كان ابن أم نوال قد استدعي للخدمة العسكرية فشغلت بـه وانشغلت عـن مخدومهـا اياما . صعدت السلم وطرقت الباب .. لم يجبهـا من الداخل احد . زادت الطرق دون اجابة .. توجست خيفة واخذ الشك باكلهـا . نادت على سيدهـا ولا اجابة . دعته ان يفتح.. سألته ما به .. لا اجابة .. التفتت تطرق باب الشقة المجـاورة .. رأت التراب المتراكم عليهـا .. تذكرت ان المدرس وأسرته رحلوا الـى الكويت فـي اعارة .. هرولت نازلة الى الدور السفلي . عادت ومعها بعض الجيران .. عاودوا الدق .. ثم تحفزوا لكسر باب الشقة .. فقد تيقنوا ان العجوز قد اصابه مكروه ..

انكسر الباب . اندفعت ام نوال الى الغرفة .. القط الحبيب.. تقوس ظهره .. ونفر شعره .. واندس ذيله بين ساقيه الخلفيتين. كشر عن انيابه .. اندفع يموء مواء شرسا .. كأنه يدافع عن سيده .. يحذر من الاقتراب او المساس به .. انه سيده هو ، وصاحبه هو وحده .. استطاعت العيـون ان تفلت من سحـر العينيـن الصفراويـن المستديرتين وتنحرف .. جثة صفـوان منهوشة البطن والعنق ..انطلقت الصرخات والصيحات .. خطف النسوة صغارهـن في احضانهـن ،ولذن بالفرار .. التصقت ام نوال بالحائط تغالب الدوار .. وقـد امتلأت نظراتهـا بالرعب لمرأى سيدها والقط الذي اصابه السعار وسال مـن انيابـه اللعاب .. لم تستطع المرأة ان تذرف دمعـة وداع على سيدها ، ولا حتى ان تندبه بكلمـة طيبة . جف حلقها ،بحصوتها ، ونضبـت مقلتاها . رائحـة الجيفـة اصابتها بالغثيان. رمقها القط الحبيـب بنظرات عدوانية ضاريـة لـم تخل من الخوف والتوجس .. عينـاه مثل بركانين ملتهبيـن بنار مستعرة في احشائه .. ثم مرق بجوارهـاالى الباب خارجا .. كان ضخمـا مثل جبل أسود غطت تربته شجيـرات حسك وشوك متشابكـة الاغصان .. وبخطوات خرساء متلاحقة مضـى ينزل درجات السلم . وما ان اختفى من امامها عجزه وساقاه الخلفيتان وذيلـه الذي بدا كعصـا سوداء غرست فيهـا مسامير مدببة غزيرة .. حتى هرولت بدورهـا خارجة ، تبحث عـن اول شرطي تبلغ ان سيدها مات .. انسانا مات .. حدث صغير واجراءات .. تاركـة وراءهـا الغرفة على ما هي عليه ، غارقة في الصمت والظلال المنعكسة عـلى قسمات صفوان التي تشوهت .

القاهـرة — نعيم عطية

دار الآداب تقدم :

رحيل المرافئ القديمة

مجموعـة قصص

غادة السمان

رؤى عجيبة لعالم واقعي واسطوري تحتل فيـه
ماساة الهزيمة الحزيرانية حجرالزاوية، بذلك الاسلوب
المتوتر واللغة الحية اللذين اصبحت فيهما غادة السمان
نسيج وحدها في القصة العربية القصيرة

صدر حديثا — ٤٠٠ ق . ل

دور تراثنا الثقافي في تنمية الثقافة العالمية المعاصرة

بقلم صلاح دهني

في الادب ، شعره ونثره ، في ناتج الذهن البحاثة الطلعة ، في الخط واللون في الموسيقا والرقص ، في الحجر الاصم انطقه الفنان ، ترى الفكر في توهجه والقلب في فصاحته ، الكلمات ، اللون ، النغم ، ادوات . لكل اداة ايد تفرع ، تمسك ، تقتل ، تداعب . والثقافة التي هي جماع الكلمات والالوان والانغام ، افتتان مستمر ، تحفظ مما قيل، فاض به القلب واعطى العقل ، ما كان يستحق ان يبقى . ولا تحفظ من انجازات الماضي سوى النزر الذي ارتأته جديرا بأن يعود المرء الى تأمله .

وثمة عدد قليل من الشعوب وعدد قليل من القرون ، يشكلان الميراث العالمي . وهناك حوالي ١٠ - ١٥ لغة كانت في أزمان متباعدة قد ألقت على سطح الارض ، كلا في صنف او نوع او لون ، تلك الومضات الخصيبة التي ما زلنا نقبس من وهجها ونتور بها اعيادنا .

تلك وقائع لا ريب فيها . وغاية الامر ان تلك التألقات لم تكن ابدا حكرا على امة او قارة او زمان ، فما برزت ثقافة الا بأخذها واستيحائها الثقافات الاخرى القريبة او البعيدة . ان الروعة المدهشة التي يفجؤنا بها ادب ما ، او فكر او فن ظهر هنا او هناك ، في يوم الناس هذا او في عهد سحيق مضى ، ترجع الى اسباب هشة ودقيقة ، بينة المعالم او وليدة الحظ والمصادفة حتى لتنبهر بها عقولنا . فلا الدم ، ولا الاقليم، ولا السلم ، ولا الحرب ، ولا السيطرة ، ولا الحرية ، ولا الغنى ، ولا التنوع ، ولا المعاهد ، ولا المؤسسات ، ولا المواقع ، ولا الازمنة ، ليست تفسر وحدها او مجتمعة تفجر العبقريات .

ويقولون لك : اذا كان لكل امة موروثاتها الثقافية ، فما تلك سوى مستحضرات بيتية يتعبدها المرء في كوخه ليخرجوا من هذا الى ما يروجون له من ان الثقافة العالمية المعاصرة وليدة العطاء الاوربي - الامريكي وحده . حتى ان المرء لا يستغرب حين يسمع ويقرأ الكثير عن الادعاء القائل ان عبقرية الثقافة العالمية تتنزل من خليط من نعمة اثينا وجلال روما ولا شيء غيرهما .

هكذا ، تحت قرع صولجانات العنجهية ، وجلجلة مواكب الخيلاء، تنغلق الابواب على النعيم الاوروبي ، ويضيع فضل الامم العريقة القديمة في آسيا وافريقيا على البناء الثقافي للعالم الحديث من الصين والهند وفارس ، الى اشور وفينيقيا والفراعنة ، حتى العطاء العربي .

غير ان المنصفين من الاوربيد انفسهم لا يذهبون في ذلك مذهب غلاة المنكرين الجاحدين . ونبدأ هنا بمقولة نصوغها على هذا النحو : ان اوروبا عندما تلقت الاديان من الشرق وتبنتها ، لم تتلق مواعظ وعبر مسطورة في كتب اذهلتها عن معتقداتها العتيقة الى درجة الايمان بها والتنكر لما عداها ، بل تلقت من خلالها كذلك جانبا من الميراث الثقافي والاجتماعي للشعوب التي ظهرت فيها الاديان .

ذلك كان المصدر الاول .

ويتصفح المنصفون تاريخ العالم ، فيقرون بأن التأثيرات الثقافية كانت في مد وجزر واخذ وعطاء ، وان النماء الثقافي لم يقتصر قط على امة من الامم او قارة من القارات . وانه يكفي ان ينظر المرء الى خريطة عالمنا في القرون الوسيطة ليرى كيف ان اوروبا التي كانت تعيش في الظلمات ، كانت تتلقى عن طريق الشعوب العربية في شمالي افريقيا وغربي آسيا الميراث الثقافي للعالم القديم بما في ذلك الاسهام العربي . وقد كان لذلك اعظم الاثر في ايقاظ الوعي عند الانسان الاوروبي ، وفي بعث ثقافة انسانية ، اثرت وما انفكت تؤثر حتى يومنا هذا ، لا في اوروبا وحدها بل في مجرى الثقافة العالمية كلها .

وفي هذا المجال يلاحظ ان الشرق سبق الغرب في ثقافته وحضارته وان حضارات الشرق عاشت اكثر من حضارة الغرب ، فالمصرية عاشت اكثر من اربعة الاف عام ، والصينية ٣٠٠٠ ، والفارسية ١٠٠٠ ، واليابانية ١٥٠٠ ، اما العربية فتدوم منذ حوالي ٧٠٠ سنة .

وكانت الحضارات الشرقية تستهدي المثل الخلقية وتسعى لتنظيم علاقات الجماعات والشعوب في السلام ، في حين تتجه الغربية نحو بلوغ المزيد من الرفاهية المادية .

كيف حصل هذا الاتصال ، فالتلاحم ، بين ثقافات شرقية متقدمة ، وثقافة غربية وليدة بدأت تتقدم بوتائر عالية في وقت ما ؟ كيف بلغت الثقافات الانسانية تلك المرحلة المدهشة حين تجمعت في سواق بدأت كلها تنصب في نهر الثقافة الاوروبية المتنامي ؟

لا يقوم ازدهار ثقافي من العدم ، كما لا تنمو زهرة وتتفتح في صحراء مجدبة ، لا معدى عن ان تأخذ كل ثقافة عن سابقاتها ، ثم تجري عملية التحويل التي تتناسب وعطاءها الذاتي .

في تلك المرحلة المبكرة من بدايات النهضة الاوروبية بدأت شعوب اوروبا عملية الامتصاص الكبرى من ثقافات الشعوب التي تقدمتها على دروب الحضارة . وشيئا فشيئا جعلت الافكار والنظريات والمذاهب الفلسفية والعطاءات الحضارية بمختلف اشكالها وصنوفها ، وبمختلف مصادرها الخارجية تنصهر في ذلك المجرى الداخلي المتحرك تحرك اندفاع

أحيانا كثيرة ، ثم تتحول بالتدريج الى جزء عضوي اصيل في الحركة الكلية للثقافة الاوروبية . بذلك اخذ الفكر الاوروبي يتكون ويكتسب طابعا مستقلا ومتميزا بما يتناسب والظروف الجديدة للشعوب الاوروبية التي تختلف بالطبع عن بيئات الثقافات الاسيوية الاقدم ، وبخاصة بعد ان اخترعت اوروبا المطبعة ، فانتقل العامل الثقافي من طور المؤثر الفردي المحدود الى طور المؤثر الجماعي ، اي من اريستوقراطية الفكر الى ديموقراطية المعرفة .

والتفاعل هنا لا يعني الانفعال فحسب . فما قد حدث من تفاعل وتيرة التطور في المرحلة التاريخية التي شهدت تكون الحضارة الاوروبية وتيرة جديدة من حيث سرعة الحركة وطابعها النوعي .

والتفاعل هنا لا يعني الانفعال وحسب . فما قد حدث من تفاعل الفكر الاوروبي في تلك المرحلة التاريخية مع تراث الفكر اليوناني والهندي والفارسي والعربي ، احدث بالفعل تغييرا نوعيا في اتجاهات الفكر الاوروبي ومد امامه افاقا جديدة واسعة وتطلعات فسيحة وضعت على طريق التطور الذاتي والابداع الخلاق . لقد اتخذت اوروبا من ثقافات الشعوب الاخرى موقفا انتقائيا وانتقاديا بمعنى انها اخذت ما استطاعت به ان تعمق افكارها ومفاهيمها الخاصة ، ثم اطلقت لنفسها حرية التعبير والتطوير على نحو يخضع لاتجاهاتها هي ولمنطلقاتها الاساسية، هي في المذاهب والمناهج على حد سواء ، وذلك هو الابداع .

وهناك معدى عن التوقف عند الدور الخطير الذي لعبه العرب . فحضارة العرب لعبت دور الوسيط ودور المعلم بين الحضارات الاعرق في آسيا وافريقيا ، وبين اوروبا . فهي التي نقلت الموروثات الحضارية عن طريق قرطبة وطليطله في اسبانيا التي قطنتها ثمانية قرون وكذلك عن طريق المدن الايطالية التي احتكت ببلاد العرب اثناء الحروب الصليبية وقبلها وبعدها وكانت مراكز كبرى للتجارة ، وفي مقدمتها البندقية وسالرنو ونابولي ، وبالرمو في صقلية . فبعض نواحي الثقافة في الصين والهند انتقلت الى العرب عن طريق الفرس خاصة ، ثم انتقلت عن طريق العرب الى اوروبا . وحضارة ما بين النهرين في العصور القديمة ، انتقلت الى مصر والى بلاد بحر ايجه عن طريق سورية وسواحل آسيا الصغرى ، كما احتفظت الدولة البيزنطية بمزيج من حضارات الشرق واليونان ونقلها علماؤها وعلماء العرب الى اوروبا خاصة بعد فتح القسطنطينية من قبل العثمانيين .

فلو جئنا — من باب التذكير فحسب — الى تعداد عابر وسريع الى بعض ما حققته حضارات آسيا وافريقيا من منجزات ثقافية لذكرنا ان الصين عرفت الخزف المدهون منذ الالفين الثالث والثاني ق. م. ، واعمال الحفر والنحت والنقوش والتصوير والكتابة على صفائح الخيزران وظهر اصلاحيون كبار من مثل كونفوشيوس الذي خلف بفكره وتعاليمه اعمق الاثر واوجد الصينيون التقاويم السنوية ، واعظم ما اخترعوه صناعة الورق من قشر الشجر والقنب وشباك السمك والخرق . وبرعوا في الكيمياء ووجدت بين الاثار الصينية اقداح من البلور ومرايا نحاسية ، كما وجدت علامات على اختراع نوع من الطباعة بواسطة الحفر البارز على الواح من الخشب ساعدت على حفظ تراث شعري وفكري كبير . وفي مجال العلوم ينسب الى الصينيين انهم قسموا السنة الى اربعة فصول وجعلوها ٣٦٦ يوما ، ولهم فضلهم على التقسيم العددي العشري، وفلسفة العلوم والكيمياء والطب البيطري والبحوث الجغرافية ، وهم اول من استعمل البارود .

وطورت الهند علم الفلك ، فدرست حركة السيارات ومواضعها والخسوف ، وحساب الوقت وشروق القمر والشمس ومقاييس الارض ومسافات النجوم . وفي مجال الرياضيات كتبت في الجبر والفائدة والكسور والجذر المربع والمكعب والمساحات والجيب . وتحوي كتابات « بسكرا » فقرات عن الصفر واستعماله وعن الكميات المجهولة والمعادلات البسيطة والمربعة وطول المعادلات غير المعينة . ويقول العالم كولبروك ان الجبر الهندي كان ارقى من اليوناني اولا : بمعالجة معادلات فيها اكثر من عدد مجهول ، ثانيا : بتطبيق الجبر على البحث الفلكي والبراهين الهندسية ، ثالثا : بحل معادلات من نوع واحد اعلى . ويضيف مؤرخ العلوم سارتن ، انه بينما تقدم الفلك الهندي بتأثير الاغريق ، فان الرياضيات الهندية لم تنتظر الهيلينية وعلى ذلك فيغلب ان الهنود ابتكروا الارقام التسعة والنظام العشري .

وازدهرت في بلاد الفرس بسبب تأثيرات مختلفة عدة ديانات ومذاهب في مقدمتها المجوسية والمانوية والمزدكية والزروانية ، وهي شكل توحيدي من ديانة زردشت . وازدهر الادب الديني في الوقت ذاته الذي ازدهر فيه الادب اللاديني في عصر الساسانيين . واعتنى بتسجيل اخبار ملوك الفرس واصبح ذلك اساسا للشاهنامه التي كتبها الفردوسي فيما بعد . وكتبت مؤلفات اخرى عن مدن الفرس وعن لعبة الشطرنج . واهتم الكهنة الزردشتيون بالفلك او التنجيم والجغرافية ، وبدأت في ايران حركة ترجمة واسعة عن آداب وعلوم الهند والعبرانيين والبوذيين . ويشكل الفن الساساني حلقة اتصال بين الفن الاشوري الاخميني والفن الاسلامي . وبعد الفتح الاسلامي لم تمت اللغة الفارسية بالرغم من ان اللغة العربية كانت الرسمية لمدة ثلاثة قرون . بل كان الادب والفن والفلسفة من التأصل بحيث اثرت فارس في جميع الشعوب التي حكمتها ومنها العرب . غير ان التفاعل الحضاري الذي جرى مع العرب جعل فارس وقد استهوتها الابجدية العربية تتبناها لغة كتابة وتؤثرها على البهلوية . فلما جاء الفيلسوف الغزالي حجة الاسلام (١٠٥٨ — ١١١٢) كتب بالعربية ، وسما في البحوث التصوفية ، غير ان معاصره عمر الخيام (١٠٩٠ — ١١٢٣) الشاعر والفيلسوف والفلكي كتب « رباعياته » الشهيرة وغيرها بالفارسية وبعد وفاة عمر الخيام ولد سعدي (١١٨٤ — ١٢٨٢) اعظم شعراء الفرس .

وكانت بيزنطة دولة وسيطة ، لا هي خالصة في شرقيتها ولا خالصة في تأثراتها الغربية ودامت نحو الف سنة بعد سقوط الدولة الرومانية في الغرب الى ان قضى عليها الفتح التركي عام ١٤٥٣ . وكانت حضارة بيزنطة مع الحضارة الاسلامية اهم حضارتين في العصور الوسطى ، وكانت يونانية في اللغة والادب واللاهوت ، رومانية فيما يتصل بقوانينها وتقاليدها العسكرية وسياستها المالية . وقد اثرت في نقل كثير من عناصر الفكر الافريقي الى الثقافة الاسلامية المزدهرة واخذت عنها عناصر شرقية ورثتها من العصر الهلنستي وكتب مفكروها في المسائل الفينية ووضع شعراؤها الاشعار الشعبية ومن اشهر علومها الحقوق والطب والفلك والرياضيات وبرع فنانوها في مجال تصوير الايقونات ، وزخرفة الابنية والنقش ، وبلغ اوج فن العمارة في بناء كنيسة « ايا صوفيا » بالقسطنطينية .

تلك بعض المعالم الرئيسية في ثقافات مجموعات الامم الاسيوية التي تتألف منها الصين والهند وفارس وغربي آسيا ، وقد جئنا على ذكرها — ان في تعداد الامم او تعداد منجزاتها — من باب التمثيل لا الحصر طلبا للايجاز . وهذه المعالم الكبرى لم تنفرد بها امة من الامم التي ذكرناها ، ولا قامت وحدها دون غيرها ، بل كانت جماع مكتسبات هذه الامم والامم الاخرى في اسيا وافريقيا جميعا بما فيها طبعا الشعوب السوداء التي عنيت كما عني غيرها بدراسة احوال الفلك وكانت لها معتقداتها ودياناتها والهتها ، ولها ثقافاتها الخاصة المتناسبة مع ظروفها من آداب شعبية متوارثة وفنون متعددة في مقدمتها الموسيقا والغناء والرقص وحتى التمثيل .

ان هذه المعالم الرئيسية مع ما انجزه العرب فيما بعد ، شكلت البناء التحتي الذي لم يكن منه بد لنهضة الثقافة الاوروبية .

غير ان كل امة من تلك الامم لم توصل وحدها وبوسائلها ، ما حققته وانجزته في مختلف مجالات العلوم والفنون والاداب الى شعوب

اوروبا ، التي بدأت ـ عن طريق الترجمة والنقل ـ عملية الاستقبال والامتصاص والتمثل الكبرى التي ادت فيما بعد الى انبثاق الحضارة الاوروبية .

ان الامة العربية هي التي قامت بهذا الدور بالدرجة الاولى .

فقد جاء حين من الزمن كان فيه العرب المسلمون قد بلغــوا ان يكونوا حملة المشعل الحضاري وورثة الثقافات الاقدم . وقد ساعد على تلقيهم تلك الثقافات موقع البلاد العربية في القلب من العالم ، اذ تلتقي عندها قارات ثلاث هي اسيا وافريقيا واوروبا . وبفضـل هـذا الموقع لعبت الامة العربية دورا خطيرا في تاريخ البشرية ، وكانت مهدا للحضارات والرسالات وقامت بدور الوسيط بين القديم والحديـث وبين الشرق والغرب . فقد عكف العرب على دراسة التراث الفكري القديم والمعاصر لهم ، ووضعوا لانفسهم طريقة علمية في البحـث والاستنتاج ، فأثبتوا كفاءتهم كطلاب علم ونقلة وتراجمة ، ثم اصبحوا مع الزمن اساتذة المدنية ومنشئي تراثها ، ومؤلفي كتبهـا فياوج تالقها، وتركوا للاجيال تراثا حفظ للعالم حضارته القديمة ، واضاف اليـه حضارة جديدة كانت الطريق والوسيلة الى النهضة العلمية الحديثة .

وقد اعتاد مؤلفون عديدون من الغرب ان يصفوا القرون الوسطـى بالقرون المظلمة وكأنهم بذلك ـ كما يقول احد الباحثين ـ يلغون مـن التاريخ اجمل عصوره العلمية ، لان في ذلك تجاهلا للنشاط الثقافي العربي الذي نشر المدنية في العالم بعد ان انطوت فارس وانكمشـت بيزنطة ، وعادت اوروبا الى همجيتها . هذا النشاط الذي كان مـن عناصر تطور الحضارة الغربية . وفي هذا المجال نورد قولا للبروفيسور « نويرات » من جامعة بون : « اننا لم نتسلق سلم المجد على اكتـاف اليونان كما كنا نظن ، بل على اكتاف العرب » .

والواقع ان الدولة العربية وضعت الاسس للبحث العلمي . فانشأت المعاهد واجرت على مرتاديها الارزاق . ووضعت للجوامع والمـدارس نظما تشبه نظم المدن الجامعية اليوم . فكان جامع القرويين في المغرب وجامع الزيتونة بتونس والجامع الازهر بالقاهرة ، وجامع قرطبة فـي الاندلس والمدارس والمكتبات الكبيرة الاخرى بدمشق وبغداد مراكـز للاشعاع العلمي وانشاء الحضارة . وبعض تلك المكتبات وهي مكتبـة مدينة طرابلس الشام كانت تضم ـ كما يقول جرهمان وآرنولد ـ ثلاثة ملايين مجلد قضت عليها جيوش الصليبيين .

وقد اخذ العرب عن الصين صناعة الورق وحسنوها وهم الذيـن نقلوها الى اوروبا عن طريق الاندلس .

وليس ادل على اهمية العلم العربي واثره العظيم في ثقافة القرون الوسطى عامة من ان نورد شهادة المؤلف جورج سارتن في كتابه الضخم: « مقدمة لتاريخ العلم » . في هذا الكتاب استعرض المؤلف تطور الحركة العلمية خلال الفي سنة تنتهي مع نهاية القرن الثالث عشر ، وقد حرص المؤلف على ان يجزىء تاريخ الفكر الى انصاف عصور ، ويطلق على كل منها اسم عالم عظيم كان له اثره في الفكر الانساني عامة في تلـك الحقبة . فاذا استعرضنا مع « سارتن » القرون الوسطى ، وجدنـا ان هذه العصور جميعا عرفت باسماء مؤلفين وعلماء من العرب .

فالنصف الثاني من القرن الثامن دعاه باسم « جابر بن حيـان » الكيميائي . وفي القرن التاسع برز « الكندي » عالم البصريات الذي تجاوزت مؤلفاته ٢٥٠ في الطب والفيزياء والفلسفة والموسيقى وترجمت كتبه الى اللاتينية في اواخر القرون الوسطى . غير ان سارتن اطلق على الشطر الاول من القرن التاسع هذا اسم « الخوارزمي » الذي وضع الاسس الحديثة لعلم الجبر واستخدم الارقام الهندية التي تدعى فـي الغرب « الارقام العربية حتى اليوم » واعطى علم « اللوغاريتم » اسمه.

كما اطلق سارتن على الشطر الثاني من القرن اسم « الرازي » الطبيب الذي كان كتابه « الحاوي » ورسالته في الحصبة والجدري ، وكتابه في السريريات ، من اسس المعرفة الطبية في العالم ، وترجمت الـى اللاتينية فيما ترجم من التراث العربي .

وكان القرن العاشر يعج بالاختصاصيين العرب في مختلف العلوم من امثال الفارابي الفيلسوف العالم ، وواضعي رسائل «اخوان الصفا» واختار منهم « سارتن » اسم المسعودي ، الجغرافي المؤرخ ، فاطلقه على الشطر الاول من القرن ،واطلق على الشطر الثاني اسم« ابيالوفاء » الفلكي الرياضي .

اما القرن الحادي عشر فبلغ فيه العالم العربي اسمى عصـوره الذهبية . ويصف سارتن هذا التالق حين يقول :

« ان الانتقال من العالم الاوروبي الى العالم الاسلامي العربي يكاد يشبه الانتقال من الظل الى الشمس المشرقة ، ومن عالم ناعس الى آخر متفجر بالنشاط .

في حين يقول ماكس مايرهوف : « .. ان عظمة الابتكار العربي تتجلى لنا في البصريات .. » .

ففي هذا العصر برز « ابن الهيثم » الفيزيائي صاحب النظريات الشهيرة في البصريات والهندسة والفيزيولوجيا ويمكن اعتباره منشىء علم الضوء الحديث ورائده . وظهر ابن سينا مـن اعظـم اطبـاء العصـور وكـان كتابـه « القانـون في الطب » النص المعتمد في كليات الطب الاوروبية طوال ٥٠٠ سنة . وعرف هـذا العصر « الغزالي » ناقد الفلسفة المشهور . ولكن « سارتن » اطلق على الشطر الاول من هذا العصر اسم « البيروني » الفلكي الجغرافي الفيلسوف الهندي ، واطلق على الشطر الثاني اسم عمر الخيام الشاعر الفارسي واحد كبار العلماء في الرياضيات والفلك كما قدمنا .

فلما جاء القرن الثاني عشر ، تجسمت نكبات العالم الاسلامـي العربي ، فكانت الحروب الصليبية وغزوات التتار ، وحرقت المكتبات ودور العلم ، فلم يطلق « سارتن » على هذا العصر اسما عربيا لكنـه اعترف بأن الغربيين بدأوا في هذا العصر بترجمة التراث العربي ، وساروا على آثار العرب في البحث العلمي كما استمدوها من خـلال الحروب الصليبية وعن طريق صقلية والاندلس بعد ان احتلهما الغربيون.

ان هذا الدور الخطير الذي لعبه علماء الدولة الاسلامية العربية فيما نقلوا وابتكروا واوجدوا كان دور المهد للتطور العلمي اللاحق . فوجود ابن الهيثم وجابر بن حيان وامثالهما كان لازما وممهدا لظهور غاليليه ونيوتن ، ولو لم يظهر ابن الهيثم لاضطر نيوتن ان يبدأ من حيث بدأ ابن الهيثم ، ولو لم يظهر جابر بن حيان لبدأ غاليليه مـن حيث بدأ جابر . وهذا ما يجعلنا نقول : « لولا جهود العرب لبدأت النهضـة الاوروبية في القرن الرابع عشر من النقطة التي بدأ منها العرب عنـد نهضتهم العلمية من القرن الثامن للميلاد » .

وهذا التأثير الذي كان في ميدان العلوم ، كان له مثيله في الميادين الثقافية الاخرى كافة . فعندك من يرى ان قيام العرب بشرح الفلسفة الكلاسيكية امر جدير النظر والاعتبار ، وهو امر لا بد منه قبل ان تتهيأ العقول للتفكير العلمي الحديث . وهم لم يقفوا عند هذا الشرح ، بـل خرجوا الى نسق جديد في بعض بحوث الفلسفة : « فلاسفة العرب قد نحوا في البحث عن الوجود منحى مستقلا غير تابع لتعلقهم بالقرآن».. كما يقول « وولف » . ويضيف ان في الفلسفة العربية « عناصر مستمدة

من مذاهب الفلسفة اليونانية غير مذهب ارسطو ، وفيها عناصر فارسية ثم ان فيها ثمرات عبقرية اهلها .. باختيار اراء من مذاهب اخرى وبالتخريج والابتكار » ..

ومن العلماء العرب من يمكن اعتباره مؤسس علم الاجتماع . وفي مقدمتهم « ابن خلدون » الذي قال بلزوم اتخاذ الاجتماع الانساني موضوعا لعلم مستقل ، وذهب الى ان الاحوال الاجتماعية تتاتى من علل واسباب تعود الى طبقة العمران وطبيعة الاجتماع .

وهذا عدا التأثيرات الادبية والفنية الاخرى التي انتقلت من العالم العربي الى الفنون والاداب الاوروبية عن طريق مدرسة قرطبة الكبرى في الاندلس وغيرها من المدارس وعن طريق صقلية كما اسلفنا ومن اشهر القصص التي اثرت في الاداب الغربية في كل العصور قصة « الف ليلة وليلة » الشهيرة ، كما ان اثر التزيينات والزخارف والذهنية التجريدية العربية ما يزال حيا باقيا الى يومنا هذا في الفنون الاوروبية عامة ، وفي العديد من المباني الاثرية والكنائس القديمة .

هكذا آلت زعامة الفكر الى الغرب منذ القرن الرابع عشر بعد ان انتزع فلاسفته وعلماؤه وفنانوه الراية التي حملها العرب عدة قرون . وبقي العرب اساتذة في ضروب كثيرة من العلوم في الفلك والرياضيات والطب والصيدلة وعلم النبات ، وكذا في الادب والفن .

ومن واجبنا ان نذكر ان حضارة العالم العربي الاسلامي (حسب الاصطلاح العلمي المكرس) وثقافته كانت :

أولا ـ الوريثة الشرعية لثقافات آسيا وافريقيا واليونان .

ثانيا ـ انها لم تكن مقتصرة على عطاء علماء وفنانين وادباء ومهندسين وفلاسفة من العرب فحسب بل شارك فيها ابناء القوميات الاخرى ممن اظلتهم تلك الدولة من قازاقستان وطاجيكستان شرقا وكذلك من الهند وفارس وتركيا ، عبر العراق وسورية ومصر والسودان ، حتى المغرب والاندلس غربا .

وقد ظلت هذه الثقافة مبدعة طوال قرون عديدة ، واسهمت اسهاما اساسيا في بناء الفكر الاوروبي والثقافة العالمية ..

* * *

تلك نظرات في الثقافة الاسيوية الافريقية ، وكيف اثرت واندمجت كلها في مسار الثقافة العالمية التي يمكننا ان نصطلح على تسميتها بالثقافة الاوروبية او الثقافة الغربية .

واليوم ، تجد شعوب آسيا وافريقيا ان من اول ما يتوجب عليها ان تتصل بالثقافة الغربية العالمية وان تاخذ عنها ، فالفجوة الاخذة في الاتساع بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة قضية اساسية من قضايا العصر الذي نعيش فيه ، وهي ما تنفك تسوط الضمير الاسيوي الافريقي وتدفعه الى حرق المراحل .

وغاية الامر ان هذه الثقافة الغربية تواجه ثقافات آسيا وافريقيا من وجهة نظر استعلاء . فهي المتقدمة ، وهي مصدر الحضارة ومنبعها، وهي الجديرة وحدها بالانتشار ، والمثقف الغربي ـ بنحو عام ـ يتخذ موقفا عنصريا لدى مواجهته الثقافات الاخرى . فيتنكر لماضيها وينكر حاضرها ، (حتى انه نادرا ما يهتم بترجمة اثارها) ، ويتبرأ من ان يكون تشكله اليوم من نتائج عطائها بالامس . وقادة الفكر الغربيون لا يغيرون آراءهم : فهم لا يطلعون ، ولا يعرفون ، ولا يريدون ان يعرفوا . وهؤلاء كانوا جديرين ـ بثقافتهم الرفيعة ، ومواهبهم العالية ، وتاثيرهم الاكيد ـ ان يدخلوا تغييرات اساسية في اصول التفاهم بين الشعوب ، متقدمها اليوم ومتخلفها .

ان الانطلاقة الحقيقية للتفاهم بين الشعوب ، لا تبدأ من موقف توازن القوى ، بل مـن ان لكل شعب كيانه وثقافته التالدة والمحدثة . وهنا ، لا تجوز المقارنة بين المنجزات الثقافية المختلفة الا من خلال ظروف تاريخية وذاتية وموضوعية متماثلة .

وان احد وجوه عبقرية « لينين » تتمثل في انه فهم بأن تمام تفتح الشعب ـ اي شعب ـ لا يكون الا بكمال تفتح ثقافته ، وان مثل هـذا التفتح ادعى للتفاهم والتآخي بين الشعوب .

ومن بعده جاءت منظمة اليونيسكو ببرنامجها الشهير « شرق ـ غرب » انطلاقا من ان الثقافة وحدة متكاملة ، فلا معدى عن التواصل . ورغم ان هذا البرنامج لم ينجح النجاح المرجو ، الا انه على الاقل شد انتباه الناس الى ضرورة التواصل على المستوى الثقافي تمهيدا للتلاقي على مستوى الرغبة في التفاهم وحياة السلام والوئام .

وبعد ، فاوروبا هي حقا رافعة الراية الثقافية في العالم واحدى منائر الفكر الحديث . لكن اوروبا ليست وحدها العالم الحديث . فتاريخ ثقافتها هو تاريخ عالمنا كله . والشعوب جميعها ، تحت المدارات كلها اسهمت وتسهم ، بشكل او بآخر ، في تكييف الاحداث وتكوين الثقافة الانسانية العالمية وليس يسعدنا اكثر من ان نرى اليوم ، ولاول مرة في التاريخ البشري عدة محاولات تبذل لبناء حضارة مشتركة للعالم كله ، لا تقوم فيها السيادة لشرق ولا لغرب ، بل للجنس البشري كله ، على ان يعمل الناس بروح المساواة والتعاون في سبيل تقدم الانسانية وكرامة الانسان ، دون ما تفرقة لجنس او لقومية او لنظام اجتماعي .

(مراجـع البحـث)

شمس العرب تسطع على الغرب	سيجريد هونكه
دور العرب في تطور العلوم الطبيعيـة	البرت ديتريش : مجلةاللسانالعربي عدد ٦ ، ١٩٦٩
المدخل الى تاريخ الحضارة	جورج حداد
ثقافة الشرق والغرب	محمد عوض محمد
حضارات وامبراطوريات في افريقيا	عبد الرحمن زكي مجلة «المجلة» عدد١١
العرب والكشوف العلمية	محمد يحيى الهاشمي مجلة « اللسان العربي » عدد ٥ ، ١٩٦٧
تراث العرب الحضاري ، ما نشر منه وما لـم ينشر	عـزة حسن
الشرق والغرب	احمد امين
الانتاج الفكري عند العرب	قدري حافظ طوقان مجلة « الثقافـة الوطنية » عدد ٦٤
المجتمع العربي	احمد السمان
اين العالم الثالث من العالم المعاصر	أ .ي.ليفكوفسكي. ترجمةمطانيوس حبيب .
الادب والعالم الحديث	تقرير عن المؤتمر الادبي المنعقد فـي
العرب والكشوف الحضاري ، ما نشر منه وما لم ينشر	طشقند ١٩٦٨ ، مجلة « اعمال وآراء » عدد ١٢٢ ، الطبعة الفرنسية .

امرأة أخرى

عند المياه الدفيئة ، والنبع
كانت جدائلك الشقر تنشرها الريح
حقلا من القمح ،
سربا من الطير غادر أعشاشه فأضاع الطريق اليها
ان المسافر يخشاك
اذ تتقاطع عندك كل المحطات ثم تضيعين
في ملصقات الجدار المشقق ،
تبكين بين الدفاتر ، والحبر
بين الطقوس الرديئة ، والنار
حيث القطارات مشدودة في خيوط المساء الكئيبة ،
والثلـج
ارسم وجهك في ريشة الحزن
يكتبنا العصر فوق الجدار شريدين
طاردنا الخوف ،
رمل المسافة
جرّح اقدامك القيد
جرحنا الجوع .. والشجر الذي ايبسته
رياح الخريف القديمة
أنت التي استوطنت جبهتي نجمة
عشقتها العواصف ،
غازلها الفقراء
النساء الهزيلات خاطبنها من وراء المتاعب :
« مري الينا .. انتظرناك خلف الصرائف ،
في وهج الشمس .. بين عيون الصفار التي
يتسلقها الحزن .. مثل الحكايات في الليلة الماطره »

* * *

حين ابتعدنا عن النهر أطفأنا الليل
ــ هل افتح الباب ... ؟
ان الشتاء المخضب بالثلج ...
أطفأ موقدنا القروي
وحاصرني قرب منزلك الان
حاصرني حرس الليل
سيدتي

* * *

أيا آخر امرأة طعمت ثديها شفتي
بادرتني التحية ،
شدت على ساعدي
اغتصبتني امام النوافذ
كان الظلام على الجسر منسدلا
شعرك منسدلا فوق وجهي
والهتُ .. كيف يكون عناق الجميلات ...؟
كيف تفتصبين البكارة ...؟
ان الحقائب تحفظ اسمك ،
خارطة الجسد الذي وطئته المجاعات ،
والخـوف
أحملك الان ،
أبحر عبرك نحو البلاد المضاعة ،
والصبية المنهكين
وأبكي الطيور الغريبة ، والموت في الغابة الموحشه

* * *

شاحبا كان وجهي غداة التقينا على الجسر
شاحبة شفتاك .. المخاوف ما بيننا .. السور
يشحذ نصليه :
ـــ لا تقربا النهر ..
ترتجفين .. ثيابك مطوية كالشراع الممزق
وحدي المسافر في عطش القلب ،
وحدك تمضين
ان الازقة تمنحنا الحزن
صوت النهار المحشرج في ورش التبغ ، في حلبات
المصارف ، تمنح اطفالنا زهرة باكيه .

العـراق — عيسى حسن الياسري

صورة الإنسان الجديد
في الأدب الإفريقي الآسيوي المعاصر

بقلم ج. فيتهانا

حصلت بعض البلاد الافريقية والاسيوية على استقلالها من الحكم الامبريالي على حين ان البعض الاخر ما زال يناضل من اجل التحرر ، ومع ذلك فان العدوان الامبريالي ما زال قائما بصورة مختلفة في عدد من البلاد الافريقية والاسيوية . ومن الحقائق المعروفة جيدا ان الامبرياليين اذ يغيرون من مخططاتهم يحاولون الان تحقيق اهدافهم الاستعمارية الجديدة في بعض البلاد بمساعدة الرجعية المحلية . وعلى الرغم من الدمار الذي الحقه الامبرياليون بشعوب البلاد الافريقية والاسيوية والاثار القبيحة المترتبة على ذلك فان تلك الشعوب تحاول بثقة تغيير مصيرها مستهدية بالادب الجديد الذي يعكس الحياة وروح الانسان الجديد ويستمر في اضاءة الطريق امام ثقافتنا المعاصرة .

ومنذ نصف قرن استخدم الامبرياليون الادب والفن في عدد من بلاد فارتينا كأداة لتحقيق اهدافهم . واننا نحن الكتاب الافريقيين الاسيويين نعلم ان الامبرياليين وعملاءهم قد حاولوا وضع السدود امام نشاطات الكتاب الذين حاولوا بناء ثقافة تقدمية جديدة . وما زالت تلك الجهود الامبريالية سائدة في عدد من البلاد . ويوجد حتى في سيرى لانكا مثقفون بورجوازيون يغلب عليهم التأثر بالافكار الامبريالية ويحاولون شن حرب عقائدية ضد الاعمال الادبية ذات المضمون الوطني والثوري . وعلى حين انهم يلقبون الكتاب التقدميين بالكتاب الدعاة وفي الوقت الذي يحققون فيه اهداف الامبرياليين فان اعمال كتاب الشعب التي تعكس حياة روح الانسان الجديد في سرىلانكا قدانثرت الادبوشاعت لدى الشعب هناك .

ان سرى لانكا دولة صغيرة في آسيا كانت هي الاخرى تحت حكم الامبرياليين البرتغاليين والهولنديين والبريطانيين . ونحن كتاب سرى لانكا على استعداد تام لتقوية الروابط مع الكتاب في البلاد الافريقية والاسيوية وآداء واجبنا في بناء ثقافة افريقية اسيوية جديدة تقوم على اساس توافق تراثنا مع روح الانسان الجديد . ومن الحيوي ان نوضح بأن هدف الادب الافريقي الاسيوي المعاصر هو محاولة انشاء حضارة انسانية تقوم على اساس العقل ونحت اعلام العدالة والسلام والاشتراكية .

واليوم ينشأ ادب جديد على ارضنا يعكس الطموح والامل في مستقبل افضل للانسان الجديد . ونتيجة لذلك ظهر مع كفاح الشعب في فيتنام والبلاد العربية وفلسطين وبنجلاديش ولاوس وكمبوديا ادب يتطور ويتسم بالروح الثورية . ولقد حقق هذا الادب نضوجا مفاجئا بعد ان نم عن سيطرة على الشكل والاصالة وقد اخذتا طابعا عالميا .

وفي جنوب افريقيا حيث تسيطر اقلية بيضاء على الغالبيةالعظمى من الملونين يقوم الادب المعاصر بتعزيز النضال ضد العنصريين البيض . وقد ادت الاعمال الادبية التي وضعها الجيل الجديد من الكتاب وهم من سلالة الوطنيين الذين عانوا من العقوبات الوحشية التي فرضتها عليهم الاقلية البيضاء ـ ادت الى تعجيل النضال التحرري والاسراع بخطاه . ويعتبر ادب جنوب افريقيا الجديد ادب معارضة وتعبير عما يعانيه الشعب من عذاب واحباط . وعلى حين ان العنصرية البيضاء قد فكرت فيوضع حد للادب الافريقي الجديد والقضاء عليه بنفيالكتاب الافريقيين خارج البلاد بما فيهم الكس لاجوما فان عددا كبيرا من الكتاب الذين يسلكون نفس طريق لاجوما قد ظهروا الى حيز الوجود .

ويحاول الامبرياليون تهديد وجود الانسان الحر الجديد في الشرق الاوسط باستخدامهم لسلاح الصهيونية وهم يأملون ان يتحقق لهم ذلك الهدف الذي يسعون اليه عن طريق تشجيع السياسة الفاشستية لاسرائيل . ونتيجة للتدخل الصهيوني في اسرائيل فان ادبا وطنيا جديدا قد جاء الى الوجود بمحتوى ثوري جديد . ولقد قدم الكتاب الجدد في فلسطين اسهاما قيما وحاسما تمثل فيما انتجوه من اعمال وكل هذا من شأنه ان يؤدي الى هزيمة الصهيونية .

ان السمة الاساسية في الادب العربي المعاصر هي انه قد عكس آمال وروح الانسان الجديد في خضم النضال من اجل التحرر . ولقد رفض ذلك الادب جميع الايديولوجيات البورجوازية وابرز كثيرا من الافكار الحرة العالية .

ان الادب المعاصر للشعب في الهند الصينية ـ ذلك الشعب الذي حارب الامبريالية الفرنسية والذي يحارب الان ببطولة وسلاحه في يده ضد الامبريالية الامريكية ـ قد اصبح ادب التعبير عن الامل والايمان الذي لا يموت والمجسد لارادة الشعب في الحياة وفي النصر وفي استعادة حقوقه وتقرير مصيره . ولقد كان للشعب في الهند الصينية الشجاعة في بناء ثقافة جديدة وذلك بالوقوف ضد الاتجاهات الاقطاعية والامبريالية والرجعية . وهم يستطيعون استخدام الادب الفيتنامي المعاصر كسلاح حاد في كفاحهم المجيد من اجل التحرر . وعلى حين ان كتاب فيتنام الشمالية قد انتجوا من الكتابات والاعمال ما كرس لاعادة تشكيل المجتمع الاشتراكي الجديد فان الكتاب الوطنيين في جنوب فيتنام ليقفون بقلوبهم واقلامهم الى جانب المحاربين الشجعان الذين يحاربون

التدخل الامبريالي ويقفون ضد نظام الحكم العميل وايضا ضد الهجمات الثقافية التي يشنها الامبرياليون . ومما هو جدير بالذكر ان عـــددا كبيرا من الكتاب الذين ينتمون الى الجيل الجديد والذين يستخدمون اقلامهم من اجل الدفاع عن حقهم المقدس في الاستقلال الوطني قد جاءوا من ساحات الحرب في الادغال . ومن واجبنا ان نعيد ذكرى الكتاب والمثقفين في بنجلاديش والذين ضحوا بحياتهم من اجل تحقيق الاستقلال لبلادهم . ولقد عكس اولئك الكتاب في كتاباتهم حق الشعوب في تقرير مصيرها وفي الحصول على استقلالها الوطني .

واليوم نجد ان العدوان الامبريالي الوحشي على الشعوب في بعض المناطق قد غير استراتيجيته ، فقد دبر الامبرياليون المؤامرات لتخريب اقتصاد الدول الافريقية والاسيوية وتقويض السلام والقيم الثقافية في هذه الدول . كما اقام الامبرياليون المؤسسات التي تمكنهم من التأثير على الكتاب والشخصيات الثقافية تحقيقا لاهدافهم حتى اصبح التدخل المستمر من جانب امريكا وبريطانيا والمانيا الغربية في الدول النامية يشكل تهديدا لشعوبنا . ويتخذ العدوان الثقافي الذي تشنه هذه الدول اشكالا متعددة منها :

١ ـ تجنيد العلماء والمفكرين في الدول الافريقية الاسيوية لتحقيق مصالح الدول الاستعمارية .

٢ ـ افساد الكتاب وغيرهم من المشتغلين بالفنـــون ومحاولـــة استهوائهم بالايديولوجية الغربية .

٣ ـ انشاء المؤسسات لاستقطاب الكتاب والمفكرين والتأثير عليهم مثل مؤسسة ابيرت ، ومؤسسة فيدريك ، وفرق السلام الامريكية ، ومؤسسة آسيا ، ومؤسسة فورد ، واتحاد الكتاب ، وغير ذلك .

ومؤسسة آسيا مؤسسة امبريالية امريكية اصبح نشاطها محظورا في العديد من الدول الاسيوية ومن بينها سيرى لانكا . وفي الانتخابات العامة التي اجريت في سيرى لانكا في ١٩٧٠ استطاع الكتاب توحيـــد صفوفهم وتكاتفوا مع الشعب في نضاله ضد عودة الاحزاب السياسيـــة اليمينية . وبعد ان تحقق للشعب انتصاره قررت حكومة سيرى لانكـــا اليسارية المتحدة قطع العلاقات الدبلوماسية بصفة مؤقتة مع اسرائيل ، وطالبتها بسحب قواتها من الاراضي العربية المحتلة اذا كانت تريد اعادة العلاقات الدبلوماسية .

كذلك فانه مما يميز الاعمال الادبية الحديثة في سيرى لانكا انهـــا تعكس ادراك الانسان الجديد لحياة تنعم بمزيد من العدل ومزيد مـــن الجمال . ومع ذلك فان الامبرياليين لم يوقفوا عدوانهم الثقافي السري في انحاء افريقيا وآسيا ، وبذلوا قصارى جهدهم لعرقلة التقدم الادبي المعاصر ، بل انهم نجحوا في تضليل عدد من الكتاب عن طريق الفساد . ومن الاجهزة التي تعمل على تضليل الكتاب « المؤسسة الدولية لمحو الامية في الهند » و « معهد مارجا » في كل من الهند وسيرى لانكـــا وعندما فرضت الحكومة الهندية حظرا على نشاط « المؤسسة الدولية لمحو الامية » قررت حكومة سيرى لانكا ايضا وقف نشاط « معهد مارجا » . واخيرا ظهرت مؤسسة امريكية جديدة تحمل اسم « المؤسسة الامريكية التعليمية في سيرى لانكا » وهذه المؤسسة تمارس نشاطها السري لاستمالة الكتاب ذوي الافكار التقدمية تحت ستار النهوض بالادب والتعليم في سيرى لانكا .

ومن ناحية اخرى فان الصحافة الاستعمارية تتصدى هي الاخرى لعملية اقامة ادب يعبر عن الشعب في سيرى لانكا . وقد اصدرت حكومة سيرى لانكا اليسارية المتحدة قانونا يقضي بتوسيع قاعدة الملكية فـــي احدى دور الصحف الرأسمالية وذلك وفاء لوعد كانت قد اعطته للجماهير خلال الانتخابات العامة الاخيرة .

وقد ادارت جبهة الكتاب الشعبيين في سيرى لانكا حوارا عـــن ضرورة النهوض بالادب التقدمي ، وادى هذا الحوار الى ادراك بعض الكتاب الذين كانوا يخدمون مصالح الرأسمالية والامبريالية ، لحماقتهم وانضمامهم الى صف الكتاب التقدميين . كما ادى هذا الحوار الى اثراء الاتجاه التقدمي الجديد الذي يرمي الى تطوير ادابنا المعاصرة . وادرك الكتاب الذين استطاع الرجعيون تضليلهم ـ ادركوا حماقتهم وتنصلوا مما كتبوه . ان علينا ان نواجه الكثير من المشكلات عندما نحاول ان نعكس امال الانسان الجديد وتطلعاته في آدابنا الافريقية الاسيوية . واهـــم مشكلتين بين هذه المشكلات توحيد الفئات الوطنية ومشكلة الجيـــل الناشىء الذي تعرض لتضليل العناصر الرجعية . ولقد اتضح بجـــلاء بعد النشاط الارهابي المتطرف الذي تعرضت له جزيرة سيرى لانكا ، في ١٩٧١ ـ اتضح كيف ان الامبرياليين قد غيروا مسلكهم واسلوب عملهم لعرقلة زحف الحركات التقدمية في القارتين .

وتنبع النشاطات الارهابية من الافكار المتطرفة والمفاهيم الهدامة التي تتضمنها الاعمال الادبية والفنون المرئية الموجهة اساسا ضد الحركات التقدمية .. والان فان الواجب المقدس الذي يقع على عاتق كتاب سيرى لانكا هو اعادة تشكيل الجيل الصاعد ، وتوحيد صفوفه في ظل الشعارات الحقة . كما يتعين عليهم ايضا النهوض بأدب الشعب ودفعه قدما الى الامـــام .

ولقد وحد كتاب اللغتين السينهالية والتاميلية صفوفهم داخل اطار جبهة كتاب الشعب في سيرى لانكا ، وذلك من اجل آدب وطني عـــام في سرى لانكا عن طريق سد ثغرة التنافس والانقسام بين اللغتيـــن السينهالية والتاميلية . وانه لمن دواعي السرور ان كتابنا يعملون الان على خلق مؤلفات ادبية جديدة ترتكز على الوحدة الوطنية والفهـــم العميـــق .

ونحن ندرك ادراكا تاما بأن الادب الافريقي الاسيوي الجديد الحر الذي يعبر عن افكار شعوبنا وآمالها ، لن يتمكن من النمو والازدهار الا من خلال الحاق الهزيمة بالتدخل الاستعماري ضمانا للسلام في قارتينا ، كما ان دعم العلاقات مع الدول الاشتراكية سيسهم بلا شك في تحقيق هذا الهدف . ونحن لا نستطيع ان ننسى المساعدات الكبيرة التي قدمتها الدول الاشتراكية من اجل النضال التحرري في آسيا وافريقيا .

ان شعوب افريقيا وآسيا لعلى ثقة بأن الشعب العربي البطـــل سيلحق الهزيمة بالصهيونية وسيلقن الفاشية الاسرائيلية درسا قاسيا ، وليس في وسع الكتاب الناشئين في الارض العربية ، التهرب مـــن مسؤولياتهم في الظروف الراهنـــة ، واعمالهـم الادبيـــة الجديدة ستكون بمثابة مرشد لهم في كفاحهم ضد اسرائيل واعمالها البربرية .

والان فاننا بحاجة الى الوحدة والتضامن مع الكتاب والمفكرين في آسيا وافريقيا ومن خلال هذه الوحدة سنتمكن من دعم التفاهم بيننا ونواجه تحديات عدونا المشترك . علينا ان نعمل على تقوية الجـــذور العميقة للوحدة التي تربط بيننا وتؤكد دورنا في الكفاح من اجل تحرير الشعوب ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد والعنصرية . ومن المؤكد ان اسهامات الكتاب الافريقيين الاسيويين الخصبة ستساعد على اثراء ادبنا وستكون مرشدا لنا في كفاحنا الشعبي من اجل مجتمع اشتراكي مستقل قائم على العدل .

جيونا سينافيتهانا
(سري لانكا)

سيمفونية للوطن

قصة بقلم
نيروز مالك

اليس : ... انظري ، لقد ذهبت الشمس .
كريستينا : ستعود مرة اخرى ، وستبقى فترة اطول في المرة القادمة .
اليس : هذا صحيح . فالنهار آخذ في الطول ، والظلال في القصر .
كريستينا : نحن نتحرك نحو النور يا اليس
(سترندبرج ـ عيد الفصح)

الحركة الاولى :

عندما كنت في الصف الرابع الابتدائي ... اذكر صباح ذات يوم . لم تجر الامور في مدرستنا كما تعودنا . انما جرت بشكل آخر لم نعتده سابقا . فلم نر العصي في ايدي الاساتذة . انما حل بينهم حوار اشبه بالهمس محل الصراخ اثناء تخاطبهم . ومحل الغضب ، والنزق ـ وهم يشتمون هذا التلميذ او ذاك ـ شيء من التروي والصبر الغامضين ... الخ . وكالعادة ـ راحت صفوفنا تنتظم الى جانب بعضها في ارتال منسقة . ثم تعالت ايعازات الاستراحة ، والاستعداد بصوت هادىء رخيم . بعدها رأينا تسرب وجوه جديدة من الادارة الى المنصة . وجوه جامدة كالموت . فساد الصمت بيننا ، وبينهم مدة من الزمن . ثم رحل متباطئا عندما «كح» احدهم واستعد لالقاء كلمة ما ...

لا اذكر فحوى الكلمة التي القاها يومها علينا . ولكن الشيء الذي اذكره تماما لهجته ... كانت لهجة تقدير ، واحترام بالغين . تكلم عن شخص بارز ـ اعتقد انه لقبه بـ « وزير الداخلية » فاخبرنا ... ان يدا آثمة مجرمة . قد اغتالته مساء البارحة ـ اي مساء يوم من ايام اوائل عقد الخمسينيات ـ ثم عدد مناقب « وزير الداخلية » وخدماته التي اسداها للوطن . وبتأثير بالغ انهى كلامه بآي الذكر الحكيم : «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا . بل احياء عند ربهم يرزقون» صدق الله العظيم . ثم تراجع الى الوراء . بينما راح احد اساتذتنا ينزل العلم عن ساريته ونحن صامتون دقيقة حداد . ثم امرنا بالانصراف دون ضجة ... واعتبروا ذلك اليوم يوم عطلة لمكانة « الشهيد » لدى الدولة .

كانت فرحتنا كبيرة ، عندما سمعنا بيوم العطلة ، فهرعنا كل الى بيته نعلم اهالينا بالامر ، ونحن نتواثب فرحين .

ولكنا فوجئنا بالقلق ، والاضطراب المرسومين على وجوه اهالينا ـ كان مصدرهما ... خوفهم من بطش الحكومة انتقاما من قاتلي « وزير الداخلية » الذين قيل انهم يسكنون حينا ، او في احد الاحياء المجاورة لنا . ثم سمعنا همسات اهالينا ... ان الكلب ـ كانوا يقصدون وزير الداخلية ـ يستحق ذلك منذ زمن بعيد .. استغربت يومها . وحاولت ان افكر بالامر ، وانا جالس تحت شجرة التوت المزروعة في صحن دارنا الكبيرة ، حيث يتزاحم في كل غرفة من غرفها الصغيرة افراد عائلة لا يقل عددها عن سبعة اطفال ما عدا الوالدين . فلم تمر لحظات على ذلك حتى نسيت الامر كله . فحملت كيسي وخرجت ابتغي اللعب .

نعم . ما زلت اذكر ذلك اليوم بتأثر بالغ نابع من اعتزازي بان في حينا بعضا من ابطال هذا البلد ايضا .

الحركة الثانية :

بدأت تجربتك بشكل ممل اول الامر .. التدريس في الريف . اي القبوع بين جدران غرفة طينية مدة خمسة ايام ، ونصف اليوم ، ثم عودتك في النصف الثاني من اليوم السادس الى المدينة . ومرت الايام ، والاسابيع . فبدأت تعتاد الامر . وراحت نفسك تتأقلم مع المحيط الذي حولك شيئا فشيئا . وتكتشف بعض الجوانب الجديدة في حياتك ... منها :

احتفاء اهل القرية بك اينما حططت .
الاصغاء التام لاحاديثك .
تباري آباء اطفال القرية بدعوتك الى منازلهم للفطور حينا ، او للغداء ، او للعشاء .
وجود فتاة مثل « شمس » .

كل هذا لون حياتك بطابع جديد . رغم خشونته .

« شمس » فتاة تبلغ الخامسة عشرة من العمر . قمحية الشعر المائل الى الاصفرار . جميلة الوجه ، والعينين بشكل لا يوصف . رغم نحافة الوجنتين ، ونحالة الصدر ، والسعال المتقطع ... كانت كتلة من الحركة . لا تقف في مكان ما . تراها تثب كالظبية البرية . دائمة الضحك . سريعة الصمت . وعندما يحاول انسان ما ... اسماعها كلمة ناعمة لم تتعود اذناها على سماع امثالها بعد تغمرك ببسمة مشعة . ثم تفر كطائر صغير ملون . وشعرها القمحي الاصفر يتماوج على ظهرها المضموم برهافة ، ودقة بالغين .

ما اكثر الليالي التي سهرت فيها طويلا ، بعد ان تكون النيران قد

خمدت في الكانون ، حيث لم يبق غير الرماد البارد ، الهش المتكسر وانت تتساءل : ((يا لغرابة هذه الفتاة !)) . لم يكن جمالها هو الذي يضفي عليها تلك الصفة ، انما شيء اخر ، شيء يشبه السحر لا يشدها الى عالمنا ... انما الى عالم اسطوري تلفه الالوان وطيات الاخضرار النشفافة ، واشياء اخرى جميلة مجهولة .

وتساءلت مرة اخرى : ((هل يكفي ان تضرب ابن المختار الـذي اعترض طريقها حتى يجن بحبها دراويش القرية كلها ، شبابا كانوا ام اطفالا ام عجائز من نساء ، وشيوخا ؟)) .

تذكر كيف كان اهالي القرية ، عندما كانوا يذكرونها في حديث ما ... يذكرونها بشيء من الثقة ، والامل ، والاجلال .. وحتى القدسية اضف الى ذاكرتك تفاصيل الحادث عندما راحت تسرد عليك عملية ضربها لابن المختار بلهجة عذبة . لم تطرق سمعك ابدا ... كان صوتها غائرا رقيقا ، يحمل بين طياته اكثر من اثر يشدك اليه بقوة ، ويأسرك بخيوط ناعمة ناعمة . فلا تحس بشيء من حولك ابدا ، فقط تراها امامك تتحرك .. تضحك .. تطرق خجلة .. ترفع رأسها بكبرياء .. تنظر بصفاء مزيج بالحلم والهدوء .. تركن هنيهة الى الحنان ، ثم تتابع :

((عاد عصرا من المدينة كالديك الرومي . نفش ريشه في صباح اليوم التالي على ارض البيادر ـ ظن لكونه ابن المختار ـ انه يحق له المطلق . فاقترب صباحها مني .وقال : ((صباح الخير يا شمس)) . ـ ((صباح الخير ..)) . وظللت اتابع طريقي مع بقية الفتيات اللواتي ضحكن ، وهن يخفين وجوههن بين الزهور ،والورود المنتشرة علىاثوابهن فتجرأ واقترب مني ، ثم حاذاني في سيره ، ومد يده الـى جرة الماء التي على كتفي . وقال : ((دعيها عنك ...)) واثناء ذلك تقصد لمس ثديي . فما كان مني الا ان انزلت جرة الماء عن كتفي . وانا اضحك . صفعته بقوة . ثم بصقت في وجهه . ثم شتمت اجـداد اجـداده .. فسمر في مكانه مذهولا لا يعي ما حدث ، ويده على خده المصفوع . وقبل ان ينتصف النهار ، كان قد عاد الى المدينة هربا من العار الـذي لحقـه ..)) .

كانت تحدثك بلا تكلف ، بلا غرور ، كانما تسرد لك امرا عاديـا جدا . لقد حاولت اكثر من مرة سؤالها :

((شمس .. ألم تخافي ضربه ، خاصة وابوه مختار للقرية يمكنه وضع كثير من المشاكل في طريق والدك الدرويش الرقيق الحال ؟)) . ولكنك لم تسألها ، لان القرية كلها قد اجابت على تساؤلك على مر الايام . فكان كرههم للمختار ، وغضبهم عليه يبرز لك من بين طيات احاديثهم العابرة عنه . وهم يكحون . ثم يبصقون امامهم . ويبصقون .

الحركة الثالثة :

ماتت ((شمس)) في صباح مشرق نير .

ولم يصدق الخبر ...

كان السعال قد اشتد عليها ، في ايام الاشهر الثلاثة الاخيرة ، فنوى عودها حتى باتت جلدا على عظم ... ولكنها ظلت محتفظة بملامح جمالها العميق .. بمرحها .. بشاعرية حديثها . ظلت رغم المرض شعلة من الحركة لا تهدأ ، ولا تركن ... كان الطبيبقد طلب من والدها اجراء معاملة لادخالها المصح سريعا . في هذه النقطة ، كان والد شمس يشعر بألم حارق كاو ... لان اجراءات المعاملة يجب ان يصدق عليها المختار ، ويوقع ، ويختم ، وينهي بعض اوراقها .

ماتت ((شمس)) . ولم يصدق الخبر مرة ثانية ...

كان المختار يراقب تطورات الامر عن كثب ، مبتهجا ، لان ساعـة الانتقام للعار الذي الحقته ((شمس)) بـه وبابنه قـد حـان وقتها . فكان كثيرا ما يسأل والد شمس عن صحتها ، ثم يدعو لهـا بالشفاء العاجـل .

شعر ببرودة الخبر الفارسة بعد ان تيقن من صحته تسري فـي أطرافه المثلجة ، وبخدره ...

تنهد والد شمس ، عندما انتهى من سرد أمر المعاملة مع المختار ، فعلق الاخير :

((أنا تحت امرك يا أبا شمس !)) .

قام من فراشه ، وهو لا يعي شيئا مما حوله ، غسل وجهـه ، نشفه بحركة آلية ، ثم تهالك ثانية على الفراش .

مر يوم بعد يوم ، والمختار يتهرب من اجراء المعاملة ، ويعلق :

((أنت تعـرف يا أبا شمس ، انني احاول كل ما في وسعـي . ولكن ايام زمان التي كان لنا كلمة مسموعة لدى الحكومة قد راحت وولت ... فاليوم لست سوى مختار مسكين . ومثل هذه الامـور لم أعد بقادر عليها)) .

ويغرق في التنهد متحسرا على ايام المخترة في ظل عابدين آغا ، وسيادة القايمقام عز الدين بيك ، و ...

لم يقو على الخروج . وقف بالباب ، والزمن الحزين يتابع تدفقه في ذاته . وشمس الساعة السادسة الصباحية تتلألأ فوق المساحات الخضر المحيطة بالقرية . لم يكن بالصباح البارد ، ولا بالدافـيء ... كانت القرية كلها تتجمع مع السواد امام باب والد شمس . فلميستطع الثبات في مكانه . خرج يبتغي المدرسة .

كان التلاميذ صامتين ، مطرقين . وكان حديثهم همسا ، يحمـل بين طياته حنين الذكريات ، وعذابها .

وقف في باحة المدرسة . ومسح ما حوله بنظرة شاردة أليمة ... جدران المدرسة الطينية . شجرة السرو العتيقة الجذع . العلم الممحو الالوان ، الممزق الاطراف . الملفوف على ساريته . قطرات المـاء المتباطئة في تساقطها . ذاته الحزينة المغروزة بحروف الفجيعـــة السـوداء .

رفع رأسه الى صفوف التلاميذ ، وأرتالهم تنتظم امامه . تأمل وجوههم المكسوة بحزن غريب رقيق ... ظل في وقفته يحدق فيعيونهم الصامتة ، ولسانه مثقل بكلام كثير كثير مبلل بالغضب وبالثأ .....

أشار الى عريف الصفوف المناوب ـ بعـد موت غضب ، وولادة غضب جديد في ذاته ـ أشار له ان يصعد الى مقدمة مبنى المدرسة . وينزل العلم عن ساريته .

استغرب العريف ... ولكنـه هرول لتنفيذ الامر . عندما رأى نظرة حازمة في عيني الاستاذ الغاضب .

صعد السلم الخشبي العتيق ، أنزل العلم بيد غير مدربة عـن الساري الذي بقي عاريا يعاني الوحدة .

اشار الى العريف ان ينتظم مع بقيـة التلاميذ فـي الرتل ، وان يقف الجميع بلا حركة ، او صوت ، مدة دقيقة واحدة .

ومرت الدقيقة بطيئة ... تدفقت خلالها ذكريات قديمة فـي نفسه . بكاؤه ، وهو صغير ... غضبه عندما كان يفقد شيئا عزيزا عليه . أراد ان يقول شيئا ما .. يتكلم فيها عن .. عن .. عن .

وانهت الثواني الاخيرة دقيقة الصمت ، والحداد . ولم يستطع ان يرتب في رأسه الملتهب بفورة الغضب حتى جملـة واحدة . فعصر الدفتر بين يديه . ثم قال بصوت غائر اول الامر :

ـ انصراف . اليوم عطلة ...

ظل التلاميذ في أماكنهم للحظات . ثم استدار كل واحد منهم في مكانه مطرق الرأس . وجر نفسه ... لم يتوائبوا كعادتهم . ساروا متفرقين ، ثم انتظموا في جماعة واحدة . وتسربوا داخل الحـزن ، والنشيج المخيم على دار والد شمس .

حلب — نيروز مالك

مشكلات ترجمة الأدب الإفريقي الاسيوي

بقلم د. اتار سينغ

ان اهم حقيقة تميز فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، هي حصول الامم الافريقية الاسيوية على استقلالها السياسي . فقد واجهت هذه الامم صراعا مريرا طويلا ضد مختلف الوان واشكال الاستعمار الاوروبي والامبريالية الاوروبية . وفي جميع الاحوال ، كانت هناك حركات من اجل التجديد والصحوة القومية ، تمهد للنضال الوطني في سبيل الحرية السياسية . ومما زاد من تعقيد الحركات الوطنية التي كانت تسعى من اجل تأكيد الشخصية القومية في عالم سريع التغير ، تلك الصفات المميزة لعملية الاستغلال الاستعماري القديم منه والجديد. وكان النضال الوطني يستهدف احياء الروح القومية ، واماطة اللثام عن الافكار والمثل والمؤسسات الغربية ، وكشفها وفضحها . ولقد ترتب على هذه المواجهة مع الغرب ، تولد وعي ، على مختلف المستويات، بوجود قيم ثقافية جديدة ، بما في ذلك قيم الادب الغربي .

لكن هذه المواجهة مع الغرب لم تكن بين طرفين متساويين ، وذلك لوجود عنصر من عناصر التشويه الثقافي ، في الدول التي كانت تعاني الاستعمار . لقد كانت علاقة بين الفاتحين وبين المغلوبين على امرهم ، علاقة بين السادة والعبيد ، ونتيجة لذلك فرضت الدول المستعمرة لغاتها على اللغات المحلية . ومن الواضح ان عملية الفرض هذه قد لعبت دورها في تحديد انماط نمو اللغات الافريقية الاسيوية ، ولعل اكبر دليل على ذلك تقسيم القارة الافريقية الى دول تسودها اللغة الانجليزية واخرى تسودها الفرنسية .

والواقع ان النظر الى اللغات المحلية على انها لغات تخدم اغراض الحديث فقط ، حتى في بلاد مثل الهند وباكستان حيث وصلت اللغات القومية المحلية الى مستوى عال من النمو والتطور ، واحتكار اللغة الانجليزية لمختلف قطاعات الحياة الوظيفية مثل الادارة والتعليم والصناعة والمصارف والتجارة وحتى الصحافة قد عملا على وقف نمو هذه اللغات المحلية ، وذلك بابعاد الطبقات المتعلمة عن استخدامها في مختلف عمليات النشاط الابداعي .

ومن اهم المشاكل الثقافية العديدة الناجمة عن السيطرة المطلقة للغات الاستعمارية ، انها اصبحت النافذة الوحيدة على العالم بالنسبة للشعوب الافريقية الاسيوية . وهكذا تأثرت الحياة الثقافية كلها تأثرا شديدا ، نتيجة لهذا الاعتماد الذي لا مناص منه على لغات الدول المستعمرة التي من خلالها وصلت تكنولوجيا الغرب وعلومه وفلسفته وآدابه الى الدول الافريقية والاسيوية سواء كانت تناضل من اجل الاستقلال او حصلت عليه حديثا . وبطبيعة الحال كانت هذه العملية تنطوي على تلوين ايديولوجي اذ ان اللغات ليست مجرد ادوات اجتماعية محايدة ، فيمكن استخدامها بسهولة لتحديد نمط الحياة وصياغة اشكال الفن والسلوك ، والتعبير الثقافي ، بل ويمكن استخدامها للتاثير على خيال الناس وامانيهم ، وعلى اعمق ما تختلج به افئدتهم من مشاعر واحاسيس .

واذا افترضنا انه حتى على الرغم من الجهود التي تبذلها الدول حديثة العهد بالاستقلال لابراز اللغات القومية كوسيلة لتسيير الجهاز الاداري او التعليم ، اشتدت قبضة اللغات الاوروبية على الحياة القومية في الامم المستقلة حديثا،فان هذا انما يرجع اساسا للانقسام الاجتماعي الثقافي العميق الذي احدثته اللغات الاوروبية في هذه الامم . وليس في الامكان التغاضي عن المزايا العملية الاساسية التي ستعود على الشعوب الافريقية الاسيوية من تعلم اكبر عدد ممكن من اللغات سواء أكانت غربية ام لا . ولكن هذا لا يعني اننا نتقبل بلا تردد ان تحل اللغات الاجنبية محل اللغات الوطنية . وعلى العكس من ذلك فان تأكيد الوضع الرفيع الفريد للغات القومية في الحياة القومية للشعوب الافريقية الاسيوية ، هو الشرط الاساسي ليس فقط لكي تتمكن من تحديد مصيرها بنفسها والسيطرة على مقدراتها وانما ايضا كي تحتفظ بتماسكها القومي وتحمي ذاتها .

وهكذا نجد ان تبعية اللغات الافريقية الاسيوية (ربما باستثناء الصينية واليابانية) للغات الاوروبية ، قد عرقل تطور الصلات الثقافية بين الشعوب الافريقية الاسيوية .

والواقع ان اللغات الاوروبية كانت بمثابة الاداة الرئيسية في عملية نقل الادب الغربي الى الشعوب الافريقية الاسيوية ، الا انها لم تقم بالدور الاكثر اهمية ونعني به دعم التبادل الثقافي الهادف . ولم يترجم الا جزء لا يكاد يذكر من ادب الشعوب الافريقية الاسيوية الى هذه اللغات وهنا ايضا نجد انه تعطى الاهمية الاولى للنصوص الدينية والصوفية ، التي ربما لا تلقى استجابة الا من جانب عدد محدود من القراء الاوروبيين ولم تعمل اية دولة مستعمرة على تشجيع اللغات او الاداب الافريقية الاسيوية في مستعمراتها ، كما انها لم تشجع اي لغات اوروبية اخرى غير لغتها . ونتيجة لذلك انعزلت غالبية الامم الافريقية الاسيوية ، ليس فقط ، عن شقيقاتها الافريقيات الاسيويات المجاورة لها ، وانما حرمت ايضا من فرصة الحصول على نوافذ بديلة على العالم الخارجي . ومثل هذه العزلة التامة لا بد وان تؤدي الى عدم تعرف الشعوب الافريقية الاسيوية على بعضها ، حيث انه لا توجد بينها وسائل اتصال مشتركة تكفي لسد هذه الهوة .

واذا ما نظرنا الى العالم الافريقي الاسيوي من وجهة نظر لغوية محضة ،فاننا سنرى مشهدا ينطوي على الكثير من الاختلاف والتباين . ومن حق هذه الامم جميعا ان تفخر بتراثها الادبي الوطني .

والواقع انه يمكن ان نعتبر الدول التي تضم اجناسا متعددة مثل الهند وباكستان بمثابة قارات ، وذلك اذا ما اخذنا في الاعتبار الملايين من الاشخاص الذين يتحدثون عددا كبيرا من اللغات . ولذا فانه يتحتم على اي مشروع جريء يتسم بسعة الخيال يستهدف دعم نشاط الترجمة على المستويين الوطني والدولي داخل العالم الافريقي الاسيوي ، ان يأخذ هذا التباين الشديد بعين الاعتبار . وكاتب هذا البحث لا يعرف لغة غير الروسية التي تتوفر لها امكانيات الترجمات المباشرة من اداب اللغات الافريقية والاسيوية واليها . وهنا ايضا نجد ان غالبية الترجمة من الادب الروسي الى اللغات الافريقيه الاسيوية ، انما تتم من خلال الانجليزية او الفرنسية . وهذا ينطبق على الهند على الاقل . ونادرا ما نجد اعمالها مترجمة في اللغات الهندية من اللغة الانجليزية مباشرة .

لذلك ، فليس من المدهش ان يفقد الاصل من طابعه عند ترجمته للمرة الثالثة او الرابعة من اللغات التي ترجم اليها من قبل ، جانبا اكبر بكثير مما يفقده عند ترجمته من لغته الاصلية مباشرة . اما اذا كانت الترجمة من اي من الاداب القومية السوفييتية الاخرى فسيكون الفارق بين العمل الادبي الاصلي والترجمة كبيرا جدا ، اذ ليست هناك في الوقت الحاضر تسهيلات لترجمة اعمال الكتاب السوفييت الى اللغات الافريقية الاسيوية مباشرة ، اللهم الا من اللغة الروسية .

ولعل من المناسب ، في هذا الصدد ، ان نشير الى ان اهم المشكلات التي ينبغي ان نواجهها هي كيف يتسنى لنا تطوير بعض اللغات الافريقية الاسيوية نفسها كوسيلة للتبادل الادبي بين الشعوب الافريقية الاسيوية وبذلك نتجنب الحاجة الى الالتجاء الى اللغات الاخرى غير الافريقية او الاسيوية . وقد استطاعت الهيئة القومية للكتاب في الهند معالجة هذه المشكلة ، على نطاق محدود ، ضمن خطتها المعروفة للتبادل الادبي بين مختلف اللغات الهندية ، وهي الخطة التي تعرف باسم ادان - براداں . فلا يوجد ، حتى الان ، نشاط يذكر في مجال الترجمة بين اللغات الهندية وبعضها البعض ، والاعمال القليلة التي امكن ترجمتها كانت تتم اساسا عبر اللغة الانجليزية . الا ان الهيئة القومية للكتاب ، حاولت ، بالتوجيه الملهم لكارتار سينغ دوجال ، كاتب القصة القصيرة البنجابي الشهير ، قلب هذا الوضع . فقد ابتدعت اسلوبا لوضع نسخة اساسية باللغة الهندية مستمدة من مختلف الكتب المختارة من اللغات الهندية الهامة لترجمتها الى اللغات الاخرى في وقت واحد . ومن هذه النسخة الاساسية باللغة الهندية تتم الترجمة الى جميع اللغات الاخرى . وقد احتفظت الترجمات التي تمت بهذه الطريقة بطابعها الهندي الاصيل بدرجة اكبر كثيرا مما كان متوقعا . وتزداد هذه الحقيقة وضوحا عندما نقارن بين جودة هذه الترجمات من الناحية الادبية وجودة الترجمات الاخرى السابقة الشائعة لاعمال رابندرانات طاغور نقلا عن الترجمة الانجليزية لها . والى ان يتوفر العدد الكافي من المترجمين الاكفاء القادرين على الترجمة من احدى اللغات الهندية الى اللغة الاخرى ، كما هو الحال في الدول الاوروبية ، سيكون من المفيد استخدام اللغة الهندية كلغة للتبادل الادبي بين مختلف اللغات المستخدمة في انحاء الهند .

وبالمثل ، فاذا كانت حركة الكتاب الافريقيين الاسيويين تبغى توجيه جهودها نحو تشجيع الترجمة المباشرة من لغة الى اخرى ، فينبغي وضع خطة لجعل بعض اللغات الافريقية الاسيوية الهامة مثل العربية والفارسية ، والاردية ، والهندية ، والتاميلية ، والسواحيلية ، والصينية ، واليابانية هي لغات التبادل الادبي . وتقوم الفكرة على ترجمة افضل الاعمال الادبية في العالم الافريقي الاسيوي الى هذه اللغات وتسهيل ترجمتها بعد ذلك الى اللغات الافريقية والاسيوية الاخرى المرتبطة بها .

كما عولجت مشكلة الترجمة بين اللغات الافريقية الاسيوية من زاوية اخرى . اذ علينا ان نميز بين ترجمة الاداب الكلاسيكية وكتابات الكتاب المعاصرين . فبينما يمكن ان نترك الاداب الكلاسيكية القديمة للاكاديميات والجامعات ، فمن الافضل بل ومن الواجب ان تتولى حركة الكتاب الافريقيين الاسيويين بنفسها - لاسباب واضحة - ترجمة الكتابات المعاصرة . الا انه ينبغي ، بادىء ذي بدء ، ضمان استمرار تجميع المعلومات عن الكتابات المعاصرة الهامة بمختلف اللغات الافريقية والاسيوية ، وتبادلها بشكل منتظم ، لا سيما ان ذلك يقلل من الفترة الزمنية بين ظهور العمل الادبي لاول مرة بلغته الاصلية وترجمته الى اللغات الاخرى ، ففي الاوضاع الحالية ، تمر سنوات بل وعشرات السنين قبل ان يلاحظ ظهور اي عمل ادبي من الاعمال الهامة باحدى هذه اللغات . وقد يكون من المفيد هنا ان نستفيد من تجربة الاتحاد السوفييتي في مجال تنظيم الترجمة بين مختلف اللغات المستخدمة في انحاء الاتحاد السوفييتي . فاذا ما تغلبنا على هذه المشكلات سيكون بوسعنا ان نضمن ظهور شخصية وتقاليد ادبية افريقية آسيوية حقيقية .

والترجمة وحدها لا تمثل الا حلقة واحدة في التقريب بين الاداب الافريقية الاسيوية واهم منها ان نشجع الاهتمام الجدي بين الشعوب الافريقية الاسيوية باداب بعضها البعض . والمتوقع بطبيعة الحال ، انه ليس هناك افضل من مشاركة الشعوب الافريقية الاسيوية في التراث الادبي لبعضها البعض لان التراث الادبي للشعوب الافريقية الاسيوية يسجل ذكريات التطلعات والتجارب المشتركة ، وما تعرضت له هذه الشعوب من استغلال استعماري ونضالها البطولي ضد القوى الاستعمارية ، واحلامها في ان يسود السلام ، وان يتحقق العدل الاجتماعي والتحرر من العوز . ولكن ذلك لم يتحقق بعد . فبينما وجهت معظم الشعوب الافريقية الاسيوية القدر الاكبر من طاقاتها ومواردها من اجل الالمام الكامل بالاداب الاوروبية (وليس الى دراسة اللغات الاوروبية) لم يبذل اي جهد يذكر حتى الان لتشجيع دراسة الاداب الافريقية والاسيوية بين هذه الشعوب . بل انه بالرغم من ان الهند وباكستان تشتركان فيما لا يقل عن ثلاث لغات رئيسية هي البنجابية ، والسندية ، والاوردية ، كما تشتركان في التقاليد، لم تعبأ الهند باجراء اي دراسة منظمة لاي من الاداب الباكستانية كما لم تكلف باكستان نفسها عناء الاهتمام بالاداب الهندية .وهذا هو الحال في عالم الدول الافريقية بصفة عامة .

ومن المثير للاهتمام ان نلاحظ انه بينما تمتلىء المكتبات في الدول الافريقية الاسيوية تماما بكتابات لا ترقى الى مستوى الادب (مما تنتجه المطابع بكميات كبيرة باللغات الاوروبية) اكثرها من الكتابات التي تتحدث عن الهروب وتعالج الجريمة ، والعنف ، والجنس ، والاباحية، والتعاليم الدينية الزائفة ، لا نكاد نشهد على رفوف هذه المكتبات عملا من اعمال الكتاب الافريقيين الاسيويين - وان سمت مكانتهم ، وتحويل عالم الادب الافريقي الاسيوي باكمله - على هذا النحو - الى مساحة مظلمة ، لا يمكن فهمه الا في اطار التأثير المعرقل للعقلية الاستعمارية التي ظلت تحافظ على بقائها حتى بعد الاطاحة بالامبريالية في الجزء الاكبر من العالم الثالث . ورغم ان اقناع الشعوب الافريقية الاسيوية بضرورة تشجيع دراسة الاداب الافريقية الاسيوية يستغرق الكثير من الوقت والجهد الدبلوماسي ، ينبغي على اللجان الوطنية للكتاب الافريقيين الاسيويين ان تبحث امكانية اصدار مجلات عن الادب الافريقي الاسيوي بلغاتها الوطنية لتكون بمثابة ساحات لتبادل الاعمال الادبية وتشجيع الاهتمام بالنقد الادبي على صفحاتها . اما اذا لم يتيسر اصدار مثل هذه المجلات على الفور ، فعلى الاعضاء العاملين في حركة الكتاب الافريقيين الاسيويين ان يساهموا بجهودهم الفردية في خلق اهتمامات جديدة بالاداب الافريقية الاسيوية ، ومحاولة اشباع هذه الاهتمامات .

د . أتار سينغ — الهند

النشاط الثقافي في العالم

الاتحاد السوفياتي

المؤتمر الخامس لكتاب آسيا وافريقيا

عقد المؤتمر الخامس للكتاب الافريقيين والاسيويين في الما آتا عاصمة كازاخستان السوفياتية وحضره عدد كبير من الادباء المنتمين الى هاتين القارتين ، كما حضره كتاب من العديد من دول اوروبا وأميركا .

وقد افتتح المؤتمر ، رئيسه جيورجي ماركوف الامين العام لمجلس ادارة اتحاد الكتاب السوفيات ، فحيا الحضور تحية حارة باسم رجال الادب السوفيات الذين يكتبون بـ ٧٥ لغة من لغات قوميات وشعوب الاتحاد السوفياتي . ومما قاله :

يفتتح هذا المؤتمر في زمن جدير بالملاحظة ، أي عندما اصبحت السماء فوق كوكبنا اكثر صفاء ، وفي الوقت الذي تمارس فيه نجاحات قضية السلام والانفراج ، تأثيرا قويا على المناخ السياسي لجميع القارات ، تلك النجاحات التي توصل اليها بفضل سياسة السلام التي يتبعها الاتحاد السوفياتي وبلدان الاسرة الاشتراكية والدول المسالمة الاخرى .

وعبر جيورجي ماركوف عن يقينه بأن المؤتمر سيساهم اكثر في تلاحم الصلات بين الكتاب التقدميين .

ثم تحدث بعده دين ـ محمد كونايف ، عضو المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي والامين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي في كازاخستان قائلا :

يستقبل السوفيات اليوم ضيوفهم الاعزاء رجال آداب القارتين ، الذين تجسد مؤلفاتهم العواطف الثورية للنضال التحرري للشعوب ، آمال وتطلعات مئات الملايين من الناس . والسوفيات ، هم الانصار المتحمسون للمساواة بين جميع الامم ، وللسلام وللصداقة بين الشعوب ، وهم بناة دولتنا المتعددة القوميات . لقد عهد لينين اليهم جميعهم بمهمة تقديم الدعم بكل الوسائل وبدأب لنضال جميع العمال والشعوب المضطهدة من الامبريالية والاستعمار وللسلام والامن والمساواة في الحقوق بين كل شعوب الكرة الارضية .

واضاف دين ـ محمد كونايف : ان التاريخ لشاهد نزيه على ان حزبنا ودولتنا السوفياتية كانا ولا يزالان يهتديان بالافكار اللينينية . فعلى اساس هذه الافكار أعد المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعي السوفياتي برنامج السلام . وتطبق اللجنة المركزية لحزبنا ومكتبها السياسي ، والامين العام للجنة السياسية للحزب الشيوعي السوفياتي الرفيق ليونيد بريجنيف شخصيا ، سياسة سلام وتعاون وصداقة بين الشعوب على الصعيد الدولي ، بشكل منطقي وموجه نحو هدف محدد .

وبعد ان تمنى دين ـ محمد كونايف اكبر النجاحات للمشتركين في لقاء الما آتا ، تلا رسالة التحية الموجهة من قبل ليونيد بريجنيف الى مندوبي المؤتمر الخامس لكتاب بلدان آسيا وافريقيا والتي استقبلت بتصفيق حار من الحضور .

وقدم يوسف السباعي ، الامين العام لاتحاد كتاب بلدان آسيا وافريقيا ، تقريره العام ، وعبر فيه عن الشكر العميق والامتنان للشعب السوفياتي العظيم ولحزبه وحكومته ولكل من ساهم في التحضير للمؤتمر .

وقال : تخوض اليوم شعوب آسيا وافريقيا نضالا قاسيا في سبيل التقدم والديمقراطية والسلام . لقد حصل عدد كبير من بين هذه الشعوب على الاستقلال الوطني وتحرر من نير الامبريالية والاستعمار ، وهو ينتظر الكثير منا ، نحن الكتاب وشغيلة الثقافة .

واقترح يوسف السباعي ان تدرج في رأس جدول اعمال المؤتمر ، قضية مهام كتاب آسيا وافريقيا من اجل النضال في سبيل السلام والديمقراطية والتقدم الاجتماعي وضد الامبريالية والصهيونية والاستعمار الجديد والتمييز العنصري .

وأعطيت الكلمة بعد ذلك الى كامل ياشين الكاتب الاوزبكي ورئيس اللجنة السوفياتية للعلاقات مع كتاب بلدان آسيا وافريقيا ، فقال : لم تكن ابدا قبلا صفوف حركتنا مرصوصة بالصورة التي هي عليها اليوم ولم نستطع ابدا ، قبلا ، أن نتمثل مهماتنا واهدافنا النبيلة والانسانية على هذا القدر من الوضوح . ويشهد هذا بقوة جديدة على حيوية حركتنا والحاجة الكبرى اليها وعلى صفتها الديموقراطية الحقيقية . والمؤلفات رجال الادب الافريقيين والاسيويين شعبية واسعة في بلادنا حيث تظهر كتب هؤلاء المؤلفين باعداد ضخمة من النسخ ، وتنمو هذه الاعداد باستمرار .

ثم صعد الى المنصة انوربيك عليمجانوف الامين العام لمجلس ادارة اتحاد كتاب كازاخستان ، وأكد : ستصبح ندوتنا ندوة الاماني المشتركة وتقارب الثقافات ورص صفوف كتاب بلدان آسيا وافريقيا حيث يعيش ثلثا الانسانية . بالنسبة لنا ، نحن الكتاب ، ارتبط مستقبل الكوكب، والرغبة في خلق الظروف المناسبة من اجل السعادة والانطلاق الروحي لكل فرد ، بمهمتنا بشكل ينفصم . ولكن ، لكي نستطيع انجاز مهماتنا ، نحن بحاجة الى الوحدة التي بدونها لا يمكن تصور اعمال فعالة تهدف الى توطيد سلام وأمن الناس .

وتناول تشنغيز ايتماتوف ، الاديب القرغيزي المعروف ، دور الادب في تطوير المجتمع المعاصر ، وفي النضال من اجل التقدم الاجتماعي ، وفي تشكيل الانسان كشخصية ، فقال : تبين تجربة الادب السوفياتي انه ، وحده الاعتماد على اساس واقعي ، يقدم للادباء المجال لرسم الحياة بكل تنوعها .

وقد شهدت بأهمية المؤتمر الضخمة ، رسالات التحية الموجهة الى الندوة من قبل رؤساء الدول والحكومات ، والمنظمات الاجتماعية لمختلف البلدان .

وننشر فيما يلي مقررات المؤتمر :

قرارات المؤتمر

القرارات السياسية

أ ـ قرار بشأن الهند الصينية

ان المؤتمر الخامس للكتاب الافريقيين الاسيويين المنعقد في الماآتا عاصمة جمهورية قازاقستان السوفييتية الاشتراكية من ٤ ـ ٩ سبتمبر ١٩٧٣ ، يرحب بجدارة بتوقيع اتفاق باريس الذي وضع حدا للحرب واعادة السلام في فيتنام وينظر الى الانتصار الباهر للشعب الفيتنامي البطل باعتباره انتصارا مشتركا لشعوب آسيا وافريقيا ولكل القوى المناضلة ضد الامبريالية ، والاستعمار ، والاستعمار الجديد ، من أجل السلام والاستقلال الوطني ، والديمقراطية ، والتقدم الاجتماعي .

ان المؤتمر ليعتز بذكرى خيرة ابناء وبنات فيتنام ممن جادوا بحياتهم في ذلك النضال العظيم ، ويشعر بالفخر للاسهامات العظيمة للكتاب الفيتناميين في ذلك الانتصار الكبير .

وان المؤتمر ليشعر باشد الاستنكار اذ يلاحظ انه نتيجة للخرق الخطير بصورة متتابعة لكثير من النصوص الهامة في اتفاقية باريس بمعرفة حكومة سايجون والامبرياليين الامريكيين ، فان وقف اطلاق النار لم يراع بدقة ، وحريات الشعب الديمقراطية لم تحترم ، وان اكثر من ٢٠٠٫٠٠٠ وطني ومحب للسلام ، من بينهم كثرة من العاملين الثقافيين، ما زالوا معتقلين ومعرضين للتعذيب ، وان آلافا منهم قد قتلوا خفية . والمؤتمر يطالب بوضع حد فوري وحاسم لهذه المخالفات ومراعاة التنفيذ الدقيق لكل نصوص اتفاق باريس ، ولقرار المؤتمر الدولي عن فيتنام والبيان المشترك الصادر في ١٣ يونيو ١٩٧٣ .

ان المؤتمر يحيي ويساند مساندة كاملة الوقفة الجادة والموقف الدال على صدق النية الذي تقفه الحكومة الثورية المؤقتة لجمهورية فيتنام الجنوبية وجمهورية فيتنام الديمقراطية في مجال تنفيذ تلك الوثيقة .

ان المؤتمر يقدر كل التقدير المقترحات المنطقية والمعقولة التي تقدمت بها الحكومة الثورية المؤقتة لتسوية مشكلات فيتنام الداخلية بروح من التصالح القومي والوفاق . وكتجسيد للتضامن النضالي بين شعوب آسيا وافريقيا ، يعيد المؤتمر تأكيد دعمه الكامل للحكومة الثورية المؤقتة في نضالها الذي لا ينقطع في سبيل فيتنام جنوبية متمتعة بالسلام ، والاستقلال والحياد ، والديمقراطية ، والوفاق القومي بحيث تسير قدما نحو اعادة توحيد فيتنام سلميا .

ان المؤتمر يدعو بقوة الادباء ، وكل من يعتزون بالسلام ،والاستقلال الوطني والديمقراطية والتقدم الاجتماعي في آسيا وافريقيا والعالم اجمع :

ـ الى ان يرفعوا اصواتهم عاليا لمطالبة حكومة سايجون والولايات المتحدة بالالتزام الدقيق بتنفيذ نصوص اتفاقية باريس وقرار المؤتمر الدولي عن فيتنام ، وبيان ١٣ يونيو المشترك ،

ـ ان يتخذوا الاجراءات العاجلة للعمل على اطلاق سراح الوطنيين ومحبي السلام المعتقلين بمعرفة حكومة سايجون .

ـ ان يعمقوا نشاطهم في سبيل اعتراف مزيد ومزيد من البلدان ، وبلدان آسيا وافريقيا بالدرجة الاولى ، بالحكومة الثورية المؤقتة بوصفها الممثل الشرعي الوحيد لشعب فيتنام الجنوبية ،

ـ ان يقووا دعمهم السياسي والمعنوي والمادي لشعب شمال وجنوب فيتنام وان يساعدوا ذلك الشعب على التآم جراح الحرب واعادة بناء بلاده .

والمؤتمر يرحب بانتصار الشعب الكمبودي الذي يمثله انتهاءالقصف الجوي الامريكي لكمبوديا ، ويدعم دعما كاملا النضال العادل للشعب الكمبودي المتحد في اطار جبهة الوحدة الوطنية في سبيل كمبوديا متمتعة بالسلام ، والحياد ، والديمقراطية ووحدة اراضيها .

ويرحب المؤتمر بانتصار شعب لاوس كما تمليه توقيع اتفاقية فينتيان ويدين بصرامة القوى اليمينية المتطرفة في لاوس ، وعملاء الامبريالية الامريكية الرجعيين الاجانب الذين يحاولون محاولات محمومة تخريب الاتفاقية ، ويدعم المؤتمر دعما كاملا النضال العادل لشعب لاوس تحت قيادة جبهة لاوس الوطنية ، عملا على دعم السلام ،والوصول الى الوفاق الوطني وبناء لاوس موحدة متمتعة بالسلام والاستقلال والحياد والديمقراطية .

ويقدر المؤتمر تقديرا عظيما الدعم الكبير القيمة متعدد الجوانب والفعال الذي يقدمه الشعب الفيتنامي والبلدان الاشتراكية والقوى التقدمية والمحبة للسلام في العالم اجمع . ان التضامن الذي يشكل التضامن بين شعوب وكتاب قارتينا العظيمتين جزءا لا يتجزأ منه سيظل ابدا مثالا سأميا على الوحدة بين البشر ، وعلى حسن النية ، وانتصار المثل العليا والحرية والسلام .

ب ـ قرار بشأن العدوان الاسرائيلي
المستمر على البلاد العربية

نحن كتاب البلاد الافريقية الاسيوية المجتمعين في مؤتمرنا الخامس في الماآتا عاصمة جمهورية قازاقستان السوفييتية ، ندين بتصميم العدوان الاسرائيلي على البلاد العربية ونعلن تضامننا مع النضال العادل للشعب العربي .

لقد استمرت اسرائيل تحتل منذ ستة اعوام بعض الاراضي العربية، وتواصل سياسة الارهاب والعنف ضد سكان هذه الاراضي ، وترفض الاذعان لقرارات مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة وتقوم باستفزازات عسكرية مستمرة ضد الدول العربية . وهذا الموقف الذي تتخذه اسرائيل وتشجعه الدوائر الامبريالية والصهيونية ، وهي العدو الاكبر للشعب العربي ، يشكل العقبة الرئيسية امام التسوية العادلة والسلمية في الشرق الاوسط .

والمؤتمر الخامس للكتاب الافريقيين الاسيويين :

يحث كل اتحادات الكتاب وكل الادباء والشعراء من افريقيا وآسيا وفي جميع انحاء العالم على الاحتفال بأول يونيو ، الذي يحتفل به في اطار اسبوع التضامن مع نضال الشعب العربي ، كيوم للتضامن مع نضال الشعب الفلسطيني .

يعرب عن تقديره العميق للمساعدة الكبيرة التي يقدمها الاتحاد السوفييتي لنضال الشعوب العربية وتأييد موقفها الحازم للحفاظ على مكاسبها الثورية الهامة في ظروف العدوان الاسرائيلي والمؤامرات الامبريالية والصهيونية ، وكذلك مواصلتها تنمية اقتصادياتها وثقافاتها القومية لدعم قدرتها على تصفية العدوان واعادة بناء المجتمع الجديد .

ويطالب المؤتمر كل القوى الديمقراطية ، وكل الشرفاء في العالم ان يتخذوا الاجراءات الحازمة لانهاء اعمال اسرائيل العدوانية المستمرة وسياستها المتجاهلة للرأي العام العالمي .

ويؤمن المؤتمر بانه يجب ان تتم تسوية الصراع في الشرق الاوسط على اساس الانسحاب الكامل للقوات الاسرائيلية من كل الاراضي العربية المحتلة ، واحترام استقلال الشعب العربي وحقوقه المشروعة ، بما في ذلك الشعب الفلسطيني .

والمؤتمر الخامس للكتاب الافريقيين الاسيويين :

يحيي النضال المجيد الشجاع المستمر الذي يشنه شعب فلسطين

والثورة الفلسطينية ضد العدوان الاسرائيلي من اجل استعادة حقوق الشعب العربي في فلسطين .

يدين الطرق الوحشية التي تستخدمها اسرائيل في معاملة السكان العرب واجبارهم على الهجرة وتغيير معالم المناطق المحتلة ، واقامة المستوطنات ، وتدمير القرى وهدم المنازل وانتهاك حقوق الانسان .

يعتبر نضال الشعب الفلسطيني جزءا لا يتجزأ من حركة التحرير العربية والعالمية ، ويجد فيها مساهمة ايجابية وفعالة في نضال الشعب العربي ضد الصهيونية والامبريالية العالمية .

يناشد كل كتاب وشعراء العالم تأييد النضال العادل للشعب الفلسطيني .

يدين المشروع التآمري الذي خططته الامبريالية الامريكية بالتواطؤ مع القوى الرجعية الاخرى ضد الشعب الفلسطيني ونضاله العادل .

يحيي كتاب وشعراء فلسطين الشهداء الذين اغتالتهم يد الغدر الاسرائيلي : غسان كنفاني وكمال ناصر ووائل زعيتر الذين سقطوا بينما كانوا يدافعون عن قضية شعبهم ، واننا نوصي ببذل كل الجهود لترجمة اعمالهم الادبية ونشرها .

ويعبر المؤتمر عن احر تحيات ومشاعر الاخوة النضالية للشعب الفلسطيني كله في نضاله العادل من اجل استعادة وطنه حيث يستطيع ان يمارس حقه في تقرير مصيره .

والمؤتمر يؤيد نضال الشعب العراقي وجبهته الوطنية ، بجانب جميع القوى التقدمية داخل البلاد في اطار جهودها لترسيخ الحل السلمي الديمقراطي للمشكلة الكردية في العراق .

والمؤتمر يعلن تأييده للنضال الذي تخوضه شعوب بلاد الخليج العربي ضد مؤامرات الامبريالية التي تهدف الى بث الفرقة بين هذه الشعوب وتقويض صداقتها وتضامنها واعادة التنمية التقدمية المستقلة التي تحدث في عدد من بلاد هذه المنطقة .

وينهض الادباء بدور عظيم في تعبئة الامة العربية وتجميع صفوفها من اجل تحقيق هذه الاهداف .

واننا نقدر ابلغ التقدير مساهمة زملائنا ، الكتاب العرب في النضال العادل لامتهم ، ونعلن اننا سوف نواصل تقديم التأييد الشامل والمساعدة لهم .

ويناشد اعضاء المؤتمر كل من يعمل من اجل السلام والعدالة ان يقدم المساعدة المعنوية والسياسية والمادية للنضال العادل المناهض للامبريالية الذي تخوض غماره الامة العربية .

ج ـ قرار بشأن التضامن
مع نضال شعوب افريقيا من اجل التحرير

اليوم وقد تخلصت معظم الشعوب الافريقية الاسيوية من قيود العبودية الاستعمارية وسارت على طريق النهضة الوطنية لتبنى حياتها الجديدة ، يغرق نظام الحكم الاستعماري البرتغالي ارض انجولا وموزمبيق وغينيا (بيساو) بالدماء ،بينما يسيطر الطغاة العنصريون على زيمبابوي (روديسيا) وجنوب افريقيا وناميبيا التي ضمتها الاخيرة اليها .

ويعتبر المؤتمر الخامس للكتاب الافريقيين الاسيويين المنعقد في الماآتا عاصمة جمهورية قازاقستان السوفييتية الاشتراكية ، عن تضامنه مع شعوب المستعمرات البرتغالية المناضلة في انبولا وموزمبيق وغينيا (بيساو) وجزر الراس الاخضر وساوتومى ، ويشيد بالنجاح العظيم الذي حققته هذه الشعوب في نضالها الباسل من اجل التحرر الوطني والعدالة الاجتماعية . لقد تحررت اراضي كثيرة وبدأ الناس هناك يبنون حياة جديدة .

ان المؤتمر يدين بتصميم الحرب الاجرامية التي يفرضها الاستعمار البرتغالي على شعوب انجولا وموزامبيق وغينيا بيساو ويدمغ الحكومة البرتغالية لرفضها الاعتراف بحق هذه الشعوب في الاستقلال ، الامر الذي يتعارض تعارضا كاملا مع القرارات التي اتخذتها الجمعية العامة للامم المتحدة ومجلس الامن واللجنة الخاصة التابعة للامم المتحدة لتنفيذ اعلان منح الاستقلال للبلاد والشعوب الواقعة في براثن الاستعمار .

ويطالب المؤتمر باجراء تحقيق شامل عن الجرائم الدنيئة التي يرتكبها الاستعماريون الذين يبيدون السكان الامنين العزل من السلاح في قرى باكملها في موزامبيق ، ويعلن المؤتمر انه يجب توقيع القصاص على المجرمين الذين ارتكبوا هذه الفضائح . ونعبر عن سخطنا العميق لان المستعمرين البرتغاليين يلجاون في حربهم القذرة ضد القوى الوطنية الى النابالم والمواد الكيماوية والمبيدات الزراعية .

ونحث كل القوى التقدمية في العالم على استخدام كل الوسائل لمنع حكومات حلف شمال الاطلنطي من ارسال شحنات الاسلحة الى الاستعمار البرتغالي .

ونناشد كل الذين يعتزون بمثل السلام والحرية والاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي ان يزيدوا من تأييدهم لشعوب انجولا وموزمبيق وغينيا (بيساو) وجزر الراس الاخضر وساوتومي في نضالها العادل ضد كافة مظاهر الاستعمار والاستعمار الجديد .

ويعلق المؤتمر الخامس للكتاب الافريقيين الاسيويين اهمية كبيرة على اعتراف الدول الافريقية الاسيوية اعترافا واقعيا وقانونيا بالحركة الشعبية لتحرير انجولا وحزب الاستقلال لغينيا (بيساو)وجزر الرأس الاخضر وجبهة تحرير موزامبيق بصفتها المثل الشرعي الوحيد لشعوب انجولا وغينيا (بيساو) وموزامبيق حيث ان هذه الحركات التحررية قد اصبحت ، في الواقع حامية لسيادة شعوبها .

ويدين المؤتمر بحزم مخطط القوى الامبريالية والعنصرية في البرتغال وجنوب افريقيا وروديسيا .

ويرفع المؤتمر الخامس للكتاب الافريقيين الاسيويين صوته في احتجاج صارخ ضد الدكتاتورية العنصرية في روديسيا وجنوب افريقيا. ويعلن عن تصميمه بان يقدم كل مساندة للجماهير في هذه البلاد ، في نضالها العادل ضد الاضطهاد السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، وكذلك ضد التفرقة في مجال الثقافة .

واننا نعرب عن تضامننا مع الاعمال الباسلة التي يقوم بها عمال جنوب افريقيا ، الذين يتحدون ببسالة الحكومات ذات النمط الفاشي . ونحث كل الدول ان تقاطع بحزم ، سياسيا واقتصاديا ، نظم الحكم المناهضة لشعوب افريقيا الجنوبية ونطالب بوقف كل شحنات الاسلحة الى هذه الحكومات في الحال .

ويطالب المؤتمر بوضع حد لتعذيب المسجونين ومنح الحرية للمسجونين السياسيين وكل ضحايا الظلم .

ويناشد المؤتمر كل كتاب آسيا وافريقيا والمؤلفين التقدميين في كل البلاد ان يعملوا على تقوية تضامنهم مع نضال الشعوب ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد . ويؤكد المؤتمر ان من واجب كل كتاب العالم ان يبذلوا كل ما في وسعهم ليساعدوا من خلال عملهم الخلاق ونشاطهم العام ـ الشعوب الافريقية في نضالها للقضاء على بقايا العنصرية والاستعمار على الارض الافريقية .

د ـ قرار بشأن الشعب الشيلي

ان المشتركين في المؤتمر الخامس للكتاب الافريقيين الاسيويين يحيون تحية قلبية شعب جمهورية شيلي الذي ظل طيلة السنوات الثلاث الماضية ، تحت قيادة سلفادور الليندي، يحقق تحولات اقتصادية واجتماعية ثورية في صالح الجماهير العاملة .

ان الكتاب الافريقيين الاسيويين يدينون بشدة الانشطة الاجرامية للرجعية المحلية والدولية التي تنحط في معرض محاولتها لتجريد شعب شيلي من مكاسبه الثورية — الى حد الاثارة المفضية الى اراقة الدماء وخطر الحرب الاهلية .

فبعد الثورة الكوبية الظافرة تمثل التطورات في شيلي حلقة اخرى في سلسلة الحركات الثورية الشعبية في امريكا اللاتينية .

ان المشتركين في المؤتمر يعبرون عن تضامنهم الكامل مع شعب شيلي في نضاله ويرجون له نصرا حاسما على الطريق الذي اختاره لنفسه ، ويقدمون تحياتهم الاخوية لكتاب شيلي الذين تعتبر اجتهاداتهم الادبية عونا لشعبهم في نضاله العادل .

القرارات السياسية

هـ — قرار بشان ساحل الصومال « الفرنسي »

المؤتمر الخامس للكتاب الافريقيين الاسيويين

— يحيي نضال شعب ساحل الصومال من اجل الاستقلال ويدين السياسة الاستعمارية الفرنسية في ساحل الصومال ، ويطالب بالاعتراف بحق الشعب في هذا الجزء من الوطن الصومالي بحقه في تقرير مصيره ، وفقا لقرار لجنة تصفية الاستعمار في الامم المتحدة .

القرارات الثقافية

قرار اللجنة الثقافية الاولى

ان اللجنة الثقافية الاولى

وقد ناقشت بالتفصيل في جلساتها الثلاث :

١ — دور الادب في عملية التحول الاجتماعي وفي خلق مجتمع جديد ، وانعكاس صورة الانسان الجديد في الادب الافريقي الاسيوي المعاصر .

٢ — اماطة اللثام عن الايديولوجية الرجعية الاستعمارية والنضال ضد تغلغلها في الحياة الثقافية في البلاد الافريقية الاسيوية .

وقد درست :

أ) اهمية الكاتب في تسليط الاضواء على مشكلات الشعوب وكونه ضميرها المعنوي لهذه الشعوب وهدايتها في نضالها من اجل التحرر .

ب) وان الشعوب الافريقية والاسيوية تمر بمراحل متفاوتة في تطورها التاريخي اذ ان بعض الشعوب على سبيل المثال — ما زالت ترزح تحت الحكم الاستعماري الغاشم ، على حين تخوض شعوب اخرى نضالا ايجابيا من اجل التحرر الوطني ، بينما تكرس شعوب اخرى كل جهودها — بعد نيل استقلالها السياسي في عملية اعادة البناء السياسي والاقتصادي والاجتماعي على سبل اشتراكية ، وانه ينبغي على الكتاب — بناء على ذلك — ان يجعلوا من كتاباتهم انعكاسا لضرورات المرحلة الراهنة ، وان تتوفر لهم في نفس الوقت صورة واضحة محددة المعالم عن المستقبل ، وان يحددوا في كتاباتهم الطريق السلم للنضال .

جـ) الحاجة الى نظرية جديدة للادب تخلق بين الكتاب والقراء وعيا بظروفهم ودورهم في مواجهة الغزو الثقافي الدخيل الذي يستهدف تحقيق المكاسب التجارية ويستهين بكرامة الشعوب .

د) والحاجة الى تكثيف نشر المبادىء والمثل التقدمية بين الكتاب والقراء لمحاربة وكشف الغزو الثقافي الذي تشنه الامبريالية ، والاستعمار الجديد ، والصهيونية في العالم الثالث بطرق معقدة ومستترة ولا سيما اسرائيل ، وجنوب افريقيا ، والبرتغال ،وروديسيا وغيرها من الدول ، وذلك من خلال دور النشر ، والصحف ، وما يسمى بالجمعيات والمؤسسات الثقافية التابعة لها .

توصي بما يلي :

١ — ان يقوم المكتب الدائم للكتاب الافريقيين الاسيويين على الفور بانشاء دار نشر افريقية اسيوية تتولى ما يلي :

أ) ترجمة ونشر اعمال الكتاب الافريقيين الاسيويين المعاصرين واعمال منتقاة من الاداب الكلاسيكية الافريقية الاسيوية الى اللغات المختلفة المتداولة في القارتين .

ب) اتاحة الاداب التقدمية من كافة انحاء العالم للقراء في البلاد الافريقية والاسيوية .

جـ) جمع ، وتسجيل ، وتحرير ، ونشر الاداب الشفهية الافريقية الاسيوية ولا سيما الاشعار والاغاني الوطنية التي تصور روح الامة ونضالها ، وذلك لتعميق فهم ثقافاتنا التقليدية .

د) اصدار مجلة لوتس باللغات الرئيسية المتداولة في القارتين ، وذلك لتمكين الكتاب والقراء من ان يكونوا على صلة دائمة بالنضال الادبي والاتجاهات الادبية السائدة في مختلف البلاد الافريقية الاسيوية .

هـ) القيام بدور التلقي والتوزيع في مجال تشجيع الاداب الافريقية الاسيوية التقدمية .

٢ — ان ينظم المكتب الدائم للكتاب الافريقيين الاسيويين تقديم منح للكتاب والباحثين للدراسة والسفر لزيارة مختلف البلاد الافريقية الاسيوية لمشاركتها تجاربها ، مما يخلق طابعا مشتركا للاداب الافريقية الاسيوية .

٣ — ان يتولى المكتب الدائم للكتاب الافريقيين الاسيويين ، من خلال المنظمات الوطنية المعتمدة لديه ، اقامة مراكز ثقافية يعهد اليها بما يلي :

أ) مكافحة الامية بين فئات الشعب التي لم تحظ بفرص التعليم وذلك للتقريب بين الكاتب والقراء .

ب) انشاء نواد للقراءة لتشجيع قراءة الادب التقدمي .

جـ) ان تكون بمثابة نواة للحياة الثقافية للمجتمع .

وترى اللجنة انه على الرغم من وجود حاجة عامة الى مثل هذه المراكز في معظم اجزاء البلاد الافريقية الاسيوية الا انه ينبغي اعطاء الاسبقية لانشاء تلك المراكز في المناطق المحررة من انجولا ، وموزمبيق، وغينيا (بيساو) ، وظفار بالخليج العربي ، وغيرها من المناطق التي تمر بظروف مشابهة .

٤ — ان تتضمن مناهج الدراسات الادبية بالمدارس الثانوية ومعاهد التعليم العالي اجراء دراسات متعمقة عن الاداب الافريقية الاسيوية ، اذ ستساعد مثل هذه الخطوة في تحديد منهج جديد لدراسة الادب يلقي الضوء ، من الناحية النظرية ، على التجارب الفريدة للدول الافريقية الاسيوية التي لا تنطبق عليها المفاهيم الادبية البورجوازية .

٥ — ان ينظم المكتب الدائم للكتاب الافريقيين الاسيويين الحلقات الدراسية والندوات وغيرها ، للكتاب وخاصة للكتاب الناشئين ، وذلك عن طريق المنظمات القومية المعتمدة لديه .

٦ — ان يقيم المكتب الدائم للكتاب الافريقيين الاسيويين اتحادا للفنانين الافريقيين الاسيويين لحشد المواهب الخلاقة في كل مجتمع على طريق النضال ويمكن لهذا الاتحاد ان يعمل جنبا الى جنب مع اتحاد الكتاب الافريقيين الاسيويين .

٧ — واخيرا ، فان اللجنة تدين سجن الكتاب التقدميين واضطهادهم في بعض البلاد مثل جنوب افريقيا ، وانجولا ، وموزمبيق، وغينيا (بيساو)،وتوصي بانشاء مكتب قانوني لتقديم الاستشارات القانونية

واية معونة اخرى للكتاب الافريقيين الاسيويين اذا تعرضوا للسجـن بسبب ارائهم السياسية التقدمية .

قرار اللجنة الثقافية الثانية

التراث الثقافي الكلاسيكي

لشعـوب آسيا وافريقيـا

واسهامه من خلال الترجمة

في الثقافة العالمية من اجل دعم الروابط الادبية

تشكل ثقافة افريقيا وآسيا واقعا سعى الاستعماريون دائما الـى تحطيمه وانكار طابعه الانساني .

ومن المؤكد ان هذا التراث الثقافي لشعوب آسيا وافريقيا يسهم في تطوير الثقافة العالمية التي تستهدف ايجاد نوع من التفاهم بيـن كافة الثقافات مع الحفاظ على شخصية كل منها .

وينبغي ان يستخدم هذا التراث الاسيوي الافريقي كأداة لتصفية الاستعمار الثقافي التـي ينبغي ان تـلازم وتواكب تصفية الاستعمـار السياسي والاقتصادي .

ولا يمكن ان يتحقق التفاهم المتبادل بين الشعوب من خلال الادب الا بواسطة الترجمة : بيد ان الترجمة تطرح مشكلات متعددة :

ـ عدم وجود لغة قومية مكتوبة في بعض الدول .

ـ تعدد اللغات القومية في دول اخرى .

ـ صعوبة نقل الافكار من لغة الى اخرى عن طريق الترجمة .

ـ نقص المترجمين المؤهلين .

ـ وجود صعوبات مادية وفنية .

(توصيـات)

ولعلاج هذه المشكلات ، توصي اللجنـة بما يلي :

ـ تاهيل اخصائيين لغويين افريقيين وآسيويين يعملون على تجميع التقاليد اللغوية غير المكتوبة من اجل ايجاد لغة رئيسية قومية .

ـ تأهيل مترجمين .

ـ تنظيم لقاءات بين المترجمين من مختلف البلاد .

ـ انشاء مراكز وطنية .

أ) لترجمة الاعمال المكتوبة باللغة الدارجة الى احـدى اللغات التي يجري التعامل بها على نطاق واسع .

ب) ولترجمة الاعمال المكتوبة من احدى لغات التعامل هذه الى لغة اخرى من نفس النوع .

جـ) انشاء مركزيـن احدهما فيافريقيا واخر في اسيا لتجميـع الترجمات ونشرها عبر القارتين .

واقتناعا من اللجنة بالصعوبات التي تثيرها مسالة انشاء مثل هذين المركزين فانها تطرح امكانية قيام كل اتحاد على حدة ببذل مساعيه لدى حكومته لانشاء اقسام (في الجامعات مثلا) تهتم بدراسة ونشر المؤلفات الافريقية الاسيوية والدعاية لها .

وحتى يتم ذلك فان اللجنة تقترح على اتحاد الكتاب الافريقييـن الاسيويين ان يضع بصفة دورية قائمة بأسماء الاعمال الجديرة بالاهتمام، بهدف ترجمتها . ثم احاطـة البلاد الاعضاء علمـا بها .

واخيرا تدعو اللجنة الدول الافريقية الاسيوية وغيرها التي تتوفر لديها امكانيات مادية وفنية ضخمة الى مساعدة دول القارتين التـي تفتقر الى هذه الامكانيات في المجالات المذكورة سابقا .

(القـرار التنظيمي)

ان المؤتمر الخامس للكتاب الافريقيين الاسيويين المنعقد في الفترة من ٤ ـ ٩ سبتمبر ١٩٧٣ في المآتا ، عاصمة جمهورية قازاقستـان الاشتراكية السوفييتية ، الاتحاد السوفييتي ، بعد ان قام بمناقشة هامة فيما يتعلق بتعزيز العمل التنظيمي للمؤتمر ، في نطاق اللجنة التنظيمية المنبثقة عنه ، وبعد أن أخذ في الاعتبار الاراء والمقترحـات والاتجاهات التي أبداها رؤساء الوفود في كلماتهم ومناقشاتهم :

ـ يؤكد من جديد أن المرحلة الراهنة التي يجتازها الادب الافريقي الاسيوي ، هي مرحلة تتطلب مواصلة بذل جهود قوية ومدروسة بهدف دعم النشاط التنظيمي لاتحاد الكتاب الافريقيين الاسيويين ، واكساب هذه المنظمة المزيد من القوة والصلابة والفعالية ، ذلك ان ازدهار الادب الافريقي الاسيوي الذي يتزايد يوما بعد يوم ، في اطار الموقف العالمي الذي يتميز بازدياد حدة النضال من اجل تعميق مضمون الســلام والديمقراطية والتقدم على طول الجبهة العالمية المناهضة للامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد والصهيونية والتفرقة العنصرية ، والتي تكون الشعوب الافريقية الاسيوية منها قطاعا حاسما ، يلعب فيه الادباء والكتاب ورجال الفكر والثقافة دورا طليعيا وهاما .

ـ ويعبر المؤتمر عن تقديره الكبير لرسائل التحيـة والتأييـد التي وصلته من رؤساء الدول والحكومات والمنظمات ، وعن اعتزازه بما لمسه فيها من تقدير لدور الادب الافريقي الاسيوي ورسالته ومهمته والامال المعقودة عليه .

ـ ويلتزم المؤتمر بان يواصل حمل هذه الرسالة ، وان يقوم ببذل كل جهد ممكن في سبيل تعميقها وترسيخها .

ويتخذ المؤتمر القرارات والتوصيات التالية :

أولا ـ المؤتمر السادس :

١ ـ يقرر المؤتمر الخامس ادخال التعديل اللازم على المادة «أ» تحت بند التشكيل في ميثاق اتحاد الكتاب الافريقيين الاسيويين بحيث ينعقد المؤتمر كل اربع سنوات .

٢ ـ يوصي المؤتمر الخامس المكتب الدائم ببذل الجهـود اللازمة لانعقاد المؤتمر السادس عام ١٩٧٧ ويرحب بالدعوة التي وجهت لانعقاده في كينيا .

ثانيا ـ اللجنة التنفيذيـة :

١ ـ يقرر المؤتمر الخامس ادخال التعديل اللازم على المادة «ب» تحت بند التشكيل من ميثاق اتحاد الكتاب الافريقيين الاسيويين بحيث تنعقد اللجنة التنفيذية مرة بين فترتي انعقاد كل مؤتمرين .

٢ ـ يقرر المؤتمر انتخاب اللجنة التنفيذية لاتحاد الكتاب الافريقيين

الاسيويين على النحو التالي :

١ ـ افغانستان
٢ ـ الجزائر
٣ ـ انجولا
٤ ـ جمهورية مصر العربية
٥ ـ بنجلاديش
٦ ـ الصين الشعبية
٧ ـ الكونغو
٨ ـ داهومي
٩ ـ اليمن الديمقراطية
١٠ ـ غانا
١١ ـ غينيا
١٢ ـ الهند
١٣ ـ اندونيسيا
١٤ ـ العراق
١٥ ـ اليابان
١٦ ـ كينيا
١٧ ـ كوريا
١٨ ـ لبنان
١٩ ـ مالسي
٢٠ ـ منغوليا
٢١ ـ المغرب
٢٢ ـ موزامبيق
٢٣ ـ نيجيريا
٢٤ ـ فلسطين
٢٥ ـ السنغال
٢٦ ـ سيراليون
٢٧ ـ جنوب افريقيا
٢٨ ـ سرى لانكا
٢٩ ـ السودان
٣٠ ـ سوريا
٣١ ـ تونس
٣٢ ـ تركيا
٣٣ ـ الاتحاد السوفييتي
٣٤ ـ فيتنام
٣٥ ـ زامبيا
٣٦ ـ زيمبابوي

ثالثا ـ المكتب الدائم :

يعبر المؤتمر عن شكره وتقديره للجهود الكبيرة التي بذلها المكتب الدائم والسكرتير العام ومعاونوه في الفترة بين انعقاد المؤتمرين الرابع، والخامس لحركة الكتاب الافريقيين الاسيويين ، على الاخص .

ونظرا لنمو حركة الكتاب الافريقيين الاسيويين ، والاعباء الملقاة على عاتق المكتب الدائم ، يقرر المؤتمر تعديل المادة « ج » تحت التشكيل من الميثاق ، بحيث يتكون المكتب الدائم لاتحاد الكتاب الافريقيين الاسيويين من البلاد التالية :

١ ـ جمهورية مصر العربية
٢ ـ بنجلاديش
٣ ـ جمهورية اليمن الديمقراطية
٤ ـ الهند
٥ ـ العراق
٦ ـ اليابان
٧ ـ كينيا
٨ ـ لبنان
٩ ـ منغوليا
١٠ ـ فلسطين
١١ ـ المستعمرات البرتغالية
١٢ ـ السنغال
١٣ ـ سيراليون
١٤ ـ جنوب افريقيا
١٥ ـ السودان
١٦ ـ الاتحاد السوفييتي

رابعا ـ يعيد المؤتمر انتخاب السيد يوسف السباعي (جمهورية مصر العربية) لمنصب السكرتير العام لاتحاد الكتاب الافريقيين الاسيويين ويؤكد ثقته فيه ، وينتخب اليكس لاجوما (الحزب الوطني الافريقي ، جنوب افريقيا) وسوبهاس مكرجي (الهند) نائبي السكرتير العام .

خامسا ـ مقترحات مقدمة للمؤتمر :

ا) المقترحات الخاصة بتنظيم المكتب الدائم :
يقرر المؤتمر ان تقدم هذه الاقتراحات الى المكتب الدائم لدراستها، واحالتها الى اول اجتماع قادم للجنة التنفيذية لاتخاذ اللازم بشأنها .

ب) المقترحات الخاصة بمجلة « لوتس » والمطبوعات الافريقية الاسيوية :

يقرر المؤتمر ان تقدم هذه المقترحات الى هيئة تحرير « لوتس » والمطبوعات الافريقية الاسيوية لمناقشتها واتخاذ اللازم بشأنها .

سادسا ـ جوائز « لوتس » التشجيعية :

احيط المؤتمر علما بالمشروع المقدم من المكتب الدائم بشأن ادخال جوائز « لوتس » التشجيعية للكتاب الشبان اصحاب المواهب المرموقة من افريقيا وآسيا ، والذين تتوفر لاعمالهم الادبية قيمة كبيرة وتعكس نضال الشعوب الافريقية الاسيوية واهدافها .

ويوافق المؤتمر على مبدأ ادخال جوائز « لوتس » التشجيعية، ويفوض المكتب الدائم في وضع اللائحة التنفيذية لهذه الجوائز الجديدة على ان تؤخذ في الاعتبار الاراء ووجهات النظر والتوصيات التي ابديت اثناء المناقشات ، وعلى ان يبذل المكتب الدائم كل جهد ممكن في سبيل نشر المؤلفات التي تمنح عليها هذه الجوائز ، باللغات الثلاث لاتحاد الكتاب .

وقد وردت للمؤتمر دعوة من الفلبين لانعقاد احدى هيئاته الدستورية (المكتب الدائم او اللجنة التنفيذية) في الفلبين ، ويرحب المؤتمر بهذه الدعوة ويوصي المكتب الدائم باتخاذ الخطوات اللازمة لتلبيتها.



رسالة من نبيل المهايني
« وأنت من كنت » ؟

بعد « ذكريات لصة » الذي يجري تصويره الان فيلما سينمائيا ، طلعت علينا داتشا ماراييني بكتاب جديد عنوانه « وأنت من كنت ؟ » . هذه المرة لا يتعلق الامر برواية ، بل بنوع من التحقيق الصحافي الذي اخذ من الرواية الادبية كثيرا من صفاتها .

وقد صرحت لنا الكاتبة ان فكرة الكتاب لم تكن في خاطرها البتة . كل ما في الامر ان احدى المجلات طلبت من ماراييني القيام بتحقيق حول حياة شخصية مشهورة في عالم الفن . وكان ان اختارت ماراييني فترة طفولة تلك الشخصية . بعدما لاحظت ان الطفولة هي مرحلة منسية في حياة الشخصيات الشهيرة . فالتحقيقات التي تجري معهم تجري حول حياتهم الحالية وقلما تتناول حياتهم السابقة ، وخاصة طفولتهم. لهذا قررت الكاتبة اجراء نوع من المقابلات مع العديد من الشخصيات المعروفة في عالم الفن (٢٦ شخصية) من الاخراج المسرحي والسينمائي الى الرسم والنحت والتصوير والادب والرواية والتمثيل والغناء ..

وبديهي ان بحثا من هذا النوع يعكس بحثا من نوع اخر . وعندما سألت الكاتبة عما اذا كان البحث عن طفولة الاخرين هو بحث عن طفولة الباحث بالذات اجابت هي بالتاكيد . وهنا تناول الحديث موضوع الذاكرة فقالت ماراييني انها من النوع الذي لا يملك ذاكرة وكأن الماضي لديها معدوم . وقدمت على هذا السبيل مثالا جاء في «محاورات» افلاطون يشبه فيه بعض انواع الذاكرة بشجرة تحط عليها اسراب العصافير التي تمثل الذكريات . لكن تكفي نسمة ريح او بخة مطر حتى

تطير تلك العصافير بعيدا عن الشجرة . وهذه حال هذا النوع من الذاكرة . ومن بين الشخصيات العديدة التي تحدثت معها مارايبني في كتابها زوجها مورافيا الذي تكلم عن طفولته التعيسة والمخرج السينمائي المعروف ميكيل انجلو انطونيوني الذي سيزور لبنان في الشتاء المقبل بناء على دعوة دار الفن في بيروت وهناك ايضا مغنية الاوبرا المشهورة ماريا كالاس .

وصرحت الكاتبة لنا ايضا انها تعد العدة لاصدار رواية جديدة تدور حول الصراع بين العالم الفلاحي القديم وبين العالم الاستهلاكي الحديث وذلك من خلال قصة زوجين ، الرجل يشتغل عاملا والمرأة معلمة مدرسة ابتدائية يزوران احدى جزر منطقة نابولي الفقيرة والقديمة والغارقة في عالمها السالف لكنها في نفس الوقت مركز اصطياف بحري واستهلاكي واسع . هناك يصطدم الزوجان بالواقعين وبصراعهما . وتنتهي الرواية طبعا بانفصال الزوجين وبتغلب صراع الواقع حولهما على حياتهما الخاصة .

« الفكر السياسي العربي »

صدرت منذ ايام الترجمة الايطالية لكتاب انور عبدالملك « الفكر السياسي العربي » . والكتاب مترجم عن الفرنسية . ومن المعروف انه يبحث في تاريخ الفكر السياسي العربي من محمد عبده الى اخر تطورات الفكر السياسي لدى المنظمات الفدائية مرورا بالناصرية والبعثية والماركسية والمفكرين المستقلين مثل الحصري وصادق العظم .

عن اسرائيل ...

ومن جهة اخرى ظهر كتاب « اسرائيل ـ مجتمع يتطور » بقلم الصحافي الايطالي فيتوريو سيفره مراسل جريدة كوريرى ديلا سيرا الدائم في القدس . والصحافي معروف بميوله الواسعة لاسرائيل وباتجاهه الصهيوني الاكيد . وهو ايضا استاذ في جامعتي القدس وحيفا وممن هاجروا الى اسرائيل منذ عام ١٩٣٩ . والجدير بالذكر ان هذا الكتاب كان قد صدر منذ عام ١٩٧١ في انكلترا وقد اضاف عليه الكاتب في طبعته الايطالية .

ويرى سيفره ان هناك ثلاثة تيارات اساسية في الحركة الصهيونية الاولى . هناك تيار المثقفين المتنورين من « ابناء » الثورة الفرنسية الذين رأوا في صهيونيتهم ردة فعل على الحركات القومية العنصرية التي كانت ترفضهم من بين ظهرانيها . وهناك اليهود المتدينون والمتعصبون

صدر حديثا عن دار الطليعة

الله في رحلة نجيب محفوظ الرمزية

جورج طرابيشي

« يقترح جورج طرابيشي في كتابه « الله في رحلة نجيب محفوظ الرمزية » مشروعا جديدا لقراءة محفوظ ، في محاولة نقدية ممتازة ، متكاملة ، تفصيلية ، شيقة ، ادت احدى مهام النقد الاساسية : اعادة الاكتشاف ، والتحريض على القراءة » .

طلال رحمه ـ الحوادث ـ ٣ آب ١٩٧٣

« منذ ان كتب جورج طرابيشي دراسته في ادب توفيق الحكيم : « لعبة الحلم والواقع »، اكد نفسه احد اعمق الاقلام النقدية واكثرها تحسسا للاثر في علاقته الجدلية بالحياة والتاريخ ، واليوم تصدر دراسته الجديدة : « الله في رحلة نجيب محفوظ » ، وفيها يختار محورا من محاور ادب محفوظ ليطل على الانتاج الواسع لاحد اهم روائيي هذه الحقبة من زاويتين كونيتين » .

عصام محفوظ ـ النهار ـ ٣١ آب ١٩٧٣

« قد يكون تركيز جورج طرابيشي في موضوعه هذا عن « الله » يحمل بعض المغامرة، لكن ما جاء في كتابه من التفاسير والاستشهادات مقنع الى حد بعيد . وهذا بالاضافة الى اهمية الموضوع الذي يتناوله بعد تلك الدراسات الكثيرة عن نجيب محفوظ والتي حصرته في تصوير الطبقة الوسطى في مصر ، والتي صورته بالتالي مجرد عين تروي عن الواقع المصري » .

سمير صايغ ـ الانوار ـ ٢٥/ ٧/ ١٩٧٣

« بعد محاولته النقدية القيمة في « لعبة الحلم والواقع » يحاول جورج طرابيشي في كتابه الجديد ان يلم خيوط الرؤية عند نجيب محفوظ ويكثفها ، رؤية اضاءت معالمها دراسة « الله في رحلة نجيب محفوظ الرمزية » » .

الحوادث ـ ٢٠/ ٧/ ١٩٧٣

« لو كان صحيحا ما في هذا الكتاب ، فمعنى ذلك اننا خدعنا بنجيب محفوظ طيلة ثلاثين سنة » .

البلاغ ـ ٢٧/ ٨/ ١٩٧٣

« دراسة تستدعي الانتباه بجدتها وابتكارها. وقد نختلف مع مؤلفها في العديد من التفاصيل، لكن النافذة التي يفتحها بذكاء تتيح لنا ان نكتشف وان نفهم الشيء الكثير لدى محفوظ ».

جاد حاتم ـ ملحق لوريان لوجور ـ ٨/ ٩/ ١٩٧٣

« اهم ما يميز دراسة جورج طرابيشي الجرأة في تناوله للرمز عند نجيب محفوظ ، والابتكار حين يتطرق الى مواضيع آثارها الروائي ولم يتنبه لها احد من قبل او مر النقاد عليها مرور الكرام . وقد اضفى التزاوج بين النقد والابداع على الدراسة شمولية وعمقا وصراحة نفتقدها عند الكثيرين من النقاد » .

نبيل اصفهاني ـ الاسبوع العربي ـ ١٧/ ٩/ ١٩٧٣

لعبرانيتهم القائلة بالعودة للارض الموعودة . ثم هناك تيار الاشتراكيين البروليتاريين اليهود الذين اصبحوا صهاينة . ويرى الباحث ان اكثر زعماء اسرائيل ، من بن غوريون الى غولدا مائير ، ينتمون الى هذا التيار ذي الجذور الروسية . ولا يوافق سيفره على ان هناك عقائدية منهجية في افكار هؤلاء رغم انه يعترف لهم بمحاسن مثالية اخرى . كما يقيم سيفره اكثر ما يقيم يابوتينسكي . لكن الباحث يرى ان شجاعة ارهابيي يابوتينسكي لا تعطيهم الحق البتة ولا تعني انهم افادوا القضية الصهيونية . ويرى الباحث فضل انتصار اسرائيل في ثلاث حروب متوالية في طريقة طرح بن غوريون للامور على جميع المستويات .

وكما حلل سيفره المجتمع الاسرائيلي فانه انتقل ايضا الى المجتمع العربي ليحلله بنفس الاتجاه الصهيوني الهادف . يرى سيفره ان غياب الواقعية عن السياسة العربية بصورة دائمة هو الذي ادى الى تقوية اسرائيل وجعل منها قوة عسكرية وصناعية . ولا يرى الباحث في معونات يهود العالم ، وخاصة يهود اميركا ، سببا لهذا التحول الصناعي والعسكري ، رغم ان تلك المساعدات ساهمت به الى حد بعيد .

ولا تنقص الباحث بعض « الالتفاتات الانسانية » فهو يرى ان بغض العرب مبرر الى حد ما ، وكذلك فان مشكلة اللاجئين الفلسطينيين هي مشكلة محزنة ومؤلمة وخطيرة . لكن هذا لا يمنع الباحث من كيل التهمة الى الحكومات العربية التي كان بوسعها ان تنظر الى الامور بواقعية تجعلها تاخذ بعين الاعتبار توطد اسرائيل ودوامها . وهنا يعيب الباحث ايضا على اليسار الاوربي مساندته اللامدروسة واللاواعية والمتعصبة (واينها من هذا ؟) للعرب وللمقاومة الفلسطينية لان هذه المساندة لا بد وان تؤدي الى هزيمة حلفاء هذا اليسار ، اي العرب ، مرة اخرى اذا لم يتدخل الاتحاد السوفياتي مجازفا بحرب عالمية ثالثة .

وينهي سيفره كتابه بتوقعه ان مستقبل اسرائيل غير معروف كما كان غير معروف قدر شعبها خلال الفين من السنين . بل ان غرابة هذا القدر هو الذي يزود اسرائيل اليوم بقوتها الحالية .

ان حجج هذا الكاتب في كتابه هذا كما في مقالاته اليومية تقريبا التي يرسلها الى جريدته في ميلانو او الى الاذاعة الايطالية احيانا مليئة بالنقط الشائكة لانها مفرضة عن قصد لا يفوت باحثا متعمقا مثل سيفره .

* * *

خبر طريف ...

قررت احدى المكتبات العامة في مدينة قرب مدينة سيينا التاريخية في وسط ايطاليا تقديم جائزة شكلية للكاتب الذي تطلب كتبه من قبل قرائها اكثر من غيره وقررت دفع مبلغ ١٠٠ لير ايطالي (حوالي ٤٠ قرشا لبنانيا) عن كل اعارة . وقد فاز في هذه المسابقة الروائي الايطالي الكبير كارلو كاسولا الذي تبين عن ١٠١ اعارة واستحق حوالي ٤٠٤٤ ليرة لبنانية قدمت له في احتفال رسمي اجرته المكتبة . وتبعه في هذا باساني ، مورافيا ، براتوليني ، شاشا ، سيلونه ...

* * *

المعراج ودانتي ...

بصدور كتاب « ابحاث جديدة حول كتاب المعراج ومعرفة الاسلام في الغرب» لاينريكو شيرولي عن دار نشر « المكتبة الرسولية الفاتيكانية ». بصدور هذا الكتاب عاد الجدل من جديد حول الاصول العربية لكتاب « الكوميديا الالهية » لدانتي اليغييري . وقد كتب فرانشيسكو غابرييلي مقالة عاد ليدحض فيها من جديد مثل هذه الفرضيات التي كان قد دحضها عندما ظهرت قبل عشرات السنين على لسان الاسباني آزين . وابرز غابرييلي في مقالته جعل شيرولي كتاب المعراج (الذي ترجمه شيرولي ، منذ عام ١٩٤٩ الى الايطالية) واحدا من العناصر التي ساهمت في تكوين فكرة « الكوميديا الالهية » لدى دانتي . وربما عنصرا دافعا لتكوين « معراج » مسيحي مقابل ذلك الاسلامي الشعبي .

ويضيف غابرييلي قائلا ان كتاب شيرولي الجديد ينتقل من معالجة علاقة دانتي بالحضارة العربية انذاك وباللغة العربية وتراثها الديني الى معالجة المعارف الغربية المتعلقة بالاسلام سواء قبل دانتي ام بعده .

* * *

« البحر بلون النبيذ »

صدرت عن دار ايناودي للنشر مجموعة قصصية للروائي الايطالي الجنوبي الكبير ليوناردو شاشا . اسم المجموعة « البحر بلون النبيذ » . وقد كتب ناقد ادبي معروف هو جينو بامبالوني مقالة نقدية عن الكتاب نقدم فيما يلي لمحات عنها : هناك في الروائية المعاصرة ثلاث لحظات اساسية في الحياة التي يستقي منها خيال الروائي : اللحظة الوجودية ، واللحظة الضاربة جذورها في التاريخ ، واللحظة الايديولوجية . ومن الواضح ان كل كاتب يستعمل هذه اللحظات ويغيرها ويعيشها من جديد وبطرق مختلفة جدا عن بعضها وذلك وفقا لطبيعة اسلوبه .

ولنجرب ضرب مثالين واضحين وبسيطين . فمورافيا مثلا يحل لحظة « التاريخ » داخل معادلة قوية تجمع بين الوجود ـ الايديولوجية. اما كاسولا فهو يضع في اساس الطبيعية او التجربة الوجودية صدى كل قيمة تاريخية وايديولوجية .

وبعد ان يقول الناقد ان شاشا يمثل الرواية ـ المقالة يقول ان الايديولوجية في هذا النوع تصعد الى المستوى الاول وتأخذ دور البطل، كما انها تلون وتعطي المعنى لنفس الحادثة التي تصاحبها ، لا بل انها تعلو عليها احيانا وتغطيها مثلما يفعل المعطف .

ويرى الناقد ان هذا يفقد العمل الفني صفته على انه « شيء » وموضوع ليجعل منه شيئا فشيئا « مشروعا » .

لكن روائية شاشا تختلف عن هذا الوصف كليا . لان نطاقه الروائي يتكىء على التاريخ ـ الوجود ضمن محيط بلدته صقلية . وهذا لا يعني فقدان الكاتب للبعد الايديولوجي . كل ما هنالك انه يعرف التحكم بهذا البعد .

هناك مثلا قصة « الخلع » . فتمثال القديسة فيلومينا سيخلع من كاتدرائية احدى مدن صقلية . ذلك بعد قرار اصدرته المجامع الكنسية تؤكد فيه ان تلك القديسة لم توجد على الاطلاق . وتقرر زوجة بطل القصة المسماة فيلومينا المساهمة بالتظاهرة الدينية التي اشتركت فيها كل حاملات هذا الاسم . عندما تعود يقرأ لها زوجها خبرا من الجريدة يقول ان المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي السوفيتي قرر خلع جثة ستالين من الضريح .

ان هذه القصة « السياسية » في رأي الناقد موضوعة ضمن هذه البيئة العائلية التي اضفت بالاشتراك مع المنظر القروي طبيعية أصيلة على المحتوى السياسي . فالسم الايديولوجي يفعل فعلته اذا كانت القصة تفعل فعلتها « على الناشف » رغم ان المنطلقات العقائدية واضحة ومحددة لدى الكاتب ليوناردو شاشا .

روما — نبيل رضا المهايني

قرأت العدد الماضي من «الآداب»

القصائد

بقلم : محمد ابراهيم ابو سنه

هذا الصراخ ، وبدأ التفير . واذا كانت الصدمة قد دفعت بالشعراء الى قلب العاصفة ، فقد لاذ بعضهم بالفرار ، معتصمين باليأس الكامل ، مفتشين عن ذواتهم البسيطة الكامنة تحت شهواتهم الصغيرة ، ونازل بعضهم الرعد والبرق بسيوف صدئة ، بالعنتريات الخائرة ، وتعلم الكثيرون او ادعوا الحكمة ، وهزوا الرؤوس ، وفتحوا كنوز معارفهم ، وأصبحت الحقيقة شائعة ذائعة ، ثم سقطت، وابتذلت ، وأصبح الشعر جرحا وخنجرا في آن واحد . ولا أظن الا ان ردود الفعل الاولى ما هي الا صرخة الحس المباشر ، ثم يأتي الزمان البطيء المتأمل ، بعودة العقل والقلب ، كل الى مكانه الذي خلقه له الله . لقد تعب الذين مزقوا بدافع عميق من الاحساس بالذنب وجه الامة العربية ، شعوبا ونظما ، بالاتهامات ولطخوها بالعار ، وتعب الذين احترفوا لعبة الحكمة العميقة ، وادعاء المعرفة، وسقط هؤلاء الذين أصروا على ان يواجهوا العاصفة ، بادارة الظهور ، وهز الاكتاف ، وبدأ شيء آخر في الاعماق ، شيء يتجاوز الرفض المطلق ، او التسليم القديم ، يتجاوز الغريزة الاولى الى الدخول في معقل الروح . بدأت الروح الحقيقية للشاعر العربي تتفتح في القصائد التي لا تدعي لنفسها القدرة على أسر كل الحقائق ، بل انها تحاول التعرف على الحقيقة . قد يكون هذا الصدق الذي يولد في القصائد الجديدة ، وليد الاحساس المرير بالذنب ، وقد يكون وليد الفهم العميق لحقائق الاشياء ، ولكنه قد جاء اخيرا . وليس معنى الصدق هو مجرد الاستجابة الغريزية للانفعال بالاحداث، والا كان جميع الشعراء صادقين ، ولكني أقصد بالصدق ، القدرة على خلق الانسجام بين الشكل والمضمون ، دون تأثر زائف ببريق شاعر أو آخر ، ودون طموح غلاب يرى الدنيا بقلب مراهق لم يختبر بعد أدواته .

وفي العدد الماضي من « الآداب » تلوح ظواهر حقيقية تؤكد ان الشعر العربي بدأ يتأمل بوجدان حساس ، وعقل متريث ، وعاطفة عميقة . واذا كان الحزن والانكسار والضياع هي حصاد الرؤية الشعرية في هذه القصائد ، فان ما يبعث على الاطمئنان ان الشاعر العربي لا يواجه طريقا مسدودا . انه قادر رغم الظلام الكثيف المحيط بآفاق الرؤية العربية وهذه الاسوار العالية التي يجد الشاعر نفسه سجينا بين جدرانها ، فان الشاعر العربي لا يواجه رغم الوضع العربي الذي يمعن في التردي طريقا مسدودا . انه قادر على الرحيل الى الاعماق ، والى الشمال والجنوب . أصبح الشاعر قادرا ، من خلال أجنحته الخاصة ، أن تكون له ميزة الرياح . واذا كان الانسان البسيط الذي يواجه الهزيمة ، دون وعي شامل ، ولا أمل حقيقي في خلق موقف يمكنه من التعلق بالاحلام الوردية ، قد آثر على الفور ان يغرق نفسه في بحيرة أهوائه الخاصة ، وبدلا من اليأس فليقنع بارضاء شهواته البسيطة ، وينسى بالطبع ان هذا هو اليأس الحقيقي ..

أقول اذا كان الانسان العادي ، قد واجه بحتمية العجز ، ان يغرق في نفسه ، فان الشعراء قد آثروا على العكس الخروج من ذواتهم لقد هاجم البعض الشعراء ، مدعين انهم سبب البلاء ، لان الامة اكتفت بالشعر ، واستغنت بالقصائد عن القتال ، ونسي هؤلاء المهاجمون ان الامة التي تنتظر من شعرائها وحدهم ان يحرروا الارض، لا تعرف واجبها . وكان بعض المهاجمين من الشعراء انفسهم ، وهؤلاء في الواقع كانوا يهاجمون أنفسهم لانهم يشعرون بذنبهم ... وأحب ان ادافع عن الشعراء لانهم في النهاية ، لا يملكون الا ان يشتعلوا حماسا ، وحزنا ، وألما ، وأملا ، بكل ما يمر بهذه الامة العامرة بالخير .

ان قصائد العدد الماضي من « الآداب » تؤكد ان هذه الكائنات الحساسة ، والتي تستجيب على الفور لاحداث امتها ، هؤلاء الشعراء يغادرون الآن ذواتهم الضيقة ، ويدخلون صميم رحم الامة ، لعلهم يعرفون ملامح الغد الذي ينتظرونه وينتظرهم . وليست ظاهرة الاهتمام بجراح الامة واحزانها هي فقط التي تطرح نفسها من خلال هذا العدد الخصب من القصائد ، بل مشكلة النضج الفني ، والمعالجة الماهرة ، في كثير منها تعطي هي الاخرى دليلا لا ينقصه الوضوح ، على ان هؤلاء الشعراء يتابعون تطورهم ، وسط ظروف شبه مستحيلة ، فرغم عزلتهم الحقيقية عن الجمهور ، فانهم يصرون على التطور الخلاق ، في اتجاه هذا الجمهور نفسه . واذا كان لي ان اخرج بملاحظة اساسية من قراءتي ، فهي ان الصدق مع النفس، والخروج من الذات الضيقة ، والاخلاص للفن ، قد أصبحت ملامح حقيقية للشعر العربي ، في هذه المرحلة .

« أغنية الفلاح واللصوص » للشاعر « يسري خميس »

هذه قصيدة تبدو بالغة البساطة ، وخالية من الوهج التقليدي للفصاحة الوسيقية التي درجت عليها المعلقات الفليظة . وقد تشعر انك خدعت ووقعت في البلبلة بين الشعر والنثر ، لان الشاعر « يسري خميس » ، وهذا منهجه ، يبتعد عن صوت الوسيقى المرتفعة الايقاع . الا ان مهارته الحقيقية تتجلى في البناء المحكم ، الذي لا تتداعى مقاطعه ، بل تتآزر ، حتى تصل بك فجأة الى التوتر ، والايغال في الاحساس ، وأخيرا المعنى . ورغم خطورة هذا المنهج الذي قد يجد عزوفا من الاذن التي تقيم اعتبارا كبيرا لدور الوسيقى المجلجلة في الشعر ، فانه ينجح في الاحتفاظ بك ، داخل تجربته ، وهو لا يحتفظ بك تحت تأثير الشهيات التي تدغدغ حواسك المتعطشة، ولا يتخطى بك السحب الملونة ، لتحلق بعيدا عن الارض ، ولكنه شاعر يفكر كثيرا ، وتشغله تفاصيل الحياة ، وهي لا تصل الى قلبه ، الا بعد ان تمر بعقله ، وهو في النهاية يقنعك بانه لم يخدعك، واذا لم تكن قد استسلمت لخدره ، فقد سيطر عليك بفكرته ، واصراره الانساني البسيط ، على ادخالك الى عالمه البالغ الاحكام . ان هذا المنهج الذي يوحي في الكثير من ملامحه بعالم « برتولد بريخت » يوقع احيانا في هذا الاحساس الخطر ، وهو ان الذهن يقوم بجهد كبير في بناء القصيدة ، لشدة الوضوح ، واكتمال المعنى ، واحكام البناء .

وثمة خطأ لغوي بها ، وهو قوله ((غرغرتا عيناه بالدمـــوع)) والصحيح ((غرغرت)) الا على لغة ((أكلوني البراغيث)) كما يقـــول النحاة . ولكن هذه القصيدة تنجح في خلق جمـــالها الخاص ، وتأثيرها الذي ينبع من مهارة الشاعر ((يسري خميس)) في السيطرة على عناصر رؤيته الشعرية .

((الحصار)) للشاعر ((حبيب صادق))

تستمد هذه القصيدة العادية حياتها من المقطع الاخير ، الذي يقدم فيه الشاعر جسده معبرا الى وطن الصدق وزحف الرفض ، وتخلو القصيدة من هذا التوتر الذي يوحي بالمعاناة العميقة بـــل ان الصورة التي تقدمها القصيدة ، سبق ان قدمتها ، وبنفس المنهج قصائد كثيرة ، ونرى الافتتاحية التي ينبغي ان تكون متوهجـــة ، قد سقطت في وهدة الفتور ، ولم تعد اللغة المتواضعة التي يستخدمها الشاعر ، بطريقته الخاصة ، قادرة على تنمية الوحدة النفسية فـي القصيدة . وخلو القصيدة من الحركة الدرامية ، التي تحملهـــا الصور الشعرية العميقة ، تعرضها لفقدان الفاعلية ، والجدوى . واللغة من أكثر أدوات الشعر مراوغة . ذلك ان اللفظة الموحيـــة ، والضرورية ، في مكانها ، تتطلب جهدا ، وحساسية ، واخلاصـــا لا بد مـــن ان يبذلهـــا الشاعـــر عن طواعية ، وحب ، بدلا مـــن الاستسلام للالفاظ الحاضرة ، والمعدة سلفا ، لا من اجل تلبيـــة مقتضيات العمليـــة الابداعية ، بل لمجرد التعبير . مجرد أداة ميكانيكية . وهنا الفرق الحقيقي بين لغة الابداع ، ولغة التعبير . فالاولى لغة ديناميكية ، والثانية لغة ميكانيكية .

((من دفتر الحزن الكبير)) للشاعر ((احمد عنتر مصطفى))

قصيدة جيدة تنبع من الجرح العربي ، وتصب فيه ((فصيحـــة الى حد التباهي بفصاحتها)) ، توحي بمقدرة الشاعر الواضحـــة ، على امتلاك أدواته ، التي يبدو ان فرحه بامتلاكها قد أصبح يغريـــه بالاسراف في استخدامها . وهي تنتمي بلغتها المستقيمة ، ونبرتهـــا العالية ، ولهجة الذم الواضحة الى هذا المنهج الشعري ، الـــذي يعتمد التقريع اطارا لجعل اليقظة العربية تفتح عينيها ، تحت وخز الابر . انك تستطيع ان تعجب بموسيقاها المتدفقة ، وانبساط ابياتها الذي يمنحك احساسا بأن الشاعر لم يشعر بوطأة الالم بقـــــدر ما يشعـــر بمتعة التعبير عن الم الاخرين . وهـــي في الحقيقـــة تشير الى هذه الملاحظة الدائمة التي يلاحظها المتتبع لشعر هذا الشاعر ، وهي وضوح أصوات الشعراء الآخرين في شعره ، لدرجة تجعل هذه السمة من ابرز علاماته المميزة له . ولعـــل استفـــادته من التـــراث الشعري العربي ، واجادته للديباجة العربية التي تقترب من الاطـــار الكلاسيكي ، تمنحه الطاقة الشعرية ، للتعبير بسهولة عن معـــاناة أمته . ولعل هذا الاطمئنان الذي تحس ان الشاعر مستريح اليـــه ، هو مـــا يجعلنـــا نرجـــو منه ان يكون اكثر اقتصادا ،واكثر جدية فـــي البحث عن لغة تنتمي اليه انتماء كاملا .

((حوار تحت ظل المشنقة))

للشاعر ((كاظم جهاد))

عالم من السحر والجمال الحقيقي ، ينبثق كاجنحة قوس قزح من هذه القصيدة البالغة الرهافة ، والجودة ، والشاعرية . لقـــد فتنتني هذه القصيدة ، اخذتني الى عالمها ، فاستسلمت لهذا العالم الحي المتوهج ، الذي يشعرك بأن الشعر الحقيقي هو الذي يفتح لك آفاقا لم تفتح من قبل . القصيدة مليئة منذ البيت الاول بالصـــورة الشعرية المعجزة ، التي ترتكز الى مهاد من الموسيقى الناعمـــــة ، وما ان تعبر عيناك فوق بيت من أبياتها حتى ينهض أمامك أفق أبعد ومجال جديد . ولعل أصالة الشاعر ، وجودة شاعريته هي التـــي تجعلني أنتظر له مستقبلا مشرقا . انها قصيدة تستحق الاعجـــاب والحب والتهنئة .

((تحت جدارية فائق حسن))
للشاعر ((سعدي يوسف))

تحمل هذه القصيدة الممتازة ، عناصر الرؤية الشعرية الناضجة، التي تميز شعر ((سعدي يوسف)) . ورغم انها قصيدة تعبر في تونر شعري عن هموم الطبقة العاملة بل عن هموم العراق ، الا ان صوت الشاعر ينجح في اتمام المناورة الشعرية ، دون ان يتمكن النـــــافد أو القارىء من ان يلاحظ عليه رنة صراخ او اعلان مباشر عن نواياه . اية أرواح فقدت طمانينتها وأمنها ترمز اليها هذه الحمامات التـــي تطير في الساحة ، تتبعها البنادق ، بينما العمال يعرضون أذرعتهم للبيع ، فهم لا يملكون غير قوة أبدانهم التي أرهقها بناء العمارات ، التي لا يسكنونها . المفارقة واضحة بين هذا الذي يبني العمارات ويفترش الارصفة . هل هي روح العراق التي لا يريحها القلـــق ؟ وهل هي روح العراق التـــي يخاطبها الشاعر : ((تنامين فيهـــا ، ونحـــن هنا في الرصيف ، المقاول يأتي ويأتي اله الجنود ، وتهوي عـــــلى الوطن المقصلة)) ؟

ان نجاح الشاعر لا يتوقف فقط على أصالة شاعريته ، بـــل على الاخلاص والجهد الذي يبذله في سبيل ابداع عمله . لقد اتحد ((سعدي يوسف)) في هذه القصيدة ، بهموم العـــراق ، وآلام العراق ، ولكن هذا الاندمـــاج ظل واعيـــا بالاطـــار الشعري ، الذي يبني فيه الشاعر قصيدته الجميلة . ولعل اخلاص ((سعـــدي)) للشعر ، وللوطن ، هو الذي مكنه في النهايـــة من ان يقدم للاخريـــن شيئا حقيقيا في هذه القصيدة .

((تحقيق في حوار قصير)) للشاعر ((محمد القيسي))

يمزج الشاعر في هذه القصيدة بين الفصحى واللهجة العامية . ومن حق اي شاعر ان يمزج في شعره بيـــن مـــا يشاء مـــن اللغات ، ولكن ينبغي ان يفعل ذلك في ظل شرطين ، الاول أن يكون ((الصدق الفني)) قد جعل من هذا المزج ((ضرورة حتمية)) . ثانيا : ان يعرف ان هـــذا ((العمل)) يضمن لعمله ((التأثير)) الذي يطلبه لـــه . الحقيقة انني أتصور ان الاحساس الشعري الذي يتطلب نوعا عميقا من الوحـــدة ، ينكسر فورا ، ولا يصبح الانسان قادرا على الاستمرار بنفس القدرة من التلقي ، لان اللغة العربية قد شكلت صورتها الصوتية من خلال تاريخ طويل ، بينما شكلت اللهجة العامية صورتها من خلال مستوى مختلف من الوجدان . والشاعر الذي يمزج بينهما ، لا بد ان يكون على ثقة من ان المستويين مطلوبان في القصيدة . ولعل أهم الملاحظات على هذه القصيدة ، انها كتبت بلغة سطحية ، لا تحمل معـــاناة الشعر الحقيقي ، وتجتر الدعاوى المكررة ، عن أسباب نكستنا ، وكان فيلم ((خلي بالك من زوزو)) احد اسباب النكسة . ان علـــى الشاعـــر ان يفحص ، ليس فقط أدواته الفنية ، بل عليه ان يختبر المفاهيـــم التي ازدحمت بها حياتنا ، حتى اصبحنا نسخر من أنفسنـــا ، من اجل كل شيء . وأرجو للشاعر توفيقا أكبر في القصائد التالية .

((حوار باطني بين الزمن والنيل))
للشاعرة ((مايا الدمشقي))

تحمل هذه القصيدة بذور المحنة التي يعيشها الوطن العربي . انها مناجاة عذبة ، تتفجر بالامل ، وتنمو من خلال تدفق الاصوات ، التي يعذبها القهر ، وتنظر فترى الدروب مغلقة . حقيقة لا يرتفع التعبير الى ذروة عالية جدا من التوهج الشعري ، فلغتها عادية ، واستطرادها جعل القصيدة تنوء بالحمل الثقيل . وقد ساعد تعدد الاصوات في جعل المدى اوسع ، واكثر امتلاء بالاحتمالات ، وان كانت الشاعرة لم تحسن استغلال هذا المدى بشكل كامل . ولعل من أهم الملاحظات على هذه القصيدة ، انها لا تتبع خطا ديناميكيا ، فهي ، رغم تعدد الاصوات ، تشكل مستوى واحدا في الاداء والبناء. ومعنى هذا ان القصيدة قررت ان تكتفي بالشجن بدلا من تأكيد الفعل .

((بين رحيل الفارس وانتظار الحبيبة))
للشاعر ((علي بدر الدين))

تؤكد هذه القصيدة وجود شاعر يحرص على معاناة تجربته ، ويجهد ، في نفس الوقت ، لكي يبدو مختلفا عن الآخرين . ويبدو ان شجن القصيدة يمتص رحيقه من كل ألم يبصره الشاعر في أرضه . انه يعلن موت الفرح . في القدس يموت الفرح العصري وينتصب الغضب المتجول . واذا كانت اللغة سليمة ، والموسيقى لا تخفق الا في موضعين ، والغضب المسلح بأجنحة البلاغة الجديدة ، تعلن كلها عن شاعر جيد . وخامة القصيدة تنقصها الحاجة الى التركيز ، والتكثيف ، وهو مطلب حتمي في الشعر . ذلك لان الشعر مادة ثمينة ، لا ينبغي الافراط في سكبها ، لمجرد ان النفس قادرة على الحزن ، والقلم قادر على الكتابة .

((البحث عن غرناطة))
للشاعر ((محمد علي شمس الدين))

قليلون هم الشعراء الذين ينجحون في المغامرة ، حين يتصورون ان يتجاوزوا نطاق ما هو شائع ومألوف ، وهؤلاء القليلون يعرفون ان مغامرتهم محفوفة بالاخطار ، لكنهم يقدمون . والشعر العربي في حاجة ملحة للمخاطر ، والمحاولات ، والابداع ، والابتعاد عن المتكرر ، بحثا عن الجديد ، والمدهش . ان قصيدة ((البحث عن غرناطة)) غنية بالشعر الجيد ، بالدلالات المتخمة بالمعاني ، بالرغبة القادرة في نحت شكل خاص ، ولغة خاصة ، لان الشاعر يؤمن بانه يملك عالما خاصا ، وقد نجح الشاعر في ان يدخلنا الى عالم جديد ، برغم ان ((التكنيك)) الذي يستخدمه قد اصبح شائعا ، الا ان السيطرة التي أظهرها على هذا الشكل تستحق الاعجاب . هل تتحول ((غرناطة)) في القصيدة الى مستحيل ، ام الى ممكن ؟ ان الاحتمالات التي يقدمها الشاعر غنية جدا . ((ملك لي . تنمو سماؤك : نصفها كالموج يصلح للرحيل ، ونصفها كالطفل يصلح للعبادة . دائما تنمو سماؤك)) . انها حقا قصيدة طيبة .

((معزوفات ضابط في القرية))
للشاعر ((حسن فتح الباب))

ما يزال الشاعر ((حسن فتح الباب)) مخلصا لمنهجه في الاداء الشعري ، هذا الاداء الذي يتسم بالوضوح ، والرقة ، والاسى . وهذه القصيدة نموذج طيب لخصائص شعره ، غير ان الاسى العميق، يتحول مع الزمن الى لون من رثاء النفس ، هذا الرثاء الذي يعترف الشاعر انه أصبح اللون المفضل للحياة . وهذه المعزوفات التي يقدم فيها موكب السلطان ، والرغبة في البعد والانطلاق ، واحساسه المر بالضياع ، حتى لم يعد يعرف نفسه ، ثم في النهاية انطفاء الالوان. اي أسى شفيف تغلفه هذه الرحلة التي تتخبط بين اصداء السلاسل؟؟ ان حزن هذه القصيدة ، هو أبرز ملامحها ، وان يكن حزنا فقد الكثير من التوتر ، واقترب من المرثية ، مرثية العمر الذي فقد الالوان .

((السفر في المنافي)) للشاعر ((رزاقي عبد العالي))

تحملك هذه القصيدة معها ، وتسافر بك ، ويكشف لك الشاعر عن الهزيمة التي علمتنا كيف نرفض ، وكيف نميل ، وكيف نضحك ، وكيف نبكي . انك تسافر عبر القصيدة ، وعبر عالم الشاعر ، وعبر عيني حبيبة يبتعد بها الغموض ،وتكشفها الاشارات الضوئية التي ينثرها الشاعر في الطريق ـ خالد ، طارق ، مصر ، القاهرة . انك تحس اذن انك منفي في داخل الوطن في الهزيمة التي جعلتنا نغير وجوهنا .. بل اننا جميعا نقيم في منفى من الكلمات .. انصدق الشاعر قد جعله يتأمل نفسه في عين محبوبته ، فيرى نفسه ضائعا مجهولا ، وجاهلا لنفسه . وبرغم طول القصيدة ، فانت لا تشعر بالكلل ، بل تحس بانك أمام شاعر يستسلم لاهواء الشعر ، ولكن دون ان يفقد الزمام ، وتحس وأنت معه بقدرته على السيطرة على ادواته . انه لا يلجأ للحيرة او المناورة ، او الصراخ ، وانما يلجأ مباشرة للشعر ، ويسافر معه ، ومعنا ، ولهذا جاءت القصيدة جيدة، واعدة بالكثير .

((الحديقة تغادر أسوارها)) للشاعر ((عادل العامل))

تمتلىء شرايين هذه القصيدة الجيدة بالشعر ، الذي يتفجر دما ، وأغنيات . يقف الحزن والموت في خلفية الصورة ، ولكن التجاوز هو الحركة الحقيقية في الصورة الشعرية التي تقدمها القصيدة . واذا كان اللحن القديم هو الموت فوق الفرات ، فان الزهر ، والدمع ، سيبقيان طريقا الى الاغنية . ان التفاؤل الذي يعطيه لنا الشاعر ليس عاريا من دعائمه الشعرية التي تلتقط من الطبيعة رموزها الحية ، وصوتها المقبل مع الفصول التي تعيد الجذور الجديدة الى الحديقة .

وتحيتي للشعراء !!

(القاهرة) **محمد ابراهيم ابو سنه**



بقلم : جميل عطيه ابراهيم

قبل ان اتناول قصص العدد الماضي من ((الآداب)) بالتعليق ، أود ان استشهد برأي للاستاذ سليمان فياض في معرض نقده لقصص عدد ((الآداب)) قبل الاخير .

يقول الاستاذ سليمان :((يبدو لي ان القصة ، كالشعر ، كالمسرح ، كالنقد ، ككل شيء آخر في حياتنا ، يدب فيه العفن ، ويغطيه الصدأ ، ويسري فيه السوس ... بل يبدو لي ان عددا من قصاصينا المتمرسين ، والذين كانوا يكتبون بصورة افضل ، قد

اهتزوا فنيا ، وسقطوا بغير وعي . ان احدنا لم يتوقف ليسأل نفسه . لقد قرأنا من العالم كله ، في وقت الهزيمة ، والاوبئة ، والحروب التي دمرت لا قطعة من الوطن وانما الوطن كله ، ادبا ، قصا ، شعرا مسرحا ، حتى في عز المقاومة والاحتلال الفعلي ، للبيوت والناس مع الارض ، ولم نشعر بهذا القرف الذي يشعر به اي اجنبي نحو اكثر أدبنا الآن ، شعره وقصه ومسرحه ، والذي نشعر به نحن ، ونحن نكتبه ، ونحن نبعث به الى النشر ، ونحن نخجل من ان نسأل الغير عن رأيه فيما قرأ » .

وعندما تصدر هذه الادانة من كاتب قصة مثل سليمان فياض ، فعلينا ان نتوقف لنسأل انفسنا ، وماذا بعد ؟

وفي مجال الشعر ، بدأ الاستاذ عبد المعطي حجازي نقده للقصائد ، قائلا : « يحاول الادب العربي والشعر خاصة في هذه المرحلة ان ينهض بالعبء الذي كان ينبغي ان تشاركه الفلسفة والفكر السياسي والاجتماعي في النهوض به ، هذا العبء هو محاولة اعادة النظام والمعنى الى الواقع العربي الراهن بعد ان فجرته الهزيمة الشاملة فصار مساحة تتبعثر فيها الاشياء والتفصيلات والاوقات والحوادث شظايا متراكمة بلا رابط او ضرورة ، وتختلط فيها الجثث المتعفنة في انتظار من يدفنها والاجنة المتململة في انتظار من يشدها الى النور » .

وعندما نربط بين ما قاله شاعرنا الاستاذ عبد المعطي حجازي وقاصنا الاستاذ سليمان فياض ، نرى الافكار تقفز امامنا واحدة تلو الاخرى ، وتفرض علينا الاشارة الى عدة حقائق قبل ان نعقب على القصص .

أولا : معظم القصص المنشورة في العدد الماضي من « الآداب » لكتاب مصريين ، ونحن نشير الى هذه الحقيقة ، في وقت أغلقت فيه خيرة المجلات الادبية في مصر ، بالاضافة الى قرارات العزل الشهيرة .

ثانيا : كل القصص تدور احداثها في قرى ، والقصة الوحيدة التي تقع في سجن في المدينة « الجمعة اليتيمة » يحمل بطلها قريته في داخله ، وكأن كتاب القصة في العالم العربي قد أثقلهم وضع القرية في هذه الاونة ، فهبوا دفعة واحدة يكتبون عنها ، كما قال الاستاذ احمد عبد المعطي حجازي ، ينهضون بالعبء الذي كان ينبغي ان تشارك الفلسفة والفكر السياسي والاجتماعي في النهوض به هذا العبء هو محاولة اعادة النظام والمعنى الى الواقع العربي الراهن بعد ان فجرته الهزيمة الشاملة ...

وقد رأينا ان نثبت هذه الكلمات ، بعد ان قرأنا قصتي « الجفاف » للاستاذ أحمد سويد و « لماذا نسيتني » للدكتور عبد الغفار مكاوي ، وفيهما من التدخل في السياسة والاقتصاد واعادة الوعي ، مما لا يندرج تحت راية الفن باي حال من الاحوال ، وذلك لعيوب فنية كثيرة في هاتين القصتين ، فليس العيب في التدخل في السياسة في حد ذاته .

* * *

« الجفاف » قصة بقلم الاستاذ أحمد سويد ، وتبدأ بهذه الكلمات: بقدوم الشيخ لقمان اكتملت الحلقة تحت شجرة السنديان الدهرية التي تعود أهل القرية ان يفيئوا الى ظلالها عند كل أصيل من أصائل الصيف ، ليتطارحوا همومهم الحياتية ومشاكلهم الطارئة .

ثم يعلن أحد الجالسين بعد ذلك ، ان الجفاف قضى كليا على المزروعات ، وتدور المناقشات ، وتختلف آراء رجال القرية وفقا لطبقاتهم ، حتى يسود الحلقة صمت ثقيل ملفوف بالكآبة لا يلبث ان يمزقه صوت الطالب محمود سعفان ، الذي يقول : « يا اخوان ، في عنابر الدولة قمح كثير ، قليله يكفيكم ، وفي مستودعاتها أدوية فعالة .. ولو كانت الدولة مهتمة بكم لاستخرجت لكم من بطن الارض الماء الذي ينقذكم من الموت عطشا » فيتصدى له المختار في وقار ممثل السلطة وحزمه : « كلامك يا بني تدخل في السياسة ، وهو عمل ممنوع يقع تحت طائلة القانون ، العياذ بالله ، ما هذا السم الذي يجرعونكم اياه في المدارس ، ان الله ـ يا هذا ـ هو مقسم الارزاق » .

ثم تنتهي القصة بمفارقة عن ابي العلاء المعري ، يحمر بعدها وجه الشيخ ، حتى تكاد تنفجر أوردته المحقونة .. وفيما كان محمود سعفان يتوجه الى منزله ، كان كثير من الحضور يلحقونه واحدا اثر واحد .

كل شيء في هذه القصة ، معاد ومعروف ، وقبل ان يفتح المختار فمه ، نحس في داخلنا ، بأننا قد سمعنا هذه الكلمات من قبل ، ولان الاستاذ سويد اختار الطريق السهل ـ والفن دروبه ملتوية ـ قرأنا قصة معادة ، فالمختار يعلن هذه الكلمات ، والطالب لا بد ان يكون مصلحا .

وتبقى نية المؤلف الطيبة ، ومشاركته في الفكر السياسي والاجتماعي ، لاصلاح القرية ، قاصرة عن الاقتراب من الفن ، ويخسر قارىء القصة شيئا هاما هو الفن ذاته ، وعندما نأتي الى هذه النقطة ، نكون قد سئمنا النوايا الطيبة ، فحتى على مستوى الفهم السياسي هناك قصور عن فهم عالم القرية المعقد .

* * *

في قصة « لماذا نسيتني ؟ » للدكتور عبد الغفار مكاوي ، يذهب حسني لزيارة قبر والدته ، بعد غيبة عشر سنين عن البلد ، ويأخذه عم عوض الى المقبرة ، ويغلق الباب عليه .

وبعد التعب والخوف ، يسمع صوتا يناديه ـ هو صوت أمه بالتأكيد ـ ويبدأ حسني في الحديث الى والدته ـ المتوفاة ـ عن التخطيط والاقتصاد وميكنة القرية ... الخ .

كلمات وكلمات يلقي بها الاستاذ حسني دكتور التخطيط عن اصلاح القرية ، وهو يصرخ : العمل ، العمل ، وكأن هذا الخبير لم يجد أحدا يحدثه عن شهاداته سوى أمه المتوفاة .

لولا اعجاب سابق ببعض قصص الدكتور عبد الغفار مكاوي ، لكنت قد نعت هذه القصة بنعوت اخرى ..

* * *

« من التاريخ السري لديروط الشريف » قصة بقلم الاستاذ محمد مستجاب . هذه القصة لها مذاق خاص ، يسيطر على القارىء منذ اللحظة الاولى ، قرية أعاد خلقها الكاتب وهو يروي لنا تاريخها ، تارة في تهكم ، وتارة في شفقة ، بينما التفاصيل تشدنا ، وتأخذنا ، ونحن نحلق مع شخوص القرية في مأساتهم .

قرية يصاب أحد رجالها بالخرس فجأة ، ثم يلحق به آخرون ،

وكأن الخرس طاعون يفتك بالالسنة . حدث غير مألوف ـ كالوحش في التراجيديا الاغريقية ـ يدفع أهل القرية ، نحو البحث عن الخلاص ، وعندما تعجز القرية عن مكافحة هذا الداء ، وتستسلم ، تتغير طبائع شخوصها ، يدب الفساد فيهم ، ويصير الخرس ميزة ، حتى تهلك القرية وتندثر .

لقد خلق لنا الكاتب شخوصا من لحم ودم ، وعالما مليئا بالصراع والرغبة ، وهم يجاهدون ضد هذا الطاعون الحديث الذي يقطع ألسنتهم ، او هذا الوحش الذي يلجمهم . ولكن عند الاستسلام الى الصمت والخرس ، نرى الكاتب يقع في المحذور ، ويسرف في وصف الفساد والمبالغة التي تجرنا جرا الى أحداث معاصرة .

وهذه هي السقطة الوحيدة في هذه القصة الجيدة ، لقد وقف الكاتب بيننا يزعق ، وهو يشير الى المذكرات الايضاحية للقانون ، التي تجبر الناس على المعصية وتدغدغ حواسهم ـ وكأنه يشير الى أجهزة الاعلام العربية في صراحة ـ حتى ينقلب الفن الى نوع رخيص من « الفارس » الساخر .

ان اللغة التي كتبت بها هذه القصة في عمومها ، وطريقة القص ، واحتفاظ الراوي بمسافة بينه وبين الحدث الذي يروي لنا عنه ، اتاح للمؤلف الايحاء لنا بأشياء كثيرة ، كان سوف يعجز عن الافصاح بها ، لو اختار شكلا آخر للقص .

ان البناء الفني لهذه القصة ، ناضج ومكتمل ، كأشد ما يكون اكتمال العمل الفني ونضجه ، ولولا تلك الكلمات التي غمز بها الكاتب قسرا أجهزة الاعلام والحكومات العربية ، لكانت هذه القصة من أنضج القصص . اننا نعترف بأن الخرس أصبح « موضة » الآن في الدول المتخلفة عامة والدول العربية بصفة خاصة ، فلا تخلو دولة عربية واحدة من رقيب أو أجهزة أمن قوية ، ولكن ما توحي به هذه القصة في عمومها بطريق غير مباشر ، هو خير من تلك الكلمات المباشرة التي سبق أن أشرنا اليها .

« انهم لا يحبون الالغاز » قصة بقلم محفوظ عبد الرحمن .

قصة جيدة اخرى بالاضافة الى قصة الاستاذ مستجاب ، في العدد السابق من « الآداب » تناول فيها الاستاذ محفوظ عبد الرحمن ، العلاقات في قرية مصرية بوعي ودقة ، تنم عن معرفة واسعة بأحوال القرية المصرية ، وطبائع أناسها ، وقوانينها ..

ان اناس هذه القرية بشر من لحم ودم ، فالعمدة القوي المهاب ، يضعف امام خديجة زوجة غفير الدرك ، وشيخ البلد له مطامع في القرية يخفيها ، وعامل التليفون يوطد نفوذه مستغلا زوجة العمدة . وعندما يعلن العمدة عن ضياع محفظته ، يعلن اناس القرية انهم فقدوا أغلى ما يملكون ، وروعهم فقد مفاتيحهم ، اذ اصبحوا مباحين للصوص البارحة .

ويعرف القارىء منذ البداية ، ان محفظة العمدة ، لم تسرق ، بل سقطت منه في دار خديجة ، غير ان القرية كلها تبحث الامر ، حتى يعلن الولد بدر انه يعرف السر ، وانه يرفض ان يقوله الا امام كل الناس ، ويسخر مجلس العمدة من حكاية بدر ، اذ كيف يتأتى له ان يعرف ما غمض عليهم جميعا ، وهم اهل الحكمة. وكان كل اهل القرية قد تقابلوا عمدا او صدفة ببدر ، وتأملوا بسماته الجارحة ، ونظرته الساخرة ، كل منهم تأكد انه سيكشف شيئا ما ، خاصا به ، وما أن أتى المساء ، حتى كان بدر يسبح في بحر من الكراهية ، وفي لحظة واحدة ، كانت القرية كلها تعلم ان بدر قد اختفى .

ولا يعيب هذه القصة سوى ظهور الولد بدر فجأة في نهاية القصة ، معلنا انه يعرف السر ، كرمز مفاجيء مفروض على القصة ، وغير نابع منها ، فشخصية بدر هي الشخصية الوحيدة في القصة ، غير المرسومة ، ومن الغريب أن كاتبا مقتدرا مثل الاستاذ محفوظ عبد الرحمن يغفل العناية بهذه الشخصية الهامة ، حتى لا تبقى في حدود الرمز العقلاني الساذج في قصة مليئة بالحيوية .

وعلى الرغم من هذه الهنة ، تظل قصة « انهم لا يحبون الالغاز » وقصة « من التاريخ السري لـ ديروط الشريف » من احسن قصص العدد .

★ ★ ★

« الجمعة اليتيمة » قصة بقلم سعيد الكفراوي .

قصة لغتها شاعرية ، تدور احداثها في سجن ، حيث مشاعر السجين وبحثه عن ضوء الشمس ، بمثابة عالم مضطرب، وحيثجدران السجن لها ملمس مغاير لكل جدران العالم .

وقد وفق الكاتب في اختيار كلماته ، وتكثيف مشاعر بطله ، وتنقيتها من الشوائب ، فحتى كلمة السجن لم ترد في القصة ، ولكن الاحساس بالسجن لم يفارقنا منذ السطر الاول .

القاهرة — **جميل عطية ابراهيم**

« الآداب » وأزمة الورق

يلاحظ القراء ان صفحات الآداب في هذا العدد قد انقصت ١٦ صفحة . ويرجع ذلك الى ازمة الورق (وهي ازمة عالمية) التي تعانيها السوق وارتفاع اسعار الورق اجمالا .

وبهذا السبب ذاته ستضطر ادارة المجلة الى رفع ثمن النسخة من الآداب وزيادة قيمة الاشتراكات ، ابتداء من العام الجديد ١٩٧٤ على الاساس التالي :
ثمن النسخة في الاسواق : ٢٥٠ ق. ل. او ما يعادلها

قيمة الاشتراك السنوي

لبنان وسوريا : ٤٠ ليرة لبنانية
البلاد العربية : ٥٠ ليرة لبنانية
اوروبا وافريقيا : ٣٠ دولارا
اميركا : ٤٠ دولارا
المؤسسات الرسمية والمكتبات العامة : ١٠٠ ليرة لبنانية
(تضاف تكاليف الطائرة في حالة الاشتراك بالبريد الجوي)